

التصحيحي

في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

تصنيف :

أحمد بن فارس

من أئمة اللغة في القرن الرابع

« شيخنا أبو الحسين - يعني ابن فارس - ممن رزق
« من التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف . »
الصاحب بن هباد

عنيت بتصحيحه ونشره

مكتبة السلفية
لمؤسسيها

مجالس المطيب و عبد الفلاح القند
القاهرة : السكة الجديدة

(حقوق الطبع محفوظة)

القاهرة

١٣٢٨ - ١٩١٠

مطبعة المؤيد

مَكْتَبَةٌ

لِسَانُ الْعَرَبِ



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



عدد : ٥

مقدمة النشر

الأمة العربية اليوم في دور نهضةٍ حديثةٍ تلدها الحاجة وتكيفها العوامل. والناظرُ الى شعوب هذا العصر بعين أفقٍ نقادة - يرى أن هذه النهضة الحديثة ستؤل بالشعب العربي المجيد إلى انقلابٍ عظيم ، من حيث الشؤون الاجتماعية .

ولما كان الاحتفاظُ بالثمين من تراث السلف ، والأخذُ بالنافع من نظام الخلف خيراً ما تنتهجه الأمم من مناهج التقدم - عزمت (المكتبة السلفية) على أن تكون عاملاً صغيراً في عالم العمل ، فتخدم النهضة العربية الشريفة بنشر النافع من الفنون العصرية ، وإحياء ما كان صنّفه رجال هذه الأمة على عهد حضارتها الماضية - خصوصاً ما كان منها في أصول لغتنا وفروعها ، لأنّه لا حياة للأمم في تيار السياسة وعمان المجتمع إلا بحياة لغاتها. ونحن نتقدم اليوم إلى أمتنا العزيزة بالكتاب (الصاحبيّ) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، للأمام اللغويّ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، استاذ (بديع الزمان الهمداني) وشيخ (الصاحب بن عباد) ومصنف الكتب الجليلة .



ولقد اعتمدنا في احياء (الصاحبيّ) ونشره على نسخةٍ صحيحةٍ بخط الأستاذ اللغويّ الجليل المرحوم (الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركيّ الشنقيطيّ) ، من مكتبته المحفوظة في المكتبة المصرية الخديوية في القاهرة ،

وقد نقلها عن نسخة في إحدى مكتبات القسطنطينية، قرأت على المصنف
عام ٣٨٢ هـ وعلى ظهرها بخطه ما نصه :

« قرأ عليّ (أبو محمد نوح بن أحمد الأديب) أعزّه الله هذا الكتاب
« من أوّله إلى آخره، وصحّحه وسمعه بقراءته (أبو العباس أحمد بن محمد
« المعروف بالفضبان) و (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنبلة القاري).
« وكتبه (أحمد بن فارس بن زكرياء) بخطه (المحمدية) في شعبان
« من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. »

وفي آخرها يقول ناسخها المجاز له :
« وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين
« وثلاثمائة. »

وقال المرحوم (الشنقيطي) بعد ذلك :
« انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه يوم الثلاثاء لعشر خلت
« من شهر ربيع النبوي، وكان ابتدائي فيه عشر خلت من المحرم، فيكون
« ظرف اكتبه شهرين .

« واكتبته من نسخة جليّة، جميلة الخط، صحيحة جداً — إلا
« ما كان خطأ للمؤلف، فلا يؤخذ به الكاتب — وعلى النسخة خط
« المؤلف يمينه، وإجازته لتلاميذه : نوح بن أحمد ومن حضر معه .

« وكانت مقابلتي إياه صفحة صفحة، لا أبتدي صفحة إلا بعد مقابلة
« الصفحة التي كتبها قبليها، فتمت كتابته ومقابلته في آن واحد والله الحمد .
« فخأنت بحمد الله نسختي هذه أجلّ من أصلها وأصحّ، لاحتوائها
« عليه وعلى ما ليس فيه (يعني تعليقاته على بعض مواضع الكتاب، وقد

« اثبتناها في الطبع) .

« وكتبها لنفسه (محمد محمود بن التلاميذ المركزي) ثم وقفه على
عصبة بعده وفقاً مؤبداً ، فمن بدله فأتمه عليه .

« وذلك بقسطنطينية المحمية ، لعشر خات من ربيع النبي ، سنة أربع
« وثلاثمائة وألف ، ردني الله تعالى منها سريعاً إلى المدينة مرداً جميلاً ، عليه
« توكلت وكفى بالله تعالى وكيلًا . »

* * *

ولعد فهذا مبلغ النسخة الأصلية من الصحة ، ونحن قد بذلنا الجهد في
أن لا تجيء بعد الطبع دونها قبله — حتى بلغنا هذه الأمانة فيما نحسب .
وعلى الله الأتكال .

القاهرة : غرة جمادى الثانية ، ١٣٢٨



أحمد بن فارس

عن معجم الأدباء ياقوت وبتمة الدهر للشمالي وطبقات اللغويين والنحاة لابن بطوحي وعن ابن خلكان

نسبه وبلده :

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني - أحمد
أئمة اللغة العربية في القرن الرابع للهجرة .

ولد في جهة (كرسف) و (جياناباذ) ، وهما قريتان من (رستاق الزهراء) ،
ولم تقف على تاريخ مولده . ومما يؤيد أنه ولد في كرسف ما رواه مجمع عن أبيه محمد
ابن أحمد - وكان من جملة حاضرني مجالس أحمد بن فارس - قال : « أتاه آت ،
فسأله عن وطنه ، فقال (الرجل) : كرسف . فنمثل الشيخ :

بلادُ بها شدت عليّ تمائي ،

وأول أرض مسّ جسمي تراها . »

ولم يذكر ياقوت قرية كرسف وجياناباذ في معجم البلدان ، وإنما قال في
معجم الأدباء أنه وجد بخط مجمع بن محمد بن أحمد على نسخة قديمة من (كتاب
المجمل) تصنيف ابن فارس ما صورته :

« تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الزهراوي الاستاذ -
خرذي . اختلفوا في وطنه ، فقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة
(كرسف) و (جياناباذ) وقد حضرت القريتين مرارا ، ولا خلاف أنه قروي . »
هذا ما علمنا من خبر موطنه الاول . أما (الحمدية) التي قري (الصاحبي)
فيها على ابن فارس بالاصل الذي نقل عنه الشنقيطي ، وفيها كتب كتابه (تمام
الفصيح) فقد نقل ياقوت في معجم البلدان عن كتاب محمد بن أحمد الفقيه أن
(المهدي) - لما قدم (الري) في خلافة (المنصور) - بنى مدينة الري التي بها
الناس اليوم ، وجعل لها خندقاً وبنى فيها مسجداً ، وجرى ذلك على يد (عمار بن

لخصيب) وكتب اسمه على حائطها ، وتم عملها سنة ١٥٨ ، وجعل لها فصيلا يطيف به فارقين آخر . وسماها (المحمدية) . فأهل الري يدعون المدينة الداخلة (المدينة) ويسمون الفصيل (المدينة الخارجة) والحصن المعروف بالزبيدية في داخل المدينة (المحمدية) . وفي تاريخ (أبي سعيد الآبي) أنها سميت كذلك باسم المهدي .

أسانذته ونقله في طلب العلم :

جاء في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي أن ابن فارس كان نحويا على (طريقة الكوفيين) . وقد تعلم العلم عن أبيه وعن (أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان) - وهو كثيرا ما حدث ابن فارس في (الصاحبي) عنه - . وفي معجم الأدباء أنه أخذ أيضا على (أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب) رواية ثعلب وعلى (أبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم) و (علي بن عبد العزيز المكي) و (أبي عبيد) و (أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني) غير ذلك من العلوم .

وكان ابن فارس يقول عن شيخه ابن طاهر المنجم : « مارأيت مثل أبي عبد الله أحمد بن طاهر ، ولا رأى هو مثل نفسه » .

وقال يحيى بن منددة الأصبهاني : « سمعت عمي عبد الرحمن بن العبدلي يقول ، سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحوي يقول : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة الجمال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته فقال : « من انبسط الى الاخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان . »

ويؤخذ من رواية (علي بن القاسم المقرئ) لرسالة (أوجز السير لخير البشر) عن مصنفها أحمد بن فارس أن المترجم به أقام مدة في مدينة الموصل وقرأ ابن القاسم تلك الرسالة فيها عليه .

أما أبو مصنف الصاحبي فكانت له يد في الادب ، كما يستدل من رواية ابن فارس عنه قال : « سمعت أبي يقول : حججت فميت بمكة ناسا من (هذيل) ، فجاريتهم في ذكر شعرائهم ، فما عرفوا واحدا منهم . ولكنني رأيت أمثل الجماعة رجلا فصيحا وأنشدني :

إذا لم تحفظ في أرض فدعها ،
وحث اليعملات على وجاها (١)
ولا ينررك حظ أخيك فيها
إذا صفرت يمينك من جدها .
ونفسك فزبها - إن خفت ضيماً -
وخلّ الدار تحزن من بكهاها :
فأذك واجد أرضاً بأرض ،
ولست بواجد نفساً سواها .

علمه وتلامذته :

على من ذكرنا من الأئمة والاساتذة تلقى المترجم به العلم ، حتى كان - كما قال عنه أبو منصور الثعالبي في بئمة الدهر - من أعيان العلم بهمدان ومن أفراد الدهر ، يجمع اتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء . وهو بالجبل ك (ابن لسنك) بالعراق و (ابن خالويه) بالشام و (ابن العلاف) بفارس و (أبي بكر الخوارمي) بخراسان . وفي همدان قرأ (بديع الزمان الهمداني) على ابن فارس ، وله تلامذة كثيرون غيره . ثم حمل منها الى الري بأجرة ليقراً عليه (مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة أبي الحسين بن بويه الديلمي صاحب الري) فأقام بها قاطناً ، وتحول عن مذهب (ابن ادريس الشافعي) الى مذهب (مالك بن انس) وقال : « أخذتني الحمية لهذا الامام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه » .

وفي الري تعرف ابن فارس ب (الصاحب بن عباد) وزير (فخر الدولة بن بويه) فكان الصاحب يكرمه ويتلمذ له ويقول :

« شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف . »

(١) ناقة عملة وعمالة وبعلة ، ج يعملات : فارغة (أي نشيطة وخفيفة وصديحة) .

وحى الماشي : حنى . وهو أن تجرى القدم أو النرسن أو الحافر ، ونسجج .

وكان من ثمرات هذه الروابط أن وضع ابن فارس كتابه (الصاحبي) نسبة للوزير ودلالة على أنه صنفه ليودع في خزانته .

جمعت جامعة الأدب بين الصاحب وابن فارس حيناً من الدهر ، ثم تنازعت شؤون السياسة قليليهما - بدليل ما رواه الثعالبي عن ابن عبد الوارث قال : (وكان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس لا تدا به الى خدمة (آل العميد) - أو ابن العميد - وتمصبه لهم . فأنفذ اليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : « رد الحجر من حيث جاءك » . ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلاة .)

أمياله :

أما أخلاقه وأمياله وعواطفه - فلم يتصل بنا منها الا أنه كان كريماً جواداً لا يبقى شيئاً . وربما سئل فوهب ثياب جسمه ، وفرش بيته . . .
ويمكن لمن يجول بين أقواله وأشعاره جولة أن يخطر من المحجب ما لم تخترقه النصوص التاريخية ، وأن كان هذا في الغالب يترجم عن شعور ساعة محدودة ، أو مذهب يلزم صاحبه زماناً ثم يذهب بذهاب ذلك الزمن .

مثال ذلك أنك تجد ابن فارس في أبواب منشأ اللغة والخط من كتاب الصاحبي محافظاً ، ثم تراه في رسالته إلى (أبي عمرو ومحمد بن سعيد الكتّاب) حراً مغرقاً في الحرية ، يناقش أبا عمرو في انكاره على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه في الحماسة . ويعترف للمتأخرين من صواغ الشعر تبريزهم في بعض مقطوعاتهم على شعراء الجاهلية وغيرهم - من حيث تأليف جيد القول وتمييزه ، ومختاره ورضيه . ويتنصر للقاعدة المقررة ، وهي أن العلوم خطرات الأفهام وتنتج العقول ، والدنيا أزمان ، ولكل زمان منها رجال . ومن الخطأ أن تقصر الآداب على أزمان دون أزمان ، وأن نعزو الاستعداد لرجال دون آخرين .

المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمولدين

رسالة ابن فارس — الى ابن سعيد الكاتب :

أما رسالة أحمد بن فارس إلى أبي عمر ومحمد بن سعيد الكاتب فهي — كما قال عنها الثعالبي — في نهاية الملاحاة ، وقد تضمنت أ، وذجا من ملح شعراء الجبل وغيرهم من المعاصرين ، وفيها ظرف أخبارهم . وهذا نصها :

« ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد . وجنبك الخلاف ، وحبب إليك الانصاف .

وسبب دعائي بهذا لك — إنكارك على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه كتابا في الحماسة ، واعظامك ذلك . ولعله لو فعل — حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه — لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ، ومختاره ورضيه كثيرا مما فات المؤلف الأول .

فإذا أنكر ، وله هذا الاعتراض ، ومن ذا حظ على المتأخر مضادة المتقدم ؟ وله تأخذ بقول من قال : « مارك الأول الآخر شيئا » وتدع قول الآخر : « كم ترك الأول للآخر » ؟ وهل الدنيا إلا أزمان ، وكل زمن منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الاخطرات الألفام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ وله لا ينظر لآخر مثل ما نظر الأول — حتى يؤلف مثل تأليفه ، ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟

وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوازل الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ وله جاز أن يقال بعد (أبي تمام) مثل شعره ولم يجوز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ وله حجرت واسعة وحظرت مباحا . وحرمت حلالا . وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل (حبيب) الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولما جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم وأهل النحو في مصنفاتهم والنظار في موضوعاتهم وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ولم يجوز معارضة أبي تمام في كتاب شد عنه في الأبواب التي شرعها فيه ؟ أمر لا يدرك ولا يدري قدره ...

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير. ولذهب أدب غزير. ولضلت أفهام ثاقبة. ولسكت أسن اسنة. ولما توشى أحد لخطابة. ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة. ولجت الأسماع كل مردد مكرر، وللفظت القلوب كل مرجع مضع. وحاتم لا يأم:

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى :

صفحنا عن بني ذهل

وله أنكرت على الهجلي معروف، واعترفت لمحزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريرا ونصحيفا وابطاء واقواء ونقل لا يات عن أبوابها الى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها، الى ماسوى ذلك من روايت مدخولة وأمور عليلة؟ وله رضيت لنا بغير الرضي؟ وهلا حثت على اثاره ماغيته الدهور وتجديد ما أخلقته الأيام وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر وأفكار هذا العصر؟

على أن ذلك لورامه رائم لا تعب. ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله من جد بر وعك وهزل يروقك واستنباط يعجبك ومزاح يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما، والى جنبه رجل أكل فأحس أبو حامد (أ) بجودة أكله، فقال:

وصاحب لي بطنه كالحاوية،

كأن في أمعاءه معاوية.

فانظر الى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الامعاء الى جنب معاوية. وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد عمجد وأبو الستممق؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبته، أوفي تدوينه وصمة على مدونه؟

وبقزوين رجل يعرف بأبن الرياشي القزويني، نظر الى حاكم من حكامها - من أهل طبرستان - مقبلا، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقيص شديد البياض

(أ) لعله: أبو محمد. أولل (أبا محمد) الأولى أبو حامد.

وخفه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الخلق ،
فقال حين نظره :

وحاكم جاء على أبلق ،

كعقوق جاء على لقلق .

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل
ولعلمت انه لم يقصر عن قول بشار :

كأن مشار النقع^(١) فوق رؤسهم

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها .

فما تقول لهذا ، وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه ووجود تجويده ؟
وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ،
وهو اليوم حي برزق ، وقد غاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه :

وُقِيتُ الرَّدَى وصروف العليل

ولا عرفت قدماك الزَّلَلُ ،

شكى المرض المجدُّ لما مرضت -

فلما نهضت سلماً أبل .

لك الذنبُ ، لا عتبُ إلا عليك -

لماذا أكلت طعام السفلى ؟

طعام يسوَّى ببيع التبيد -

ويصلح من خدر ذلك العمل .

وأنشدني في شاعر ، هو اليوم هناك ، يعرف بابن عمر والأسدي ، وقد رأيت
فرايت صفةً وافقت الموصوف :

(١) النقع : الفبار .

وأصفر اللون ، أزرق الحدقة ،
في كل ما يدعيه غير ثقته ،
كأنه مالكُ الحزين إذا
همَّ بزرق وقد لوى عنقه .
إن قتُ في هجومه بقافية
فكل شعر أقوله صدقة .

وأشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه ، من أهل قزوين ،
ويعرف بابن المنادي :

إذا ما جئت أحمد مستمياً
فلا يغررك منظره الأنيق ؛
له لطف وليس لديه عرف ،
كبارقة تروق ولا تريق .
فما يخشى العدو له وعيداً ،
كما بالوعد لا يثق الصديق .

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به :

حجٌ مثلي زيارة الخمار ،
واقتنائي العمار شرب العمار ،
ووقاري إذا توقرو ذو الشيب -
بة وسط الندي ترك الوقار ،
ما أبالي إذا المدامة دامت
عذل ناه ولا شناعة جار .

ربّ ليل كأنه فرع ليلي
ما به كوكب يلوح لساري ،
قد طويناه فوق خشف كحيل
أحور الطرف فأتن سحرار ،
وعكفنا على المدامة فيه
فرأينا النهار في الظهر جاري .

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل والايجاز أمثل . وما أحسبك ترى
بتدوين هذا وما أشبهه بأما .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ، ثم قال بعد ذلك - وقد رأى توانياً في
أمره - قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً :

جوّدتَ شعرك في الأمير -
فكيف أمرك ؛ قلت فأر .

فكيف تقول لهذا ومن أي وجه تأتي فتظلمه . وبأي شيء تعانده فتدفعه عن
الايجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ، وأنت الذي أنشدتني :

سدّ الطريق على الزمان -

وقام في وجه القطوب .

كما أنشدتني لبعض رجال الموصل :

فديتك ، ما شبت عن كبرة

وهذي سنيّ وهذا الحساب ،

ولكن هجرت لخلّ المشيب -

ولو قد وصلت لعاد الشباب .

فلم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتيما فحولة الشعراء وشياطين الأنس ومردة

العالم في الشعر؟

وأشدني أبو عبد الله المغلسي المرابي لنفسه :

غداة تولت عيدهم فترحلوا ،

بكيت على ترحالهم فعميتُ :

فلا مقلتي أدت حقوق وداهم ،

ولا أنا عن عيني بذلك رضيتُ .

وأشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق :

زارني في الدُّجى فمَّ عليه

طيب أردافه لدى الرقباء ،

والثريا كأنها كفُّ خود

أبرزت من غلالة زرقاء .

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : « كان عندنا طيب يسمى النعمان ويكنى

أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي :

أقولُ لنعمان ، وقد ساق طبه

نفوساً نفيساتٍ الى باطن الأرضِ :

أبا منذر أفيت ، فاستبق بعضنا

حَنَانِيكَ : بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ .

مصنفاته :

المجمل : هو مع اختصاره جمع شبيهاً كثيراً .

العرق

خضارة : هو كتاب نعت الشعر .

الحجر

الصاحبي : صنفه لخزانة الصاحب بن عباد .

الشيآت والحلي

الليل والنهار : لعله كتاب الأيام والليالي .

العم والحال

الأتباع والمزاوجة

الفصيح : وجد ياقوت نسخة منه ، وعليها خط للمصنف ، كتبه سنة ٣٩١ .

تمام الفصيح : وقعت لياقوت نسخة منه بخط المصنف ، كتبها في رمضان سنة ٣٩٠ .

متخير الألفاظ

حلية الفقهاء

ذخائر الكلمات

الحماسة المحدثه

مقاييس اللغة : كتاب جميل لم يصنف مثله .

خاق الانسان

الاتصار لشعاب

أصول الفقه

مقدمة الفرائض

مقدمة كتاب دارات العرب

مقدمة في النحو

تفسير أسماء النبي عليه السلام

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : صغير الحجم . اسمه (أوجز السير لخير البشر)

طبع في بمباي في ٨ صفحات .

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان

غريب إعراب القرآن

جامع التأويل في تفسير القرآن : أربع مجلدات .

ذم الخطأ في الشعر

فتاوي فقيه العرب

كفاية المعلمين في اختلاف النحويين

وله رسائل أنيقة ومساائل في اللغة تعالى بها الفقهاء . ومنه اقتبس الحريري (صاحب المقامات) ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية في المقامة الطيبة وهي مائة مسألة .

شمره :

ليس ابن فارس بين شعراء العربية من المكثرين الذين قصدوا القصائد ودونوا
الدواوين وأرقصوا أنصار جيد القول ببدائع البيان - ولكنه استطاع مع ذلك أن
يسمعنا رنيناً محزوناً بعد كل دمة تذرف من عينيه ، وأن يرينا أجماً زاهية تفتح
أهدابها سرورا لا بتسامة تتراوح بين فوائده وشفثيه .

وقد أثبتنا في هذه الترجمة ما وصلت إليه يدنا من شعر هذا الامام . ومن ذلك
قوله وهو في همدان شاكيا :

سقى (همدان) الغيثُ ، لست بقائل

سوى ذاء ، وفي الأحشاء نار تضرّمُ ،

ومالي لأصفي الدعاء لبلدة

أفدت بها نسيانَ ما كنت أعلمُ :

نسيتُ الذي أحسنته ، غيرَ أنني

مدّينٌ وما في جوف بيتي درهمٌ ...

وقوله في الشكوى أيضا :

وقالوا : كيف حالك ؟ قلت : خير ،

تقضى حاجة وتفتوت حاجُ .

إذا ازدحمت همومُ الصدر قلنا :

عسى يوما يكون لها انفراجُ .

نديمي هرتي . وأنيسُ نفسي

دفا ترُّ لي . ومعشوق السراجُ ...

وقوله في هذا المعنى :

يأليت لي ألف دينار موجهة
وأن حظي منها فلس فلاس .
قالوا : فما لك منها ؟ قلت : تخدمني
لها ومن أجلها الحق من الناس .

وقوله في القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا
وخل الأمور لمن يملك :
تقدّر أنت ، وجاري القضا -
ء مما تقدّره يضحك .

وقوله في الأصدقاء :

عتبت عليه حين ساء صنيعه
وآليت لا أمسيت طوع يديه .
فلما خبرت الناس خبر مجرب
ولم أر خيراً منه عدت إليه . (١)

وقوله في الغنى والفقر :

قد قال فيما مضى حكيمٌ :
ما المرء إلا بأصغريه .
فقلت قول امرء لبيب :
ما المرء إلا بدرهميه ،

(١) قال الثعالبى في البيعة : أخذته من قول القائل : عتبت على سلم فلما هجرته . وعاشرت أوقاما رجعت الى سلم .

من لم يكن معه درهماً
لم يلتفت عرسه إليه !
وكان من ذلّه حقيراً
تبول سنوره (١) عليه ...

وقوله في المعنى نفسه :

إذا كنت في حاجة مرسلًا ،
وأنت بها كلف مغرم ،
فأرسل حكماً ولا توصه ،
وذلك الحكيم هو الدرهم .

وقوله في الخاصة :

إسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقة :
إياك واحذر أن تبـ
يت من الثقات على ثقة .

وقوله في التذمر من مهنة الأدب :

وصاحب لي أناني يستشير ، وقد
أراد في جنبات الأرض مضطرباً ،
قلت : اطلب أي شيء شئت واسع ورد
منه الموارد — إلا العلم والأدب ...

وقوله في عكس ذلك :

(١) في الآتار الباقية : سنورهم . والسنور : الهر .

إذا كان يؤذيك حرّ المصيف —
وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع —
فأخذك للعلم قل لي متى ؟

قال ياقوت الحموي في معجم الأدياء : قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن
عبد الرحيم السلمي : وجدت بخط ابن فارس على وجه (الجمل) والأبيات له ، ثم
قرأتها على سعد الخير الانصاري ، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا ، عن
سليمان بن أيوب ، عن ابن فارس :

يادار سمدى ! بذات الضال من إضم ،
سقالك صوب حيا من وا كف العين (١)
إني لأذكر أياماً بها ، ولنا
في كل إصباح يوم قرّة العين (٢)
تدني مشعشة منا معتقة
تشجها عذبة من نابع العين (٣)
إذا تمرزها شيخ به طرّق
سرت بقوتها في الساق والعين (٤)
والزق ملآن من ماء السرور ، فلا
تحشى توله مافيه من العين (٥)

(١) الدين : سحاب يفتأ من قبل القبلة .

(٢) عين الانسان وغيره .

(٣) ما ينبع من الماء .

(٤) الطرّق : ضعف الركبتين . والدين هنا : عين الركبة .

(٥) توله الماء : تمر به . والعين هنا : ثقب يكون في المزاودة .

وغاب عذالنا عنا ، فلا كدر
في عيشنا من رقيب السؤوالعين (١)
يقسم الود فيما بيننا قسماً
ميزانُ صدق ، بلا بخس ولا عين (٢)
وفائضُ المال يغنيننا بحاضره
فنسكتفي من ثقل الدين بالعين (٣)
(والمجمل) (٤) المجتبي تغني فوائده
حفاظه عن كتاب (الجيم) (٥) و(العين) (٦)

ومن قول ابن فارس في الغزل :

كلّ يوم لي من سلا حتى عتاب وسباب
وبأدنى ما ألاقى منهما يؤذى الشباب

وقوله في ذلك :

مرّت بنا هيفاء مقدودة
تركية تنمي لتركي
ترنوبطرف فاترفاتن
أضعف من حجة نحوي .

-
- (١) الرقيب والجاموس .
(٢) العين في الميزان .
(٣) العين : المال الناض . قال أبو عبيد أما يسعونه ناضاً اذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً .
(٤) كتاب المجمل (في اللغة) : لأحمد بن فارس مصنف الصاحب .
(٥) كتاب الجيم (في اللغة) : لأبي عمرو اسحق بن مراد الشيباني السكرماني المتوفى سنة ٢٠٦ .
(٦) كتاب العين (في اللغة) : لأخيل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ .

ابن فارس وابن بابك :

مما وقع لابن فارس وهو في الري ما حدث به هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم
عبدالصمد بن بابك (الشاعر الى الري ، في أيام الصاحب ، فتوقع أبو الحسين أحمد
ابن فارس أن يزوره ابن بابك ويقضي حق علمه وفضله . وتوقع ابن بابك أن يزوره
ابن فارس ويقضي حق مقدمه . فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه . فسكتب ابن فارس
الى أبي القاسم بن حنيفة :

تعديت في وصلي ، فعدي عتابك .
وأدني بديلاً من نواكم (١) إياك .
تيقنت أن لم أحظ — والشمل جامع
بأيسر مطلوب — فهلا كتابك ؟
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره ،
غداة أرتنا المرقلات (٢) ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة رية
لديك . ولا ثنت يميني سحابك . —
ولا نقبت — والصب يصبو لمثلها —
عن الوجنات الغانيات نقابك .
ولا قلت يوماً ، عن قلى وسامة ،
لنفسك : « سلي عن ثيابي ثيابك ! »
وأنت التي شبت — قبل أو أنه —
شبابي ، سقى الغر الغواني شبابك :
تجنبت ما أوفى . وعاقبت ما كفى .

(١) الله : نواك . مرجليوت

(٢) المرقلات : النوق المرعة يضرب من السير .

ألم يأن سَعْدِي أَنْ تَكْفِي عَتَابِكَ ؟
وقد نَحْتِي مِنْ كَلَابِكَ عَصِيْبَةٌ
فَهَلَّا - وقد حَانُوا - زَجَرْتَ كَلَابِكَ ؟
تَجَافَيْتَ عَنْ مَسْتَحْسِنِ الْبَرِّ جَمَلَةً
وَجُرْتَ عَلَى بَحْتِي جَفَاءَ ابْنِ بَابِكَ ...

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الآيات أرسلها الى ابن بابك ، وكان مريضاً ، فكتب جوابها :

وصلت الرقعة ، أطال الله بقاء الأستاذ ، وفهمتها . وأنا أشكو اليه الشيخ أبا الحسين ، فإنه صيرني فصلاً لا وصلاً . وزجا (١) لا نصلاً . ووضعني موضع الحلال من الموائد . و (تمت) من أواخر القصائد . وسحب اسمي سحب الذيل . وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل . وجعل مكاني مكان القفل من الباب . و (فذلك) من الحساب .

وقد أجبت عن آياته بأبيات أعلم ان فيها ضعفا لعنتين عنتي وعلتها . وهي :

أيا أثلاثِ الشعب (٢) من مَرَجٍ يَابِسٍ !
سلام على آثارِ كَنِّ الدَّوَارِسِ .
لقد شاقني - والليل في شَمَلَةٍ (٣) الحيا -
إِليكَ تَوَلِيْعٌ (٤) النَّسِيمِ المَخَالِسِ (٥) .
ولحمةُ بَرَقٍ مَسْتَمِيَتْ كَأَنَّهُ

- (١) الزج : الهدية التي في أسفل الرمح .
(٢) الأثلة (يسكون الناء) : شجرة عظيمة لثمارها . والشعب (بكسر الشين) : المنفرج بين الجبلين أو الطريق في الجبل .
(٣) الشملة : السترة والرداء .
(٤) التولييع : الأثراء ، من ولع بالشيء إذا تعلق به .
(٥) خاست الشيء : احتفظته برهفة على غفلة .

تردُّ لحظ بين أجفان ناعس ،
فبتُّ كأني صعدة (١) يمنية
تزعزع في تقع (٢) من الليل دامس .

*
*
*

الأجندا صبح إذا ايض أومه
يصدع عن قرن من الشمس وارس (٣)
و كنت (٤) من الخالصاء تر كب سيلها
ورود (٥) المظي الحامات الكوانس (٦)
فيطارق الزوراء (٧) قل لغيومها : « اس
تهلي على متن من الكرخ (٨) آنس .
وقل لرياض القفص (٩) تهدي نسيمها ،
فلست - على بعد المزر - بآيس .

*
*
*

-
- (١) الصعدة : الزناد المستوية تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف .
(٢) الزعزعة : تحرك الشيء . والققع : الغبار ، استعارة للظلام .
(٣) وارس : أصفر ، اشتق من الورس وهو نبت أصفر يكون في اليمن .
(٤) لعله : ركبت . مرجليوث .
(٥) ما كان بلون الورد من أسد وفرس وغيرها . وهو بين السمكيت والأشقر .
(٦) كنس الظبي كتوسا : دخل كناهه ، واستمرت هنا للمظي .
(٧) مدينة الزوراء : في الجانب الغربي من بندا ، سميت كذلك لازورار (انحراف) في قبلتها
أو لأن أبا جعفر المنصور جعل أبوابها الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة عند بنائها .
(٨) الكرخ : أماكن في المراق تضاف نل واحدة الى مدينة وتسمى بها . فيقال : « كرخ
البصرة » و « كرخ بندا » وغير ذلك .
(٩) القفص : قرية مشهورة بين بندا وعكبرا قريبة من بندا . وكانت من مواطن اللهو
ومعاهد التزه وبجالس الفرح . تنسب اليها الحور الجيدة والحانات الكثيرة . وقد أكثر الشعراء
من ذكرها .

ألا ليت شعري ! هل أبيتن ليلةً
لَقِيَ بين أقراط المهى والمحابس ؟
وهل أرين الريّ دهليز بابك ،
وبابك دهليز الى أرض فارس ،
ويصبح ردم السد قفلاً عليهما ،
كما صرت قفلاً في قوافي ابن فارس ؟

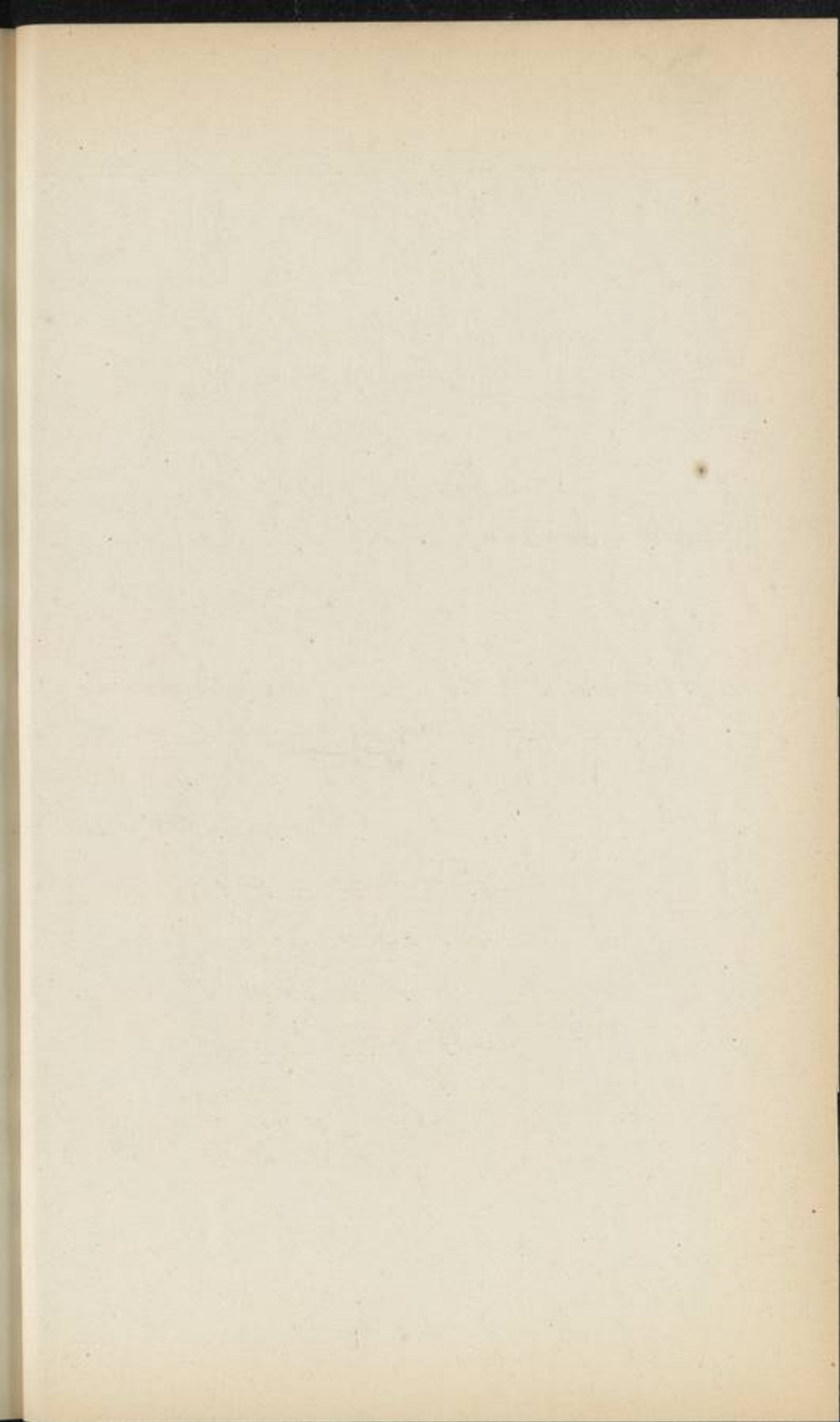
فعرض أبو القاسم الحسولي المتطوعين على صاحب وعرفه الحال ، فقال : « البادي
أظلم . والقادم يزار . وحسن العهد من الإيمان . »
وفاته :

هذا ما انتهى اليه من ترجمة ابن فارس ، وكانت وفاته في الري في شهر صفر
عام ٣٩٥ ، ودفن فيها مقابل مشهد (قاضي القضاة أبي الحسن علي بن عبد العزيز
الجزائري) .

وقال قبل وفاته بيومين يستغفر الله :

يارب ! إن ذنوبي قد أحطت بها
علما ، وبني وبأعلائي واسراري :
أنا الموحد ، لكنني المقرّ بها ،
فهب ذنوبي لتوحيدتي وإقرارتي .





الصَّاحِبِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله و به نستعين ، وصلى الله تعالى على محمد وآله

قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس أدام الله تأييده :

هذا (الكتابُ الصَّاحِي) في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها . وإنما عَنَوْتُهُ بهذا الاسم لَأَنِّي لما أَلْفَتُهُ أودَعْتُهُ خِزانَةَ (الصَّاحِبِ) (١) الجليل كافي الكفاة ، عَمَرَ اللهُ عِراسَ العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره ، تَجَمَّلًا بِذَلِكَ وَتَحَسُّنًا ، إِذْ كان ما يَقبَلُهُ كافي الكفاة من علم وأدب مَرَضِيًّا مَقْبُولًا ، وما يَرِذُّهُ أو يَنفِسه مَنفِيًّا مَرَدُولًا ، ولا يُزِيدُ أحسنَ ما في كتابنا هذا ما خُوذَ عَنْهُ ومُفادَ مِنْهُ . فأقول :

إِنَّ لَعِلْمِ العرب أصلاً وفرعاً : أمَّا الفرعُ فمعرفةُ الأسماء والصفات كقولنا «رجل» و «فرس» و «طويل» و «قصير» . وهذا هو الذي يُبَدِّئُ بِهِ عِنْدَ التَعَلُّمِ .

وَأَمَّا الأَصْلُ فَالقولُ على موضوع اللغة وأوليتها ومنشأها ، ثمَّ على

(١) الوزير أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني — نسبة إلى طالقان قزوین — المشهور بالصاحب ، وهو أول من لقب بهذا اللقب من الوزراء ، لأنه كان يصحباً بأفضل بن العبيد فقلبه (صاحب ابن العبيد) ، ثم أطلق عليه لقب (الصاحب) لما تولى الوزارة وتبعي علماء عليه ولقبا لكل وزير بعده . وهو من أئمة الأدب والولادة في ١٤ ذي القعدة عام ٣٢٦ وتوفي ليلة الجمعة ٢٤ صفر عام ٣٨٥ .

رسوم العرب في مخاطباتها ، وما لها من الافئنان تحقيقاً ومجازاً .
والناس في ذلك رجلان : رجلٌ شغل بالفرع فلا يعرف غيره ،
وآخرٌ يجمع الأمرين معاً ، وهذه هي الرتبة العليا ، لأنَّ بها يُعلم خطابُ
القرآن والسنة ، وعليها يُعول أهلُ النظر والفنِّيا ، وذلك أنَّ طالبَ العلم
العُمويَّ يكتفي من أسماء « الطويل » باسم الطويل ، ولا يضيره أن لا يعرف
« الاشقي » و « الامق » (١) وإن كان في علم ذلك زيادةٌ فضل .

وإنما لم يضره خفاء ذلك عليه لانه لا يكاد يجد منه في كتاب الله
جل ثناؤه شيئاً فيُحوج إلى علمه ، ويقبل مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ، إذ كانت الفاظه صلى الله عليه وسلم هي السهلة
العذبة .

ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لمعيَّ بكثير من علم مُحكم
الكتاب والسنة ، ألا تسمع قول الله جل ثناؤه « ولا تطرد الذين يتبعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » إلى آخر الآية ؟ فسرُّ هذه الآية في
لظفها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحشي من الكلام ، وإنما معرفته
بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا يأتي على أكثره بعون الله تعالى .

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الاصول أن مؤسساً بالادب
لوسئله عن « الجزم » و « التسويد » (٢) في علاج النوق ، فتوقف أوعي

(١) كلاهما بمعنى « الطويل » راجع (تهذيب الالفاظ) لابن السكيت و (فقه اللغة وسر

العربية) لابني منصور التتالي .

(٢) قال ابن سيده في (المخصص) : سودت الابل وهو - أن يذق لها المسح البالي من

الشعر فتداوي به أديارها .

به أو لم يعرفه ، لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة تقصّاشاً ، لأن كلام العرب أكثر من أن يُحصى . ولو قيل له : هل تتكلم العرب في النبي بما لا تتكلم به في الاثبات ، ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الادب عند أهل الادب ، لأن ذلك يُرَدُّ دينه أو يجره للمأثم .

كما أن مؤسباً بالنحو لو سئل عن قول القائل :

لَهْنِكِ (١) من عَنَسِيَةٍ لَو سِيَمَةٍ

على هَتَوَاتٍ كاذبٍ مَنْ يَقُولُهَا

فتوقّف أو فكّر أو استمهل لكان أمره في ذلك عند أهل الفضل هِيناً ، لكن لو قيل له مكان « لَهْنِكِ » : ما أصل القسم ، وكم حروفه ، وما الحروف الخمسة المشبهة بالافعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً ؟ فلم يجب لحكيم عليه بأنه لم يُشَامَ صناعة النحو قط .
فهذا الفصل بين الأمرين .

والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرّق في أصناف (٢) العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء . وإنما لنا فيه اختصارٌ مبسوط أو بسطٌ مختصرٌ أو شرحٌ مشكّلٌ أو جمعٌ متفرّقٌ .

(١) لهنك : كلمة تستعمل تأكيداً . أصلها : لهنك .

(٢) يعني : تصانيف .

فأول ذلك :

باب القول على لغة العرب

أتوقيف ، أم اصطلاح ؟

أقول : ان لغة العرب توقيف . ودليل ذلك قوله جل ثناؤه « وعلم آدم الاسماء كلها » فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحرار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وروى حُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ قال : علمه اسم كل شيء .

وقال غيرها : إنما علمه أسماء الملائكة .

وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين .

والذي نذهب اليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس . فان قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب اليه لقال « ثم عرضهن أو عرضها » فلما قال « عرضهم » علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة ، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعْقِلُ « عرضهم » ولما لا يَعْقِلُ « عرضها أو عرضهن » - قيل له : إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يَعْقِلُ وما لا يَعْقِلُ فغلب ما يعقل ، وهي سنة من سنن العرب ، أعني (باب التغليب) . وذلك كقوله جل ثناؤه « والله خلق كل دابة من ماء : فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع » فقال « منهم » تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم .

فان قال : أفقولون في قولنا سيف وحسام وعَضِب إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مُصْطَلِحاً عليه ؟ قيل له : كذلك تقول . والدليل على صحّة ما نذهب اليه إجماعُ العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مُواضعةً واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطَلَحنا على لغة اليوم ولا فرق .

ولعلّ ظاناً يظنّ أن اللغة التي دلّنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد . وليس الامر كذا ، بل وقّف الله جلّ وعزّ آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الانبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فاتاه الله جلّ وعزّ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله ، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة . ثم قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت .

فان تعمل اليوم لذلك متعملاً وجد من تُقَاد العلم من ينفيه ويرُده . ولقد بلغنا عن (أبي الأسود) أن امرأ كله يبعض ما نكره أبو الأسود ، فسأله أبو الأسود عنه فقال : « هذه لغة لم تبلغك » فقال له « يا ابن أخي ، لا خير لك فيما لم يبلغني » فعرفه بلطف أن الذي تكلم به محتق .
 وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يُقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم .

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البُغَاء والفُصْحَاء - من

النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به . وما علمناهم اصطاحوا على اختراع
لغةٍ أو أحداث لفظةٍ لم تتقدمهم .
ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا باقتضائه ولا تزول إلا بزواله ،
وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب .

باب القول على الخط العربي

وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسريانيَّ والكتُب كلها
(آدم) عليه السلام ، قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه . فلما
أصاب الأرض الغرقُ وجد كلُّ قوم كتاباً فكتبوه ، فأصاب (اسماعيلُ)
عليه السلام الكتابَ العربيَّ .

وكان (ابن عباس) يقول : أولُ من وضع الكتابَ العربيَّ (اسماعيلُ)
عليه السلام ، وضعه على لفظه ومنطقه .
والرواياتُ في هذا الباب تكثر وتختلف .

والذي نقوله فيه : أن الخطَّ توقيف ، وذلك لِظاهرِ قوله عزَّ وجل
« إقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إقرأ وربُّكَ
الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وقال جلَّ ثناؤه « والقلم
وما يسطرون » وإذا كان كذا فليس يبيد أن يوقف آدم عليه السلام أو
غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب .

فأما أن يكون مُخترع اختراعه من تلقاء نفسه فشيءٌ لا تعلم صحته

إلا من خبر صحيح .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفماً ولا نصباً ولا همزاً . قالوا والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أهمز إسرائيل ؟ فقال « إني إذن لرجل سوء ! » قالوا وإتما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر . وقيل لا آخر أنجر فلسطين ؟ فقال « إني إذن لقوي ! » . قالوا :
وسمِع بعض فصحاء العرب يُنشد :

نحن بني عَلمة الأَخيارا

فقيل له : لم نصبت « بني » ؟ فقال : مانصبته ، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء ^(١) . قالوا : وحكي (الافش) عن أعرابي فصيح أنه سُئل أن يُنشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكي أن (أبا حية النميري) سُئل أن يُنشد قصيدة على الكاف فقال :

كفي بالنأي من أسماء كاف ،

وليس لسقمها إذ طال شاف .

قلنا : والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء . ومذهبنا فيه التوقيف فنقول : إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلم الله جل ثناؤه أنه علمها آدم عليه السلام ، وقد قال جل وعز « علمه البيان » ، فهل يكون أول البيان العلم بالحروف التي يقع بها البيان ؟ ولم لا يكون الذي علم آدم عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علمه الألف والباء والجيم والدال ؟ فأما من حكى عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال فأنما لم نزعهم أن العرب

(١) يعني أنه لم يعرف أن نصبه على الاختصاص . الشنقيطي

كلها مدرراً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العرب في قديم الزمان إلا كنعن اليوم : فما كلُّ يعرفُ الكتابة والخطَّ والقراءة ، و(أبو حية) كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبون منهم (أمير المؤمنين عليُّ) صلوات الله تعالى عليه و(عثمان) و(زيد) وغيرهم .

فحدثني أبو الحسنِ عليُّ بنُ ابراهيمَ القطَّانِ قال أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا ابن مَهْدِيٍّ عن ابن المبارك قال حدثني أبو وائل شيخٌ من أهل اليمن عن (هانيء) قال : كنت عند (عثمان) رضى الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى (أبي بن كعب) فيها « لم يتسنَّ » و « فأمهل الكافرين » و « لا تبديل للخلق » قال فدعا بالدواة فحأ إحدى اللامين وكتب « خلق الله » ومحا فأمهل وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنَّ » ألحق فيها هاء . أفىكون جهلُ (أبي حية) بالكتابة حجةً على هؤلاء الأئمة ؟

والذي تقوله في الحروف هو قولنا في الاعراب والعروض . والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الاعراب أنا نستقريء (١) قصيدة (الخطيئة) التي أولها :

شأقتك أظعانٌ ليلي -

دون ناظرة بواكر .

ف نجدُ قوافيها كلها عند الترتيم والاعراب تجيء مرفوعة ، ولولا علمُ

(١) الاستقراء : التتبع والاحصاء .

(الخطية) بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد - لا يكاد يكون .

فان قال قائل : فقد تواترت الرويات بأن (أبا الأسود) أول من وضع العربية، وأن (الخليل) أول من تكلم في العروض . قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول إن هذين العليين قد كانا قديماً وأنت عليهما الأيام وقللاً في أيدي الناس ، ثم جدهما هذان الامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الاعراب . وأما العروض فن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاقاً أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أومن قال منهم «إنه شعر» فقال (الوليد بن المغيرة) منكرًا عليهم «لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرء (١) الشعر ، هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك» أفيقول (الوليد) هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟

وقد زعم ناس أن علوماً كانت في القرون الأولى والزمن المتقدم ، وأنها درست وجددت منذ زمان قريب ، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة . وليس ما قالوا بعيد ، وان كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا .

فان قال : فقد سمعناكم تقولون إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا ، من أنها لا تجمع بين ساكنين ، ولا بتبديء بساكن ، ولا تقف على متحرك ، وأنها تسمي الشخص الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد . قلنا : نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعد ما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر إلى الموقف الأول .

(١) أقرء الشعر : جمع قرء بالفتح ويضم ، بمعنى النافية .

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعمله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ولم يَصَوِّروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل « الخبء » و « الذفء » و « الملاء » فصار ذلك كله حجة ، وحتى كرهه من العلماء ترك أتباع المصحف من كرهه .

فحدثني عبد الرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السمرّي عن (الفراء) قال « أتباع المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءة القراء أحب إليّ من خلافه » قال وقد كان (أبو عمرو بن العلاء) يقرأ « إن هذين لساحران » ولست أجترىء على ذلك . وقرأ « فأصدّق وأكون » فزاد واواً في الكتاب ولست استحبّ ذلك . »

والذي قاله (الفراء) حسن ، وما يحسن قول (ابن قتيبة) في أحرف ذكرها ، وقد خالف الكتاب المصحف في هذا .



باب القول في أن لغمة العرب

أفضل اللغات وأوسعها

قال جل ثناؤه « وانه لتزِيلُ ربّ العالمين ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ، لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان .

وقال جل ثناؤه « خَاقَ الْإِنْسَانَ ، عِلْمَهُ الْبَيَانُ » فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقهم وتفرّد بإنشائه ، من شمس وقر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكّمة والنشايأ المُنقّنة . فلما خصّ جل ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علم أن سائر اللغات قاصّرة عنه وواقعة دونه . فان قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربيّ ، لأن كلّ من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين . قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُربُّ عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان ، لأن الأَبْكُمْ قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكلماً ، فضلاً عن أن يُسمّى يَدِيناً أو بَلِيغاً . وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ، لأننا لو احتجنا أن نعبّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذلك ، وأين لسائر اللغات من السمة ما للغة العرب ؟ هذا ما لا يخفاء به على ذي نبيّة .

وقد قال بعضُ علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل

والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من اللسنة كما نقل الأنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء» لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول «ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد خفت منهم خيانة وتقضاً فأعلمهم أنك قد تقضت ما شرطه لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء» وكذلك قوله جل ثناؤه «فضربنا على آذانهم في الكهف».

فان قال قائل: فهل يوجد في سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: ان كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أو يُقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلي الأعلى خالق كل لغة ولسان، لكن الشعراء قد يومثون إيماءً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مرئيد تقاه لاعتاص وما أمكن إلا بمسوطٍ من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس:

فدع عنك نهباً صيحج في حجراته (١)

العربية فضلاً عن غيرها لطلال عليه. وكذا قول القائل:

(١) صدر بيت له من قصيدة يدم فيها (خالد بن سدوس)، قال (الشنقيطي) وتماه:

ولكن حديثاً ما حديث الرواحل.

وما هو بدون صدره في معناه.

- « والظنُّ على الكاذبِ » (١)
 و« نجارُها نارُها » (٢)
 و« عيٌّ بالأسنافِ » (٣)
 و« أنشأني يُرم لك »
 و« هو باقعة » (٤)
 و« قلبٌ لو رفع »
 و« على يدي فاخضم »
 و« وشأنك إلا تركه متفاقم »

وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات . ولو أراد معبرٌ بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والاختفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعي به . والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل .

(١) من قطعة في (حاسة أبي تمام) للحارث بن هجاء الشيباني ، والبيت الذي فيه هذه الجملة هو قوله :

أنا ابن زبابة ، ان تدعي
 آتتك ، والظن على الكاذب .

(٢) نجار الشيء : أصله . النار : السمة . يقال « ما زار هذه الناقة ؟ » أي ما سمعها . و« نجارها نارها » مثل يضرب في شواهد الأمور التي تدل على علم باطنها ، كما تدل سمة الأبل على أصلها .

(٣) السناب والاسناف : كلاب للفرس . قال (الزحشرى) في (أساس البلاغة) : عي فلان بالاسناف إذا دهش من النزاع كمن لا يدري أين يشد السناب قال :

إذا ماعني بالاسناف قوم
 من الهول المشبه أن يكونا .

(٤) قال (الزحشرى) في أساس البلاغة : « هو باقعة من البواقع » للكيس الدهابي من الرجال ، شبه بالطائر الذي يرد البقم — وهي المستقعات — دون المشارع خوف القناص .

ومما اختصت به لغة العرب - بعد الذي تقدم ذكرناه قلبهم الحروف عن جهاتها ، ليكون الثاني أخف من الاول ، نحو قولهم «ميعاد» ولم يقولوا «مِوَعاد» وهما من الوعد ، إلا أن اللفظ الثاني أخف .

ومن ذلك تركهم الجمع بين السَّاكِنَيْنِ ، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن . ومنه قولهم «ياحار» ميلاً الى التخفيف .

ومنه اختلاسهم الحركات في مثل :

فاليومَ أَشْرَبُ غيرَ مُسْتَحْقِبِ (١)

ومنه الادغام ، وتخفيف الكلمة بال حذف ، نحو «لَمْ يَكْ» و«لَمْ أَبْلُ»

ومن ذلك اضمارهم الافعال ، نحو «امرأ أتقى الله» و«أمر مبكياتك ،

لا أمر مضحكاتك» .

ومما لا يمكن نقله البتة أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة . ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وحدثني أحمد بن محمد بن بشار قال سمعت (أبا عبد الله بن خالويه

الهذلي) يقول : جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحية مائتين .

وأخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال

حدثنا (ابن أخي الأصمعي) عن عمه أن (الرشيد) سأله عن شعر (ابن

حزام العسكلي) ففسره ، فقال «يا أصمعي ، إن الغريب عندك لغريب غريب»

فقال «يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً؟»

(١) قال الشقيطي تمامه :

أما من الله ولا واغل .

وهذا كما قاله الأصمعي . ولكافي الكفاة (١) أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد .

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبر عن قولهم : ذات الزُمَيْن ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدهر ، وتجاوزت النجوم ، ومجت الشمس ريقها ، ودرأ النية ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصه ، وهو رَحْب العطن ، وغمر الرداء ، ويخلق ويفري ، وهو ضيق المَجَم ، قَلْب الوَضِين ، رابط الجأش ، وهو أَلوى ، بعيد المُسْتَمَر ، وهو شراب بَاتقع ، وهو جذُّيها المُحكَّك وعذيقها المُرجَّب ، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الأيماء اللطيف والأشارة الدالة .

وما في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر ، قال الله جل وعز « ولكم في القصص حياة » و « يحسبون كلَّ صيحة عليهم » ، « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها » و « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يُبني من الحق شيئاً » و « إنما بئعكم على أنفسكم » ، « ولا يُحيق المكر السيء إلا بأهله » وهو أكثر من أن تأتي عليه .

وللعرب بعد ذلك كَلِم تلوح في أثناء كلامهم كالمصاييح في الدُّجى ، كقولهم للجموع للخير : قُثوم ، وهذا أمر قائم الاعماق ، أسود النواحي واقتحف الشراب كله ، وفي هذا الأمر مصاعب وقُحَم ، وامرأة حية قديعة (٢) ، وتقادعوا تقادُع (٣) الفراش في النار ، وله قَدَمِ صدق ، وذ

(١) يريد به الصاحب بن عباد .

(٢) القعدة : القليلة الكلام ، الحية .

(٣) أي تابهوا تتابع .

أمر أنت أدرته ودبرته ، وتقاذفت بنا النوى ، واشتفَّ الشراب ، ولك قرعة
 هذا الأمر (خياره) ، وما دخلت لفلان قريرة (١) بيت ، وهو يهرّ القرينة
 إذا جاذبته ، وهم على قرو واحد (أي طريقة) ، وهؤلاء قرآينُ الملك ، وهو
 قشع (إذا لم يثبت على أمر) ، وقشبه بقميح (لطخه) وصبي قِصع (لا يكادُ
 يشبُّ) ، وأقبلت مقاصِرُ الظلام ، وقطّاعُ الفرسُ الخيلَ تقطيعاً (إذا خَلَّها) ،
 وليل أقمس (لا يكاد يبرح) ، وهو منزل قفر .

وهذه كلمات من قُرحة واحدة ، فكيف إذا جال الطرف في سائر
 الحروف مجاله؟ ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ولما حوته أجداد وأجداد .

(١) القريرة : سنف البيت .



باب القول على لغة العرب

وهل يجوز أن يحاط بها ؟

قال بعض الفقهاء « كلام العرب لا يحيط به إلا نبي » .
وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً . وما بلغنا أن أحداً ممن مضى
دعى حفظ اللغة كلها . فأما الكتاب المنسوب إلى (الخليل) وما في خاتمه
من قوله « هذا آخر كلام العرب » فقد كان الخليل أروع وأتقى لله جل ثناؤه
من أن يقول ذلك .

ولقد سمعت علي بن مهزوب يقول سمعت هرون بن هزاري يقول
سمعت (سفيان بن عيينة) يقول « من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من
الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد » . وأخبرني أبو داود سليمان بن
يزيد عن ذلك المصاحفي عن (النضر بن شميل) قال « كنا نميل بين (ابن
عون) و (الخليل بن أحمد) أيهما تقدم في الزهد والعبادة فلا ندري أيهما
تقدم » قال : وسمعت النضر بن شميل يقول « ما رأيت أعلم بالسنة بعد
ابن عون من الخليل بن أحمد » قال : وسمعت النضر يقول « أكلت الدنيا
بأدب الخليل وكتبه وهو في خص لا يشعر به » .

قلنا فهذا مكان الخليل من الدين ، أفتراه يقدم على أن يقول « هذا آخر

كلام العرب » ؟

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الاخلال ما لا خفاء به على علماء
اللغة ، ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه .

باب القول في اختلاف لغات العرب

اختلاف لغات العرب من وجوه :

أحدها - الاختلاف في الحركات كقولنا « نَسْتَعِين » و « نِسْتَعِين »
بفتح النون وكسرها . قال (الفراء) هي مفتوحة في لغة قريش ، وأسدٌ وغيرهم
يقولونها بكسر النون .

والوجه الآخر - الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم « معكم »
و « معكم » . أنشد الفراء :

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ

ورزق الله مؤتابٌ وغاد .

ووجه آخر - وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو « أولئك »
و « الألك » . أنشد الفراء :

أَلَيْكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً ،

وَهَلْ يَعْظُ الضَّلِيلَ أَلَيْكَا ؟

ومنها - قولهم « أن زيدا » و « عن زيدا » .

ومن ذلك - الاختلاف في الهمز والتلين نحو « مستهزؤن »
و « مستهزؤن » .

ومنها - الاختلاف في التقديم والتأخير نحو « صاعقة » و « صاقعة » .

ومنها - الاختلاف في الحذف والاثبات نحو « استحييت » و « استحييت »

و « صدّدت » و « أصدّدت » .

ومنها - الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو « أما »

زيد» و«أَيما زيد» .

ومنها - الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل «قضى» و«رمى»
فبعضهم يفتحهم وبعضهم يُميل .

ومنها - الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله ، فمنهم من يكسر
الأول ومنهم من يضمّ ، فيقولون «اشترَوُ الضلالة» و«اشترَوِ الضلالة» .
ومنها - الاختلاف في التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول
«هذه البقر» ومنهم من يقول «هذا البقر» و«هذه النخيل» و«هذا
النخيل» .

ومنها - الاختلاف في الادغام نحو «مهتدون» و«مهّدون» .
ومنها - الاختلاف في الاعراب نحو «ما زيد قائماً» و«ما زيد قائم»
و«إن هذين» و«إن هذان» وهي بالألف لغة (بني الحارث بن كعب)
يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك . وينشدون :

تروّد مِنّا بين أذناه ضربةً

دعته إلى هابي التراب عقيم .

وزهب بعض أهل العلم إلى أن الاعراب يقتضي أن يقال «إن هذان»
قال : وذلك أن «هذا» اسم منهوك ، ونهيكه أنه على حرفين أحدهما
حرف علة وهي (الألف) و(ها) كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء ، فلما
ثني احتيج إلى ألف التنبيه ، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية ، واحتيج
إلى حذف أحدهما فقالوا : ان حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف
واحد ، وان أسقطنا ألف التنبيه كان في النون منها عوض ودلالة على معنى

التثنية ، فحذفوا ألف التثنية .

فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم ، واحتاجوا الى إعراب التثنية - لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الأعراب واختلفه في التثنية والجمع انما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع ، فتركوها على حالها في النصب والخفض .

قال : ومما يدل على هذا المذهب قوله جل ثناؤه « فذاتك برهانان من ربك » لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلاً ، لأنه لم تكن للتثنية هاهنا علامة الأ نون وحدها ، فاذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية .

ومنها - الاختلاف في صورة الجمع نحو « أسرى » و « أسارى » .

ومنها - الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو « يأمرُكم » و « يأمرُكم » و « عني له » و « عني له » .

ومنها - الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل « هذه أمة » و « هذه امت » .

ومنها - الاختلاف في الزيادة نحو « أنظرُ » و « أنظورُ » . أنشد

الفراء :

الله يعلم أنا في تَلَفُّنَا

يوم الفراق - الى جيراننا - صُورُ ،

وأنتي حيث ما يَبْنِي الهوى بَصرِي

- من حيث ما سلكوا - أدنو فأنظورُ .

وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها، لكن هذا موضع اختصار، وهي وان كانت لقوم دون قوم فانها لما انتشرت تعاورها كل من الاختلاف - اختلاف التضاد، وذلك قول (حمير) للقائم «ثب» أي اقعده.

فحدثنا علي بن ابراهيم القطان عن المفسر عن القتيبي عن ابراهيم بن مسلم عن الزبير عن ظمياء بنت عبد العزيز بن مائلة قالت حدثني أبي عن جدي (مائلة) أن (عامر بن الطفيل) قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فوثبته وسادة، يريد فرشه إياها وأجلسه عليها. والوثاب: الفراش بلغة حمير. قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو «موثبان» يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو، ويقولون للرجل «ثب» أي اجلس.

وروي أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير فألقاه في مُتَصِدِّله على جبل مُشْرِف، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك «ثب» أي اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال «لتجدني أيُّرْهَرَه الملك مطواعاً» ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروا بقصته وغلطه في الكامة، فقال «أما أنه ليست عندنا عرييت: من دخلوا (ظفَّارِ) حَمْرٍ وظفار المدينة التي كان بها، واليها ينسب الجزع الظفاري كان أراد: من دخل ظفار فليتعلم الحميرية.

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين ، قال حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخشكي ، قال حدثنا (اسماعيل بن أبي عبيد الله) قال : أجمع علماءنا بكلام العرب ، والرؤاة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومخاطبهم أن (قريشاً) أفصح العرب السنة وأصفاً لغةً . وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم . فجعل قريشاً قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام ، وولاته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفلدون إلى مكة للحج ، ويتحاضرون إلى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكمهم بينهم . ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) لأنهم الصريح من ولد (اسماعيل) عليه السلام ، لم تشبههم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة ، فضيلة من الله — جل ثناؤه — لهم وتشريفاً . إذ جعلهم رهط نبيه الأذنين ، وعترته الصالحين .

وكانت قريش ، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة أسنتها ، إذا أتتهم لوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى تحاضرتهم وسلاقتهم التي طبعوا إليها . فصاروا بذلك أفصح العرب .

الأتري أنك لا تجد في كلامهم (عننة تميم) ولا (مخزمية قيس) ولا كشكشة أسد) ولا (كسكسة ربيعة) ولا الكسر الذي سمعه من أسد) و (قيس) مثل : « تعلمون » و « نعلم » ومثل « شعير » و « بعير » ؛

باب اللغات المذمومة

أما (العنفة) التي تذكر عن (تميم) - فقلبيهم الهمزة في بعض كلامهم
عينا. يقولون « سمعتُ عن فلانا قال كذا » يريدون « أن » .

وروي في حديث (قيلة) : « تحسب عني نائمة » قال (أبو عبيد
أرادت تحسبني، وهذه لغة تميم . قال (ذو الرمة) :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

ماه الصباة من عينيك مسجوم ؟

أراد « أن » جعل مكان الهمزة عينا .

وأما (الكشكشة) التي في (أسد) - فقال قوم : إنهم يريدون
الكاف شيئا فيقولون « عليش » بمعنى « عليك » . وينشدون :

فمناش عيناها ، وجيدش جيدها ،

ولونش - إلا أنها غير عاطل .

وقال آخرون : يصلون بالكاف شيئا ، فيقولون « عليكش » .

وكذلك (الكسكسة) التي في (ربيعة) - إنما هي أن يصلوا بالكاف

سينا ، فيقولون « عليكس » .

وحدثني علي بن أحمد الصبّاحي ، قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول

حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة ، فإذا اضطرُّوا إليها حوّلوها

التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخرجها .

فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء . مثل « بور »

اضطروا . فقالوا « فور » .

ومثلُ الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم — وهي لغة سائرة في اليمن — مثل « جمل » اذا اضطروا وقالوا « كمل » .

قال : والحرف الذي بين الشين والجيم والياء : في المذكر « غلابج » وفي المؤنث « غلاميش » .

فأما (بنو تميم) فانهم يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جداً فيقولون « القوم » فيكون بين الكاف والقاف ، وهذه لغة فيهم . قال الشاعر :

ولا أكرولُ لِكدرِ الكومِ : قد نضجت (١) ،

ولا أكرولُ لبابِ الدارِ : مكفولُ .

وكذلك الياء تجعل جيما في النسب . يقولون « غلابج » أي « غلامي » .

وكذلك الياء المشددة تحوّل جيما في النسب . يقولون « بصرج »

و « كوفج » قال الرازي :

خالي عويفُ ، وأبو عليّ ،

المطعمان اللحم بالعشج ،

وبالغداة فلق البرنج .

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها . كالكاف التي تحوّل

شيئاً .

قلنا : أما الذي ذكره (ابن ذرّيد) في « بور » و « فور » فصحيح .

وذلك أن بور ليس من كلام العرب ، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه

أن يُصيره فاءً . وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء . وأيُّ

ضرورة بالقائل الى أن يقلب الكاف شيئاً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة؟
ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات .

وأما من زعم أن (ولد اسماعيل) عليه السلام يُعَيرون (وَاَلِدَ قَحْطَانَ)
أنهم ليسوا عرباً ، ويحتجّون عليهم بأنّ لسانهم (الحِميرية) وأنهم يُسمّون
اللحية بغير اسمها — مع قول الله جلّ ثناؤه في قصة من قال : لا تأخذ
بليحيتي ولا برأسي — وأنهم يُسمّون الذئب « القلوب » — مع قوله
« وأخاف أن يأكله الذئب » — ويسمون الأصابع « الشنّار » — وقد
قال الله جلّ ثناؤه « يجعلون أصابعهم في آذانهم » — وأنهم يسمون
الصديق « الخلم » — والله جلّ ثناؤه يقول « أو صدّيقكم » — وما أشبه
هذا . فليس اختلافُ الألفاظ قادحاً في الأنساب .

ونحن وان كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، فلسنا نُتكر أن
تكون لكلّ قوم لغة . مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرب العاربة) ،
وأن من سواهم (العرب المتعرّبة) ، وأن (اسماعيل) عليه السلام بلسانهم
نطق ، ومن لغتهم أخذ ، وإنّا كانت لغةُ أبيه صلى الله عليه وسلم (العبرية)
وليس ذا موضع مفاخرة فنستقصي .

ومما يُفسد الكلام ويعيبه (الخزم) ولا نريد به الخزم المستعمل في
الشعر ، وإنما نريد قول القائل :

ولئن قومٌ أصابوا غرّةً ،

وأصبنا من زمان رققاً ،

للمدّ كُنّا لدى أزماننا

لَشَرِيحَيْنِ لِبَاسٍ وَتُقِي .

فزاد لاما على « لقد » وهو قبيح جدا .

ويزعم ناس أن هذا تأكيد كقول الآخر :

فلا والله لا يلقى لما بي ،

ولا لئلا بهم - أبدا - دوا .

فزاد لاما على « لما » وهذا أقبح من الأول . فأما التأكيد فإن هذا

لا يزيد الكلام قوة ، بل يمتبحه . ومثله قول الآخر :

وصاليات ككنا يوثقين .

وكل ذا من أغاليط من يغلط ، والعرب لا تعرفه .



باب القول في اللغمة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جل ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان قال حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد عن شيخ له (١) أنه سمع الكلبي يحدث عن أبي صالح عن (ابن عباس) قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات، منها خمس بلغة العَجْز من هَوَازن وهم الذين يقال لهم (عُليا هَوَازن) وهي خمس قبائل أو أربع، منها (سَعْدُ بن بكر) و(جَشْمُ بن بكر) و(نَضْر بن معاوية) و(ثَقِيف).

قال (أبو عبيد): وأحسب أفصح هؤلاء (بني سعد بن بكر) لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أنا أفصح العرب منذ أني من قريش وأنى نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مُسْتَرَضَعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء): أفصح العرب (عُليا هَوَازن) و(سُفلى تميم). وعن (عبد الله بن مسعود) أنه كان يَسْتَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من (مُضَر).

وقال (عمر): لا يُؤمِنَنَّ في مصاحفنا إلا غلمان (قريش) و(ثَقِيف). وقال (عثمان): اجعلوا المِغْيَى من (هَدِيل) والكتاب من (ثَقِيف). قال (أبو عبيد): فهذا ما جاء في لغات مُضَر. وقد جاءت لغات لاهل (اليمن) في القرآن معروفة. منها قوله جل ثناؤه «مُتَكِثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» فحدثنا أبو الحسن علي بن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا

(١) قال الشيخ: أظن الشيخ هشام بن محمد. — (الأصل)

هشيم أخبرنا منصور عن (الحسن) قال: «كنا» يقال إنها بالحسبية .
 وقوله «هيت لك» يقال إنها بالحوثرانية . قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء .
 قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، وأنه
 كله بلسان عربي، يتأولون قوله جل ثناؤه «إنا جعلناه قرآنا عربيا»
 وقوله «بلسان عربي مبين» .

قال (أبو عبيد): والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب
 فيه تصديق القولين جميعاً . وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية - كما قال
 الفقهاء - إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بالسنن، وحولتها عن
 ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه
 الحروف بكلام العرب . فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية
 فهو صادق .

قال: وإنما فسرنا هذا لثلاثا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ،
 ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أراه الله جل
 وعز ، وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن .

قال أحمد بن فارس: ليس كل من خالف قائلًا في مقالته فقد نسبته
 إلى الجهل . وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن يخالف
 بعضهم بعضاً . ثم خلف من بعدهم من خلف ، فأخذ بعضهم بقول وأخذ
 بعض بقول ، حسب اجتهادهم وما دللهم الدلالة عليه . فالقول إذن ما قاله أبو
 عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره .

فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيد ، فقد أعظم وأكبر؟
 قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير . وذلك أن القرآن لو كان فيه

من غير لغة العرب شيء ، لتوهم متوهم أن العرب انما عجزت عن الايتان
بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه .
وإذا كان كذا فلاوجه لقول من يميز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية
لأن الفارسية ترجمة غير معجزة . وانما أمر الله جل ثناؤه بقراءة القرآن
العربي المعجز . ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير
والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها ، وهذا
لا يقوله أحد .

باب القول في مأخذ اللغته

تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما ، فهو يأخذ
اللغة عنهم على مرّ الأوقات .
وتؤخذ تلقّناً من ملقّن .
وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ، ويقتفى المظنون .
فحدثنا علي بن ابراهيم عن المعدّاني عن أبيه عن معروف بن حسان (١)
عن الليث عن (الخليل) قال : ان النحارير رُبّما أدخلوا على الناس ما ليس
من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيّت .
قلنا فليتحرّ أخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق
والعدالة . فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا . والله جل ثناؤه
نستهدي التوفيق ، وانيه نرغب في إرشادنا لسبيل الصدق ، انه خير
موفق ومعين .

(١) أبو مازد معروف بن حسان . — (الأصل)

باب القول في الاحتجاج باللغة العربية

لغة العرب يحتاج بها فيما اختلف فيه ، اذا كان أيام أقرانك . قال (أبو بكر) : ومن العظيم أن علياً وعمر رضي الله عنهما قد قالوا «القرنؤ الحينز» فهل يُجترأ على تجهيلهما باللغة ؟

ومنها قوله في قوله جل ثناؤه « حرّض المؤمنين على القتال » أنه أراد الذكور دون الاناث . قال : وهذا من غريب ما يغلط فيه مثله . يقول الله جل ثناؤه « يا بني آدم ! » أفترأه أراد الرجال دون النساء ؟

قال ابن داود : وإن قبيحاً مفترط القباحة بمن يعيب (مالك بن أنس) بأنه لحن في مخاطبة العامة بأن قال « مضرنا البارحة مطرأي مطراً » أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا . لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلحنون فيما يخاطب بعضهم بعضاً اتقاء للخروج عن عادة العامة فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة ، وإنما العيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة والله المستعان .

فلذلك قلنا : إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم ، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء .

وكذلك الحاجة الى علم العربية ، فإن الاعراب هو الفارق بين المعاني . الأثرى أن القائل اذا قال « ما أحسن زيد » لم يفرق بين التعجب والاستفهام والنمّ الا بالاعراب . وكذلك اذا قال « ضرب أخوك أخانا » و « وجهك وجه حر » و « وجهك وجه حر » وما أشبه ذلك من الكلام المشبهة .

هكذا وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال

« أعرّبوا القرآن » .

وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤنه اجتناباً لهم
بعض الذنوب . فأما الآن فقد تجوزوا حتى أن المحدث يحدث فيلحن .
والفقيه يؤلف فيلحن . فأذا نُبها قالوا : ما ندري ما الأعراب وإنما نحن محدثون
وفقهاء . فهما يسران بما يساء به النبيب .

ولقد كُتبت بعض من يذهب بنفسه ويراه من فقه الشافعي بالرتبة
العليا في القياس ، فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ، ومن أي شيء هو ؟
فقال : ليس عليّ هذا وإنما علي إقامة الدليل على صحته .
فقل الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ،
ولا يدري ما هو . ونعوذ بالله من سوء الاختيار .



باب القول على لغة العرب

هل لها قياس ، وهل يُشتقُّ بعض الكلام من بعض ؟

أجمع أهل اللغة - الأ من شدّة عنهم - أن لغة العرب قياساً ، وأن العرب اشتقُّ بعض الكلام من بعض .

وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان . وأن الجيم والنون تدلانَّ أبداً على الستر . تقول العرب للدرع : جنّة . وأجنّه الليل . وهذا جنين ، أي هو في بطن أمه أو مقبور .

وأن الإِنس من الظهور . يقولون : آنست الشيء : أبصرته .

وعلى هذا سائر كلام العرب ، علم ذلك من علم وجهله من جهل . قلنا : وهذا أيضاً مبنيٌّ على ما تقدم من قولنا في التوقيف . فإن الذي وقّمنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقّمنا على أن الجن مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وإبطان حقائقها . ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً بقيسها الآن نحن .

باب القول على أن لغة العرب لم تنته اليها بكليتها

وأن الذي جائنا عن العرب قليل من كثير .

وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله .

ذهب علماؤنا أو أكثرهم الى أن الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الأقل . قال : ولو جائنا جميع ما قالوه لجائنا شعر كثير وكلام كثير .

وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحا . لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب ، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه ، بل يسلك طريق الاحتمال والامكان .

ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الاغراء « كَذَبَكَ كَذَا »
وعما جاء في الحديث من قوله « كَذَبَ عَلَيْكَ الْحَجُّ » و « كَذَبَكَ الْمَسَلُّ »
وعن قول القائل :

كذبتُ عليكم أو عدوني وعللوا
بي الأرض والأقوامَ قردانَ مَوْظِلًا .
وعن قول الآخر :

كذِبَ العَيْقُ وماءَ شَنِّ باردٍ
إن كنتِ سائِلي غُبوقًا فاذْهَبِي .
ونحن نعلم أن قوله « كَذِبَ » يبعُد ظاهره عن باب الاغراء .
وكذلك قولهم « عَنكَ فِي الارضِ » و « عَنكَ شَيْئًا » وقول الأقبوه :

عَنكُمْ فِي الارضِ إنا مَذْحِجٌ
ورُويداَ يَفْضَحُ اللَيْلَ النِّهَارُ .

ومن ذلك قولهم « أعمدٌ من سيّد قتلته قومه ؟ » أي « هل زاد ؟ »
فهذا من مشكل الكلام الذي لم يفسر بعد . قال ابن ميادة :

وأعمدٌ من قوم كفاهم أخوهم
صدام الأعادي حين فُلت نيوها ؛

قال الخليل وغيره « معناه هل زدنا على أن كفيينا ؟ » وقال أبو ذؤيب :

صخبُ الشوارب لا يزالُ كأنه
عبدُ لآلِ أبي ربيعة مُسبِعُ .

فقوله « مسبِعُ » ما فُسرَ حتى الآن تفسيراً شافياً .
ومنه قول الأعشى :

ذاتُ غُربٍ ترمي المقدمَ بالردِّ -

ف ، اذا ما تتابع الأرواق .

وقوله في هذه القصيدة :

المهين ما لهم في زمان الـ

جذب ، حتى اذا أفاق أفاقوا .

ومن هذا الباب قولهم « يا عيد مالك » و « يا هيء مالك » و « يا شئ

مالك » .

ولم يفسروا قولهم « صه » و « ويهك » و « إنيه » ولا قول القائل :

بجائيك الحق يهتفون وحي هل .

ويقولون « خائبكما » و « خائبكم » .

فأما (الزجرُ والدعاء) الذي لا يفهم موضوعه - فكثير . كقولهم :

«حي» و«حي هلاً» و«بعين ما أرى نك» - في موضع أَعْجَلَ . و«هَجَّ»
و«هَجَّأ» و«دَعَّ» و«دَعَا» و«لَعَا» - للعائر يدعون له . وينشدون :

وَمَطِيَّةٌ جَمَلَتْ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ

حَرَجٌ تَنَمَّى مِلَّ عِنَارٍ بَدَّعَدَعٍ .

ويروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تقولوا : دَعَدَعٌ
ولا لَعَلَعٌ ، ولكن قولوا : اللهم ارفعْ وانقِعْ . » فلولا أن للكاملتين معنى
مفهوما عند القوم ما كرههما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكتولهم في الزجر «أخِرٌ» و«أخِرِي» و«ها» و«هالا» و«هاب»

و«ارحبي» و«عدى» و«عاج» و«باعاط» و«يعاط» وينشدون :

وما كان على الجيء ولا الهبيء امتداحيكاً .

وكذلك «إجد» و«أجدم» و«حدج» لا نعلم أحداً فسره هذا .

وهو باب يسكثر ويصحح ما قلناه .

ومن المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال وما هو

بغريب اللفظ لكن الوقوف على كنهه معنأص - قولنا «الحين» و«الزمان»

و«الدهر» و«الأوان» - إذا قال القائل أو حلف الخالف «والله لا كلمته حيناً

ولا كلمته زماناً أو دهرأ» .

وكذلك قولنا «بضع سنين» مشتبه . وأكثر هذا مشكل لا يتصرف بشيء

منه على حد معلوم .

ومن الباب قولهم في الغنى والفقرو في الشريف والكريم واللثيم ، إذا

قال «هذا لأغنياء أهلي» أو «فقرائهم» أو «أشرفهم» أو «كرامهم»

أو «لثامهم». وكذلك ان قال «امنوه سفهاء قومي» لم يمكن تحديد السفه. ولقد شاهدت منذ زمان قريب قاضياً يريد حجراً على رجل مكتهل . فقلت « ما السبب في حجره عليه؟ » فقال « يزعم انه يتصيد بالكلاب وأنه سفیه » فقريء على القاضي قوله جل ثناؤه « وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم » فأمسك القاضي عن الحجر على الكهليل .

وكذلك اذا قال « مالي لذوي الحسب » أو « امنوه السئلة » وما أشبه هذا مما يطول الباب بذكره فلا وجه في شيء من هذا غير التقريب والاحتمال ، وعلى اجتهاد الموصى اليه أو الحاكم فيه . والا فان تحديده حتى لا يجوز غيره بعيد .

وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه . وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم نحن من قولنا « عبسور » في الناقة و« عيسجور » و« امرأة ضناني » و« فرس أشق أمق خبق » ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا الا الرسم الذي نراه .

وعلماء هذه الشريعة، وان كانوا اقتصروا من علم هذا على معرفة رسمه دون علم حقائقه، فقد اغتاضوا عنه دقيق الكلام في أصول الدين وفروعه من الفقه والفرائض . ومن دقيق النحو وجايله . ومن علم العروض الذي يربي بحسنه ودقته واستقامته على كل ما يبيح به الناسون أنفسهم الى التي يقال لها الفلسفة . ولكل زمان علم ، وأشرف العلوم علم زماننا هذا والحمد لله .

باب انتهاء الخلاف في اللغات

تقع في الكلمة الواحدة لُتان . كقولهم « الصِّرام » و « الصَّرام » .
و « الحِصاد » و « الحَصَاد » .

وتقع في الكلمة ثلاث لغات . نحو « الزَّجاج » و « الزِّجاج » و « الزَّجاج »
و « وَشَكَانَ ذَا » و « وُشَكَانَ ذَا » و « وِشَكَانَ ذَا » .

وتقع في الكلمة أربع لغات . نحو « الصِّدَاق » و « الصَّدَاق »
و « الصَّدُوقَة » و « الصُّدُوقَة » .

وتكون منها خمس لغات . نحو « الشَّال » و « الشَّمِل » و « الشَّمَل »
و « الشَّامِل » و « الشَّمَل » .

وتكون فيها ست لغات : « قُنْطَاس » و « قِنِطَاس » و « قُضْطَاس »
و « قُنْطَاس » و « قُنْطَاط » و « قِنِطَاط » .

ولا يكون أكثر من هذا .

*
*
*

والكلام بعد ذلك أربعة أبواب :

الباب الأوَّل - المجمع عليه الذي لا علة فيه ، وهو الأكثر والأعم .
مثل : الحمد والشكر ، لا اختلاف فيه في بناء ولا حركة .

والباب الثاني - ما فيه لغتان وأكثر إلا أن إحدى اللغات أفصح .
نحو « بِنْدَادَ » و « بِنْدَادَ » و « بِنْدَانِ » هي كلها صحيحة ، إلا أن « بِنْدَادَ »
في كلام العرب أصحُّ وأفصح .

والثالث ما فيه لغتان أو ثلاث أو أكثر ، وهي متساوية ، كـ « الحِصَاد »

و« الحِصَادِ ». و« الصِّدَاقِ » و« الصِّدَاقِ » ، فأياً ما قال القائل فصحيح
فصحيح .

والباب الرابع - ما فيه لغة واحدة ، إلا أن المولدين غيروا فصارت
ألسنتهم بالخطأ جاريةً . نحو قولهم « أَصْرَفَ اللهُ عَنْكَ كَذَا » و« إِنْتِجَاصِ »
و« إِمْرَأَةً مُطَاعَةً » و« عَرِقَ النِّسَاءَ » بكسر النون ، وما أشبه ذا .
وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى (أبو العباس ثعلب) كتابه المسمى
(فصيح الكلام) أخبرنا به (أبو الحسن القطان) عنه .

باب مراتب الكلام

في وضوحه وإشكاله .

أما واضح الكلام - فالذي يفهمه كل سماع عرف ظاهر - كلام العرب .

كقول القائل : شربت ماء ، ولقيت زيدا .

وكما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله « حرمت عليكم الميتة

والدم والحمل الخنزير » وكقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا استيقظ

أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً . »

وكقول الشاعر :

إن يحسدوني فاني غير لأئيمهم :

قبلي - من الناس - أهل الفضل قد حسدوا .

وهذا أكثر الكلام وأعمه .

وأما المشكل - فالذي يأتيه الاشكال من غرابة لفظه ، أو أن تكون

فيه إشارة الى خبر لم يذكره قائله على جهته ، أو أن يكون الكلام في شيء

غير محدود ، أو يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط ، أو تكون ألفاظه

مشتركة .

فأما المشكل لغرابه لفظه - فقول القائل « يملخ في الباطل ملخاً

ينفض مذرويه » وكما أنه قيل « أيدالك الرجل المرأة ؟ » قال « نعم ، إذا

كان ملفجاً » ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « فلا تغضوبوهن » ، « ومن

الناس من يعبد الله على حرف » ، « وسيداً وحضوراً » ، « ويبرئ الأكمة »

وغيره مما صنّف علماءنا فيه كتب غريب القرآن . ومنه في حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « على التيمّة شاة . والتيمّة لصاحبها . وفي الشيوب الخمس لا خلط ولا وراط ولا سناق ولا شغار . من أجبي فقد أربى » وهذا كتابه الى الأقبال العبّاهلة . ومنه في شعر العرب :

وقائم الأعماق شاز بمن عوه

مضبورة قرّوا هز جاب فتق .

وفي أمثال العرب « باقعة » و « شراب بأثقع » و « مخربق لينباع » .

والذي أشكل لايماء قائله الى خبر لم يهصح به - فقول القائل « لم أفر »

يوم عشرين » و « رويدا سوكك بالقوارير » وقول امرئ القيس :

دع عنك نهبا صيح في حجراته .

وقول الآخر :

ان العصا قرعت لذي الحلم .

وفي كتاب الله جل ثناؤه مالا يعلم معناه الا بمعرفة قصته ، قوله جل

ثناؤه « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله » وفي أمثال

العرب « عتي الغوير أبو ساء » .

والذي يشكل لانه لا يحدّد في نفس الخطاب - فكقوله جل ثناؤه

« أقيموا الصلاة » فهذا يحمل غير مفصل حتى فسره النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم .

والذي أشكل لوجازة لفظه - قولهم :

الغمرات ثمّ ينجلينا

والذي يأتيه الاشكال لاشترك اللفظ - قول القائل :

وضَعُوا اللُّجَّ عَلَى قَفِيٍّ .

وعلى هذا الترتيب يكون الكلام كله في الكتاب والسنة وأشعار

العرب وسائر الكلام .

باب ذكر ما اختصت به العرب

من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب - الاعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منتهوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعمت من تأكيد .

وذكر بعض أصحابنا أن الاعراب يختص بالأخبار ، وقد يكون الاعراب في غير الخبر أيضاً . لأننا نقول « أزيد عندك ؟ » و « أزيداً ضربت ؟ » فقد عمل الاعراب وليس هو من باب الخبر .

وزعم ناس يتوقف عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمون الفلاسفة قد كان لهم إعرابٌ ومؤلفاتٌ نحو . قال أحمد بن فارس : وهذا كلام لا يعرج على مثله . وإنما تشبه القوم آنفاً بأهل الاسلام ، فأخذوا من كتب علمائنا ، وغيرُوا بعض ألفاظها ، ونسبوا ذلك الى قوم ذوي أسماء منكروة بتراجم بَشَعَةٍ لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها .

وادعوا مع ذلك أن للقوم شعراً ، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء ، نَزَبَ

الجلالوة ، غير مستقيم الوزن .

بلى ، الشِّعرِ شعْرِ العرب ، ديوانهم وحافظ مآثرهم ، ومقيّد أحسابهم ،
ثم للعرب العروض التي هي ميزان الشِّعر ، وبها يُعرف صحبته من سقيمته .
ومن عرف دقائقه وأسراره وخفائيه علم أنه يُرَبِّي على جميع ما ينجحُ
به هؤلاء الذين يتحلون معرفة حقائق الأشياء . من الأعداد والخطوط
والنقط التي لأعرف لها فائدة غير أنها مع قلة فائدتها تُرِقِّ الدين ، وتنتج
كل مانعوذ بالله منه .

وللعرب حفظ الأنساب وما يُلم أحدٌ من الأئم عني بحفظ النسب
عناية العرب . قال الله جلّ ثناؤه « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » فهي آية ما عملَ بمضمونها غيرُهم .
ومما خصَّ الله جلّ ثناؤه به العرب طهارتهم ونزاهتهم عن الأدناس
التي استباحها غيرهم من مخالطة ذوات المحارم . وهي منقبة تعلو بحمالها
كلّ مآثرة والحمد لله .



باب الأسباب الاسلامية

كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلكهم وقرابينهم . فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوالهم ، ونُسخت دياناتهم ، وأبطلت أمورهم ، ونُقِلت من اللثة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر ، زيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت . فعفى الآخر الأول ، وسُئِل القوم - بعد المناورات والتجارات وتطلب الأرباح والسدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الاغرام بالصيد والمأقرة والمياسرة - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتعمق في دين الله عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الاسلام .

فصار الذي نشأ عليه آبائهم ونشأوا عليه كأن لم يكن وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب الموارث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُونَ وحُفِظ حتى الآن .

فصاروا - بعد ما ذكرناه - الى أن يُسئل إمام من الأئمة وهو يُخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات . وذلك قول أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه حين سُئل عن ابنتين وأبوين وامرأة « صار ثمنها تسعاً » فسميت (المنبرية) .

والى أن يقول هو صلوات الله عليه على منبره والمهاجرون والأنصار متوافرون « سلوني ، فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ،

أم في سهل أم في جبل» وحتى قال صلوات الله عليه وأشار الى ابنه «يا قوم، استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون» والى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده، كالشتركة، ومسئلة المباهلة والعراء، وأم الفروخ، وأم الأرامل، ومسئلة الامتحان، ومسئلة ابن مسعود، والأكدرية، ومختصرة زيد، والخرقاء، وغيرها مما هو أغمض وأدق.

فسبحان من تقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما ألفوه ونشأوا عليه وغدوا به، الى مثل هذا الذي ذكرناه. وكل ذلك دليل على حق الايمان وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

فكان مما جاء في الاسلام — ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً سُمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً. وكذلك الاسلام والمسلم، انما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق اليربوع. ولم يعرفوا في النسق إلا قولهم «فسقت الرطوبة» إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن النسق الاخفاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه.

ومما جاء في الشرع — الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء. وقد كانوا عرفوا

الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة، فقالوا:

أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ، غَوَّاصُهَا

بِهِجَّ ، مَتَى يَرَهَا يُهَلِّ وَيَسْجُدُ . (١)

وقال الاعشى :

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ -
طَوَّرًا سَجُودًا ، وَطَوَّرًا جُورًا .

والذي عرفوه منه أيضا ما أخبرنا به علي بن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد
قال ، قال (أبو عمرو) « اسجد الرجل : طاطا وانحنى » قال حميد بن ثور :

فَضُولَ أَزْمَتِهَا أَسْجَدَاتِ
سَجُودَ النَّصَارَى لِأَرْبَابِهَا .

وأنشد :

فَقَلْنِ لَهُ : أَسْجُدْ لِلَّيْلِ ، فَاسْجُدَا .
يَعْنِي الْبَعِيرَ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ لَتَرَّ كَبَهُ .

وهذا وإن كان كذا فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من
الأعداد والمواقيت والتحریم للصلاة ، والتحليل منها .
وكذلك القيام أصله عندهم الإمساك ويقول شاعرهم :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وَأُخْرَى غَيْرُ صَائِمَةٍ
تَحْتَ الْعَجَاجِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْأِ .

ثم زادت الشريعة النية ، وحظرت الأكل والمباشرة وغير ذلك من
ميراثع الصوم .

(١) البيت لزيد بن معاوية نابتة بني ذبيان من قصيدته في وصف المنجدة والبيت الذي قبل هذا :

قامت رأني بين سجنى كلة .

كالشمس يوم طوعها بالأسمد .

وكذلك الحجُّ ، لم يكن عندهم فيه غير القصد ، وسبَّ الجراح . من ذلك قولهم :

وأشهدُ من عوفٍ حلولاً كثيرةً ،

يُحجُّون سبَّ الزَّبرقان المزغفراً .

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره . وكذلك الزكاة ، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء ، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لاطالة الباب بذكره .

وعلى هذا سائر ما تركناه ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه . فالوجه في هذا اذا سئل الانسان عنه ان يقول في الصلاة اسمان لغويٌّ وشرعيٌّ ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ، ثم ما جاء الاسلام به . وهو قياس ما تركناه ذكره من سائر العلوم ، كالنحو والعروض والشعر : كل ذلك له اسمان لغويٌّ وصناعيٌّ .



باب القول في حقيقة الكلام

زعم قوم أن « الكلام ما سُمع وفُهم » وذلك قولنا « قام زيد »
و « ذهب عمرو » .

وقال قوم « الكلام حروف مؤلّفة دالة على معنى » .

والقولان عندنا مُقاربان ، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا
بحروف مؤلّفة تدل على معنى .

وقال لي بعض فقهاء بغداد : إن الكلام على ضربين مهمّل ومستعمل .
قال : فالمهمّل « هو الذي لم يوضع للفائدة » والمستعمل « ما وضع ليفيد »
فأعلمته أن هذا كلام غير صحيح ، وذلك أن المهمّل على ضربين : ضربٌ لا
يجوز ابتسلاف حروفه في كلام العرب بِنَّةً ، وذلك كجيم تؤلّف مع كاف أو
كاف تقدّم على جيم ، وكمين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا وما
أشبهه لا يأتلف .

والضرب الآخر ما يجوز تألّف حروفه لكن العرب لم تقل عليه ،
وذلك كإرادة مرید أن يقول « عضخ » فهذا يجوز تألّفه وليس بالنافر ، ألا
ترام قد قالوا في الأحرف الثلاثة « خضع » لكن العرب لم تقل عضخ .
فهذان ضربا المهمّل .

وله ضرب ثالث وهو أن يريد مرید أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف
ليس فيها من حروف الذّلق أو الاطباق حرف .

وأبي هذه الثلاثة كان فاته لا يجوز أن يسمّى « كلاماً » لما ذكرناه

من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد. وأهل اللغة لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقل عليها العرب . فقد صح ما قلناه من خطأ من زعم أن المهمل كلام .

باب أقسام الكلام

أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة : اسم وفعل وحرف .
فأما الاسم - فقال سيبويه « الاسم نحو رجل و فرس » وهذا عندنا تمثيل ، وما أراد سيبويه به التحديد ، إلا أن ناساً حكوا عنه أن « الاسم هو المحدث عنه » وهذا شبيه بالقول الأول لأن « كيف » اسم ولا يجوز أن يحدث عنه .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن داود الفقيه يقول سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المبرِّد) يقول : مذهب سيبويه أن « الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً » قال : وذلك أن سيبويه قال « ألا ترى أنك لو قلت إن يضرب يأتينا وأشبه ذلك لم يكن كلاماً ، كما تقول إن ضاربك يأتينا » قال : فدل هذا على أن الاسم عنده ما صلح له الفعل .

قال : وعارضة بعض أصحابه في هذا بأن « كيف » و « عند » و « حيث » و « أين » أسماء وهي لا تصلح أن تكون فاعلة . والدليل على أن أين وكيف أسماء قول سيبويه « الفتح في الأسماء قولهم كيف وأين » فهذا قول سيبويه والبحث عنه .

وقال الكسائي « الاسم ما وُصِفَ » وهذا أيضاً معارض بما قلناه من

كيف وأين أنهما اسمان ولا يُعتان .

وكان الفراء يقول « الاسم ما احتمل التنوين أو الاضافة أو الألف واللام » وهذا القول أيضاً مُعارض بالذمي ذكرناه أو نذكره من الأسماء التي لا تنوّن ولا تضاف ولا يُضاف إليها ولا يدخلها الألف واللام .
وكان الأخفش يقول « إذا وجدت شيئاً يحسنُ له الفعل والصفة نحو زيد قام وزيد قائم ثم وجدته يثنى ويُجمع نحو قولك الزيدان والزيدون ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم » . وقال أيضاً : ما حَسُنَ فيه « ينفعني » و « يضرُّني » .

وقال قوم : ما دخل عليه حرف من حروف الخفض . وهذا قول هشام وغيره . وله قول آخر : ان الاسم ما نودي . وكلّ ذلك مُعارض بما ذكرناه من كيف وأين ومن قولنا « إذا » وإذا اسم لحين . فحدثني علي بن ابراهيم القطان قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول حدثني أبو عثمان المازني قال : سألت الأَخْفَشَ عن « إذا » ما الدليل على أنها اسم لحين ؟ فلم يأت بشيء . قال : وسئِلَ الجَرْمِيُّ فَشَغَبَ . وسئِلَ الرِّيَاشِيُّ فَجَوَّدَ وقال : الدليل على أنها اسم للحين أنه يكون ضميراً ، ألا ترى أنك تقول « القتال إذا يقوم زيد » كما تقول « القتال يوم يقوم زيد » ؟ وقد أوماً الفراء في معنى « إذا » الى هذا المعنى .

وعاد القول بنا الى تحديد الاسم . فقال المبرد في كتاب (المُقْتَضَب) :
كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم فان امتنع من ذلك فليس باسم . وهذا معارض أيضاً بكيف وإذا وهما اسمان لا يدخل عليهما شيء من حروف الجر .

وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير وأبا محمد سلم بن الحسن يقولان
سُئِلَ الزَّجَّاجُ عَنْ حَدِّ الْأَسْمِ فَقَالَ : صَوْتٌ مُقَطَّعٌ مَفْهُومٌ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ
دَالٍ عَلَى زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ مُعَارِضٌ بِالْحَرْفِ وَذَلِكَ أَنَا قَوْلُ
« هَلْ » وَ « بَلْ » وَهُوَ صَوْتٌ مُقَطَّعٌ مَفْهُومٌ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ دَالٍ عَلَى
زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ .

وقول من قال « الاسم ما صلح أن ينادى » خطأ أيضاً لأن كيف
اسم وأين وإذا ، ولا يصلح أن يقع عليها نداء .
قال أحمد بن فارس : هذه مقالات القوم في حدّ الاسم يعارضها ما قد
ذكرته . وما أعلم شيئاً مما ذكرته سلم من معارضة . والله أعلم أي ذلك
أصح . وذكرك لي عن بعض أهل العربية أن « الاسم ما كان مستقراً على المسمى
وقت ذكره إياه ولا زمناً له » وهذا قريب .

باب الفعل

قال الكِسَائِيُّ « الفعل مادل على زمان » .

وقال سيديويه « أما الفعل فأمثله أَخَذَتْ من لفظ أَحْدَاثِ الأَسْمَاءِ وبنيت لما مضى ، وما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » فيقال لسيديويه : ذكرتَ هذا في أوّل كتابك وزعمتَ بعدُ أن « لَيْسَ » و « عَسَى » و « نَعَمْ » « بَيِّنَاتٌ » أفعال ، ومعلومٌ أنها لم تُؤخَذْ من مصادر . فان قلت : اني حَدَدْتُ أكثرَ الفعل وتركتَ أقلّه قيل لك : إن الحد عند النظار ما لم يَزِدْ المحدود ولم يَنْقُصْ ما هو له .

وقال قوم « الفعل ما امتنع من التثنية والجمع » . والرّدُّ على أصحاب هذه المقالة أن يقال : إن الحروف كلها ممتنعة من التثنية والجمع وليست أفعالاً .
وقال قوم « الفعل ما حسنت فيه التاء نحو قَتُّ وذهبتُ » وهذا عندنا غلط لأننا قد نسميه فعلاً قبل دخول التاء عليه .

وقال قوم « الفعل ما حسّن فيه أمس وغداً » وهذا على مذهب البصريين غير مستقيم ، لأنهم يقولون أنا قائمٌ غداً ، كما يقولون أنا قائمٌ أمس .
والذي نذهب اليه ما حكيناه عن الكِسَائِيِّ من أن « الفعل مادل على زمان نخرج ويخرج » دلّنا بهما على ماضٍ ومستقبل .

باب الحرف

قال (سيبويه) : وأما ما جاء لمعنى ، وليس باسم ولا فعل ، فنحو «نم»
و «سوف» و «واو القسم» و «لام الاضافة» .
وكان (الأخفش) يقول : ما لم يحسن له الفعل ولا الصفة ولا التثنية
ولا الجمع ولم يجز أن يتصرف - فهو (حرف) .
وقد أكثر أهل العربية في هذا ، وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه ، انه
الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل . نحو قولنا «زيد منطلق» ثم تقول
«هل زيد منطلق؟ فأفدنا : «هل» ما لم يكن في «زيد» ولا «منطلق» .



باب أجناس الأسماء

قال بـمضُ أهل العلم :

الأسماء خمسة - (اسم فارقٌ) و (اسم مُفَارِقٌ) و (اسم مُشْتَقٌّ)
و (اسم مُضَافٌ) و (اسم مُقْتَضٍ) .

فالفارق - قولنا « رجل » و « فرس » فرقنا بالاسمين بين شخصين .
والمفارق - قولنا « طفل » يفارقه اذا كبر .

والمشتق - قولنا « كاتب » وهو مشتق من « الكتابة » ويكون هذا
على وجهين : أحدهما مَبْنِيًّا على فَعَلَ وذلك قولنا « كتب فهو كاتب » ،
والآخر يكون مشتقاً من الفعل غير مَبْنِيٍّ عليه كقولنا « الرحمن » فهذا
مشتق من « الرحمة » وغير مَبْنِيٍّ من « رحم » .

وكل ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ ، لأن « الرحمن »
أبلغ من « الرحيم » لأننا نقول « رَحِمَ فهو راحم ورحيم » ونقول « قَدَرَ فهو
قادرٌ وقدير » . واذا قلنا « الرحمن » فليس هو من « رَحِمَ » وإنما هو من
« الرَّحْمَةِ » . وعلى هذا تجري النعوت كلها في قولنا « كاتب » و « كَتَّابٌ »
و « ضارب » و « ضَرُوبٌ » .

والمضاف - قولنا « كلٌّ » و « بـمضٌ » لا بد أن يكونا مضافين .
والمقتضي - قولنا « أخٌ » و « شريكٌ » و « ابنٌ » و « خصمٌ » كلُّ
واحد منها إذا ذُكِرَ اقتضى غيره ، لأن الشريك مقتضى شريكه والأخ
مقتضى آخره .

وقال بعضُ الفقهاء :

أسماءُ الاعيان خمسة - (اسم لازم) و (اسم مفارق) و (اسم مشتق) و (اسم مضاف) و (اسم مشبّهة) .

فاللازم - « انسان » و « سماء » و « أرض » لأن هذه الأسماء لا تنتقلُ من مسمياتها .

قال : والمفارق - اللقب الذي يُسمى نحو « زيد » و « عمرو » وقد يقع أيضاً بأن يقال : المفارق « الطفل » لانه اسم يزول عنه بكبره .

والمشتق - كـ « دابة » و « كاتب » .

والمضاف - قولنا « ثوبُ عمرو » و « جزءُ الشيء » .

والمشبّهة - قولنا « رجلٌ حديدٌ وأسدٌ » على وجه التشبيه .

قال : وجماعها أنها وُضِعَت للدلالة بها .

قلنا : وهذه قسمة ليست بالبعيدة .

باب النعته

النَّعْتُ - هو الوصف كقولنا « هو عاقل » و « جاهل » .
 وذُكر عن (الخليل) أن النعته لا يكون إلا في محمود ، وأن الوصف
 قد يكون فيه وفي غيره .
 والنَّعْتُ - يجري مجزئين : أحدهما تحليل اسم من اسم كقولنا « زيد
 العطار » و « زيد التميمي » خالصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه .
 والآخر على معنى المدح والذم نحو « العاقل » و « الجاهل » .
 وعلى هذا الوجه تجري أسماء الله جلَّ وعزَّ ، لأنه المحمود المشكور المثني
 عليه بكلِّ لسان ، ولا سميَّ له - جلَّ اسمه - فيخلص اسمه من غيره .

باب القول على الاسم

من أي شيء أخذ؟

قال قوم: الأسماء سمات دالة على المسميات، يُعرف بها خطاب المخاطب. وهذا الكلام محتمل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سمة كالعلامة والسيما. والآخر أن يقال: إنه مشتق من «السمة». فان أراد القائل أنها سمات على الوجه الأول - فصحيح. وإن كان أراد الوجه الثاني - فحدثني أبو محمد سلم بن الحسن البغدادي قال سمعت (أبا اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج) يقول: معنى قولنا «اسم» مشتق من «السمو» والسمو الرفة. فالأصل فيه «سمو» على وزن حمل وجمعه «أسماء» مثل قولك قنوا قنوا. وإنما جعل الاسم تنويهاً ودلالة على المعنى لأن المعنى تحت الاسم. ومن قال: إن اسماً مأخوذ من «وسمت» فهو غلط، لأنه لو كان كذا لكان تصغيره «وسيم»^(١) كما أن تصغير عدة وصلة: ووعيدة وووصيلة.

قال أبو اسحاق: وما قلناه في اشتقاق «اسم» ومعناه - قول لا نعلم أحداً فسره قبلنا.

قلت: وأبو اسحاق ثقة. غير أني سمعت أبا الحسين أحمد بن عليّ الأحول يقول سمعت أبا الحسين عبد الله بن سفيان النحوي الخزاز يقول سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المبرد) يقول: الاسم مشتق من «سما» إذا علا.

قال: وكان أبو العباس ربما اختصني بكثير من علمه فلا يُشركني فيه غيري.

(١) قال الشنيطي: صوابه «وسياً».

باب آخر في الأسماء

قد قلنا فيما مضى ما جاء في الاسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما . وقد كانت حدثت في صدر الاسلام أسماء ، وذلك قولهم لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية « مَخْضَرَم » . فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم قال حدثنا محمد بن عباس الخُشِكِي عن (اسماعيل بن أبي عبيد الله) قال : المخضرمون من الشعراء : من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الاسلام .

فمنهم (حسان بن ثابت) و (لبيد بن ربيعة) و (نابغة بني جمدة) و (أبو زيد) و (عمرو بن شاس) و (الزبير بن بدر) و (عمرو بن معدي كرب) و (كعب بن زهير) و (معن بن أوس) .

وتأويل المخضرم : من خضرت الشيء أي قطعته ، وخضرم فلان عطيته أي قطعها ، فسمي هؤلاء « مخضرمين » كأنهم قطعوا من الكفر إلى الاسلام . ويمكن أن يكون ذلك لأن رتبهم في الشعر تقصت لان حال الشعر تكاملت في الاسلام لما أنزل الله جل ثناؤه من الكتاب العربي العزيز . وهذا عندنا هو الوجه ، لأنه لو كان من القطع لكان كل من قطع إلى الاسلام من الجاهلية مخضرمًا ، والأمر بخلاف هذا .

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم : المِرباع ، والنشيط ، والفضول ، ولم نذكر الصفي لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد اصطنق في بعض غزواته وخص بذلك ، وزال اسم الصفي لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومما ترك أيضاً: الأتاوة، والمكس، والحلوان. وكذلك قولهم: إنعم صباحاً، وإنعم ظلاماً. وقولهم لذلك: أبيت اللعن. وترك أيضاً قول المملوك للمالك: ربي. وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. قال الشاعر:

وَأَسْلَمَنَ فِيهَا رَبًّا كَنُودَةً وَابْنَهُ

وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَمْرٍ عَمْرٍ

وترك أيضاً تسمية من لم يحجَّ «صُرُورَةً». فحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد - في حديث الأعمش - عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن (أبي موسى) قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا صُرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ» ومعنى ذلك فيما يقال: هو الذي يدعُ النكاح تبثلاً. حدثني علي بن أحمد بن الصباح قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول: أصل الصُرُورَةَ أن الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحرم لم يُهَجِّجْ وكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم قيل: هو صُرُورَةٌ فلا تهججه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يجتنب النساء وطيب الطعام: صُرُورَةً وصرورياً، وذلك عنى التابغة بقوله:

صُرُورَةٌ مَتَعَبِدٌ . (١)

أي منقبض عن النساء. فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام وأوجب إقامة الحدود بمكة وغيرها سمى الذي لم يحجَّ «صُرُورَةً» خلافاً لأمر الجاهلية، كأنهم جعلوا أن تركه الحج في الاسلام كترك التثأله إتيان النساء والتنعم في الجاهلية.

«١» من قصيدته في وصف (المتجردة) وتمام البيت قوله:

أو أنها عرضت لاشمط راهب

عبد الآله ضرورة متعبد.

ومما ترك أيضاً قولهم : الابل تُساق في الصّدق النّوافج . على أن من
العرب من كان يكره ذلك . قال شاعرهم :

وليس تِلادي من وِراثة والدي ،

ولا شان مالي مُستفادُ النّوافج .

وكانوا يقولون « تَهْنِكُ النّافِجَةُ » (١) مع الذي ذكرناه من كراهة ذوي

أقدارهم لها وللعقول . قال (جندلُ الطّهويّ) :

وَمَافَكَ رِقي ذاتُ خَلقِ خَبْرَ نَج

ولا شان مالي صُدقَةٌ وعقولُ .

ولكن نمانى كلُّ أبيضِ صارِم ،

فأصبحتُ أدري اليومَ كيف أقول .

ومما كرهه في الاسلام من الألفاظ قول القائل « خَبِثْتُ نَفسي » قال

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يقولن أحدكم خَبِثْتُ نَفسي » .

وكرهه أيضاً أن يقال : استأثر الله بفلان .

ومما كرهه العلماء قول من قال : سُنَّةُ أَبِي بكرٍ وعمر ، إنما يقال : فَرَضُ

الله جلّ وعزّ وسُنَّتُهُ ، وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم : حَجْرًا مَحْجورًا . وكان هذا

عندهم لمعنيين : أحدهما عند الحَرَمَانِ إذا سئِلَ الإنسان قال حَجْرًا مَحْجورًا ،

فيعلم السائل أنه يريد أن يجرمه . ومنه قوله :

(١) وتهنتك ، على الخبر .

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقَلَّتْ لَهَا :

حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَلِكِ الدَّهَارِيسُ •

والوجه الآخر : الاستعاذة . كان الانسان إذا سافر فرأى من يخافه قال : حَجْرًا مَحْجُورًا . أي حرام عليك التعرض لي • وعلى هذا فُسِّرَ قوله عز وجل « يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، ويقولون : حَجْرًا مَحْجُورًا » يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا .

باب ماجرى مجرى الأسماء

وإنما هي ألقاب

ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قولهم : مُدْرَكَةٌ وطابخة • وذلك في العرب على ثلاثة أضرب : ضربٌ مُدَح ، وضربٌ ذَم ، وضربٌ تَلْقُبُ الانسان لفعل يفعله •

فالمُدَح — تلقبيهم البَجْرَ والحَبْرَ والباقرَ والصادقَ والديباجَ وغيرهم .

والذم — فكتلقيهم بالوزغِ ورشحِ الحجرِ وما أشبه ذلك •

وأما اللقب المأخوذ من فعل يُفعل — فكطابخة ومُدْرَكَةٌ •

وقوله جل ثناؤه « وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » فقال (قتادة) : هو أن

تقول للرجل : يا فاسق يا منافق •

وروى الشعبي عن (أبي جبيّة بن الضحاك) - وأبو جبيّة رجل من

من الأنصار من بني سلمة - قال : فينا أنزلت هذه الآية ، وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم علينا ، وليس منا رجلٌ إلّا له لقبان أو ثلاثة

فجعل بعضنا يدعو بعضاً بلقبه ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل هو أحياناً يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب ، فقليل له : يارسول الله إنه يفضب من هذا ، فأنزل الله جل ثناؤه « ولا تَنَابَزُوا بِالْألقَابِ » .
وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد وتمر وأسد - فذهب علماءنا الى أن العرب كانت اذا ولد لأحدهم ابن ذكر سماه بما يراه أو يسمعه مما يتفأل به ، فان رأى حجراً أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر . وإن رأى ذنباً تأوّل فيه الفطنة والذكور والكسب . وان رأى حمراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة . وان رأى كلباً تأوّل فيه الحراسة وبُعد الصوت والإلْف . وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكره من هذه الأسماء .



باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص

على المجاورة والسبب .

قال علماؤنا : العرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب . وذلك قولهم « التيمم » لمسح الوجه من الصعيد ، وإنما التيمم الطلب والقصد . يقال : تيممتك وتأممتك أي تعمّدتك .

ومن ذلك تسميتهم السحاب « سماء » والمطر « سماء » وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبات سماء . قال شاعرهم :

إذا نزل السماء بأرض قوم

وربما سموا الشحم « ندى » لأن الشحم عن النبات والنبت عن الندى قال (ابن أحمَرَ) :

كثور العذاب الفرد يضربه الندى

تعلّى الندى في منته وتحدّرا .

ومن هذا الباب قول القائل :

قد جعلت نفسي في أديم

أراد بالنفس الماء وذلك أن قوام النفس بالماء .

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جل ثناؤه « وأُنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » يعني خلق . وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء ، والله جل ثناؤه ينزل الماء من السماء . قال : ومثله « قد أنزلنا عليكم لباساً » وهو جل ثناؤه إنما أنزل الماء ، لكن

اللباس من القطن ، والقطن لا يكون إلا بالماء . قال : ومنه قوله جل ثناؤه
 « وَلَيْسَتَعَفِّفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا » إنما أراد والله أعلم - الشيء يتلحح
 به من مهر ونفقة ، ولا بد للمتزوج به منه .

باب القول في أصول أسماء

قيس عليها وألحق بها غيرها

كان (الأصمعي) يقول : أصل « الورد » إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل
 شيء ورذاً . و « القرب » طلب الماء . ثم صار يقال ذلك لكل طلب ،
 فيقال « هو يقرب كذا » أي يطلبه و « لا تقرب كذا » .

ويقولون « رَفَعَ عَقِيرَتَهُ » أي صوته . وأصل ذلك أن رجلاً عقرت
 رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته ، فقليل بعد ذلك لكل من رفع
 صوته : رفع عقيرته .

ويقولون « بينهما مسافة » وأصله من « السوف » وهو الشم . ومثل
 هذا كثير .

قلنا : وهذا الذي ذكرنا عن (الأصمعي) وسائر ما تركنا ذكره
 لشهرته فهو راجع إلى الأبواب الأولى ، وكل ذلك عندنا توقيف على
 ما احتججنا له .

وقول هؤلاء : إنه كثر حتى صار كذا ، فعلى ما فسرناه من أن الفرع
 موقوف عليه ، كما أن الأصل موقوف عليه .

باب الأسماء كيف تقع على المسميات

يُسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام
كـرَجُلٍ وقرَسٍ .

وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، نحو « عين الماء » و « عين
المال » و « عين السحاب » (١) .

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة . نحو « السيف والمهند والحسام » .
والذي تقوله في هذا : ان الاسم واحد وهو « السيف » وما بعده من
الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فعناها غير معنى الأخرى .
وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع
الى معنى واحد . وذلك قولنا « سيف وعضب وحسام » .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر .
قالوا : وكذلك الأفعال . نحو : مضى وذهب وانطلق . وقعد وجلس . ورقد
ونام وجمع . قالوا : ففي « قعد » معنى ليس في « جلس » وكذلك القول فيما
سواه .

وبهذا تقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .
واجتج أصحاب المقالة الأولى بأنه : لو كان لكل لفظة معنى غير معنى
الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته . وذلك أننا نقول في « لاريب
فيه » : « لاشك فيه » ، فلو كان « الريب » غير « الشك » لكانت العبارة عن
معنى الريب بالشك خطأ . فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد .

(١) للمصنف قصيدة استعمل فيها العين بأكثر معانيها وقد أثبتناها في ترجمته التي صدرنا بها
هذا الكتاب . راجع صفحة [٦٥] .

قالوا : وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيذاً ومبالغة . كقولهم :

وهند أنى من دونها النأي والبعد . (١)

فقالوا : فالنأي هو البعد قالوا : وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الأصر .

ونحن نقول : إن في قعد معنى ليس في جلس . ألا ترى أننا نقول « قام ثم قعد » و« أخذهُ المقيمُ والمقعدُ » و« قعدتِ المرأةُ عن الحيض » . ونقول لناس من الخوارج « قعدتُ » ثم نقول « كان مضطجماً مجلساً » فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن « المجلس : المرتفع » فالجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجري الباب كله .

وأما قولهم : إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبرَ عن الشيء بالشيء . فإنا نقول : إنما عُبرَ عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ما قالوه . وإنما نقول إن في كل واحد منهما معنى ليس في الأخرى . ومن سُنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد . نحو « الجؤن » للأسود و« الجؤن » للأبيض . وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيءٍ وضده .

وهذا ليس بشيء . وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذکرنا رد ذلك

(١) البيت للخطيبه وصدده :

ألا خبدا هند وأرض بها هند .

وقضه ، فلذلك لم نكرره .

من ذلك « المائدة » لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام لأن المائدة من « مادني يميدني » اذا أعطاك . وإلا فاسمها « خوان » .

وكذلك « الكأس » لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب . وإلا فهو « قدح » أو « كوب » .

وكذلك « الحلة » لا تكون الاً ثوبين : إزار ورداء من جنس واحد فان اختلفا لم تدع حلة .

ومن ذلك « الطمينة » لا تكون طمينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة .

ومن ذلك « السجل » لا يكون سجلاً الاً أن يكون دلوآ فيه ماء .

و « اللحية » لا تكون لحية الاً شعراً على ذقن وأجبين^(١) .

ومن ذلك « الأريكة » وهي الحجلة على السرير لا تكون الاً كذا . فسمعت علي بن ابراهيم يقول سمعت ثعلباً يقول : الأريكة لا تكون الاً سريراً متخذاً في قبة عليه شواره ونجده^(٢) .

وكذلك « الذنوب » لا تكون ذنوباً الاً وهي مليء ، ولا تسمى خالية ذنوباً .

ومن ذلك « القلم » لا يكون قلماً الاً وقد برى وأصلح ، والاً

(١) اللحي ، بفتح اللام : عظم الحنك الذي عليه الاسنان ، ويكون من الانسان حيث ينبت الشعر وهو أعلى وأسفل ، وجمعه ألح ولحي مثل فلس وأفلس وفلوس .

(٢) الشوار : الزينة . والنجد : ما زين به البيت من الأساس والاروش والستور التي تشد على الحيطان والجمع نجوم .

فهو أنبوبة .

وسمعت أبي يقول : قيل لأعرابي « ما القلم ؟ » فقال « لا أدري »
ف قيل له « تَوَهَّمْهُ » فقال « هو عود قَلَمٍ من جانبه كتقليم الأظفور (١)
فسميَ قَلَمًا . »

ومن ذلك « الكوب » لا يكون إلا بلا عروة .
و « الكوز » لا يكون إلا بعروة .

(١) الأظفور : بوزن أسبوع وجمه أظافير بمعنى الظفر .



باب الاسمين المصطلحين

أخبرنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال ، قال الأصمعي : إذا كان أخوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُميا جميعاً باسم الأشهر ، قال الشاعر :

أَلَا مَنْ مَبْلُغُ « الْحُرَيْنِ » عَنِي
مُغْلَقَةً وَخُصَّ بِهَا أُيًّا ؟

وأحدهما هو (الحُرُّ) . وكذلك الزَّهْدَمَانِ والشَّعْلَبَتَانِ . (١)

ويكون ذلك في الألقاب كقولهم لَقَيْسٍ وَمُعَاوِيَةَ ابْنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ « الكَرْدُوسَانِ » وَلِعَبْسٍ وَذُؤْبَانَ « الأَجْرَبَانَ » .
وَذَكَرَ الأَبْوَابَ بِطَوْلِهَا . وَإِنَّمَا نَذَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رَسْمًا لِشُهْرَتِهِ .

(١) الزهدمان أخوان اسم أحدهما (زهدم) والآخر (كردم) قال قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء أجزى بالسكرامه

ومن ذلك (الدهرضان) وهما أن اسم أحدهما (دحرض) والآخر (وشيم) . قال عنتره :

شربت بماء الدهرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم



باب في زيادات الأسماء

ومن سنن العرب الزيادة في حروف الاسم ، ويكون ذلك إما للمبالغة وإما للتشويه والتقييح .

سَمِعْتُ مَنْ اِثِقُ بِهِ قَالَ : تَفْعَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ لِلتَّشْوِيهِ ، يَقُولُونَ لِلْبَعِيدِ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ الْمَفْرُطِ الطَّوْلُ « طِرِمَّاح » وَإِنَّمَا أَصْلُهُ مِنْ « الطَّرْح » وَهُوَ الْبَعِيدُ ، لَكِنَّهُ لَمَّا أَفْرَطَ طَوْلَهُ سُمِّيَ طِرْمَاحًا ، فَشُوِّهَ الْاسْمُ لِمَا شُوِّهَتْ الصُّورَةُ . وَهَذَا كَلَامٌ غَيْرُ بَعِيدٍ .

وَيَجِيءُ فِي قِيَاسِهِ قَوْلُهُمْ « رَعَّيْنُ » الَّذِي يَرْتَعِشُ وَ « خَلْبِنُ » وَ « زُرْقُمُ » لِلشَّدِيدِ الزُّرْقِ وَ « صِلْدِمِ » لِلنَّاقَةِ الصُّلْبَةِ ، وَالْأَصْلُ صِلْدُ وَ « شَدَقِمِ » لِلوَاسِعِ .

وَيَكُونُ مِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ لِلْكَثِيرَةِ التَّسْمَعُ وَالتَّنْظَرُ « سَمْعَنَةٌ » ، نِظْرَانَةٌ .
وَمِنَ الْبَابِ : كَبِيرٌ وَكُبَارٌ وَكُبَّارٌ . وَطُوَّالٌ وَطُؤَالٌ .



باب الحروف

قال أحمد بن فارس : هذا باب يصاح في أبواب العربية ، لكنني رأيت فقهاً يذكرون بعض الحروف في كتب الاصول ، فذكرنا منها ما ذكرناه على اختصار .

فأصل الحروف - الثمانية والمشرون التي منها تأليف الكلام كله . وتولد بعد ذلك حروف كقولنا « اصْطَبِرْ » و « ادَّكِرْ » تولدت الطاء لعله ، وكذلك الدال .

فأول الحروف (الهمزة) ، والعرب تفرد بها في عرض الكلام مثل « قرأ » ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداء .

ومما اختلفت به لغة العرب (الحاء) و (الظاء) . وزعم ناس أن (الصاد) مقصورة على العرب دون سائر الأمم .

قال أبو عبيدة : وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين للتعريف كقولنا « الرجل » و « الفرس » فليس في شيء من لغات الأمم غير العرب .

باب ذكر دخول (ألف التعريف ولامه) في الاسماء

تدخل ألف التعريف ولامه على اسمين : متمكن وغير متمكن . فالذي هو غير متمكن « الذي » و « التي » . والمتمكن قولنا « رجل » ثم يكون ذلك للجنس والتعريف . فالأول قولنا « رجل » لِمَنكِرٍ ، فإذا عهد مرة قيل « الرجل » . والجنس قولنا « كثر الدينار والدرهم » و « الذيب أخشاه إن مررت به » لا يريد به ذيباً بعينه ، إنما يريد أنه يخشى هذا

الجنس من الحيوان.

ويكون الألف واللام بمعنى (الذي) كقولنا «جاءني الضاربُ
عَمْرًا» بمعنى الذي ضرب عمراً.

وربما دخلا على الاسم وضعاً، لا لجنس ولا لشيء من المعاني كقولنا
«الكوفة» و«البصرة» و«البشر» و«الثرثار» (١).

وربما دخلا للتفخيم نحو «العباس» و«الفضل». وهذان هما اللذان
يدخلان في أسماء الله — جل وعز — وصفاته.

باب (الألف المبتدئة بها)

يقولون: أَلِفُ أَصْلٍ، وَأَلِفُ وَصَلٍ، وَأَلِفُ قَطْعٍ، وَأَلِفُ اسْتِفْهَامٍ،
وَأَلِفُ الْمُخْبِرِ عَنْ نَفْسِهِ.

فالألف التي للأصل قولنا «أنى يأتي». وألف القطع مثل
«أكرم». وألف الاستفهام نحو «أخرج زيد؟». وألف المخبر عن
نفسه نحو «أنا أخرج».

وألف الوصل — تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات. ففي
الأسماء قولنا «اسم» و«ابن» وفي الأفعال قولنا «اضرب». والتي تدخل على
الأدوات مختلف فيها: قال قوم هي الألف في قولك «أيم الله». والألف التي
تدخل على لام التعريف مثل «الرجل» وهذا في مذهب أهل البصرة. وكثيراً ما
سمعت (أبا سعيد السيرافي) يقول في ألف (الرجل) (ألف لام التعريف).
والكوفيون يقولون (ألف التعريف ولامه) وهما مثل «هل» و«بل».

(١) البشر والثرثار: اسمان لواديين.

بابُ وُجوهِ دُخولِ (الألف) في الأفعال

دخول الألف في الأفعال لوجوهٍ :

أحدها — أن يكون الفعل بالألف وغير الألف بمعنى واحد نحو قولهم «رَمَيْتُ عَلَى الْحَمْسِينَ» و «أَزَمَيْتُ» أي زِدْتِ و «عِنْدَ الْعِرْقِ» إذا سال و «أَعْنَدَ» .

والوجه الآخر — أن يتغير المعنيان ، وإن كان الفعلان في القياس راجعين إلى أصل واحد نحو «وَعَيْتُ الْحَدِيثَ» و «أَوْعَيْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوَعَاءِ» . ومن هذا الباب «أَسْقَيْتُهُ» إذا جعلت له سُقْيَا و «سَقَيْتُهُ» إذا أنت سقَيْتَهُ . والوجه الثالث — أن يتضاد المعنيان بزيادة الألف نحو «تَرَبَّ» إذا افْتَقَرَ و «أَتَرَبَّ» إذا اسْتَمْتَنَى .

والوجه الرابع — أن يكون الفعلان لشئئين مختلفين ، فيكون بغير ألف لشيء وبالألف لشيء آخر . من ذلك «حَيَّ الْقَوْمَ بَعْدَ هُزَالٍ» إذا حسنت أحوالهم و «أَحْيَوْا» إذا حَيَّتْ دَوَابَّهُمْ .

والوجه الخامس — أن يكون بالألف بمعنى العَرْضِ وبغير ألف لانفاذ الفعل نحو «بِعْتُ الْفَرَسَ» إذا أمضيت بيعه و «أَبَعْتُهُ» إذا عرضته لبيع . والوجه السادس — أن يكون بالألف إخباراً عن مجيء وقت نحو «أَحْضَدَ الزَّرْعُ» حان له أن يُحْضَدَ .

والوجه السابع — أن يكون دالاً على وجود شيء بصفة نحو «أَحَدَّتْ الرَّجُلُ» إذا وجدته محموداً .

والوجه الثامن — أن يدل على إتيان فعل نحو «أَخَسَّ الرَّجُلُ» أي بَخَسَّ يَسِيئاً .

وتكون الألف للتعديّة نحو «أذهبتُ زيداً».

وربما كانت هذه الألف للشيء نفسه (١)، ويكون الفاعل ذلك (٢) بلا ألف نحو «أقشع الغيم» و«قشمته الريح»، و«أترفت البئر» ذهب ماؤها و«ترفأها نحن»، و«أنسل ريش الطائر» سقط و«نسلته أنا»، و«أك على وجهه» قال الله جل ثناؤه «أفن يمشي مكباً على وجهه» و«كبه الله» قال الله جل ثناؤه «فكبت وجوههم في النار».

باب شرح جملة تقدمت (٣) في (ألفات الوصل)

ألفات الوصل — تكون في صدور الأسماء والأفعال والأدوات ويذكر أهل العربية أنها تيف وأربعون ألفاً — على تكرير يقع في بعضها — لأن الذي يذكر منها في المصادر مكرراً في الأفعال .

فأما التي في الأسماء فتسع عشرة ألفاً . وهي على ضربين : الف في اسم لم يصدر عن فعل ، فالألفات في الأسماء التي لم تصدر عن الأفعال ثمان : ألف «ابن» و«ابنة» و«اثنين» و«اثنتين» و«امريء» و«امرأة» و«اسم» و«الف ثمانية . والألفات في الأسماء الصادرة عن الأفعال هي التي في «اقتطاع» و«اقتطاع» و«استعطاف» و«ارتداد» و«احمرار» و«اسحنكك» و«اقشعرار» و«اخرواط» و«اغرياء» و«اطواف» و«ايقال» . وهذه تكون في الإذراج ساكنة وإذا ابتدئ بها كانت مكسورة .

وأما التي في الأفعال — فتثلاث : منها في الأمر بالفعل الثلاثي . مثل

(١) أي عند ما يكون لازماً . (٢) عند التعدي . (٣) تقدم ذكر ألف الوصل في (باب الألف المتدهيا) .

« اضْرِبَ ، اعْلَمَ ، اقْتُلْ » ، ومنها في الأفعال الماضية التي صدرت عنها الأسماء المتقدم ذكرها إحدى عشرة ألفاً وهي : اِفْعَلْ ، وَاِنْمَعَلْ ، وَاِسْتَفْعَلْ ، وَاِفْعَلْ ، وَاِفْعَالٌ ، وَاِفْعَمَلٌ ، وَاِفْعَمَلٌ ، وَاِفْعَمَلٌ ، وَاِفْعَمَلٌ ، وَاِفْعَمَلٌ ، وَاِفْعَمَلٌ . وقد ذكرنا ترجمة هذه الأمثلة .

ثم تقع هذه الألفات بعينها في الأفعال المستقبلية المأمور بها وهي : اِفْعَلْ ، وَاِسْتَفْعَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ ، وَاِفْعَمَلْ .

وقد أعلمت أن فيها تكريراً ليكون الباب أبلغ شرحاً .

وأما التي تقع في الأدوات — فقليلة على اختلاف فيها ، وإنما هي في قولهم « ائِمُّ الله » . والألف التي مع اللام في قولنا « الرجل » . وموضع الاختلاف أن الألف في « ائِمُّ » مقطوعة صحيحة . وهي بالهمزة أشبه منها بألفات الوصل ، إلا أن تقول « ائِمُّ الله » بالكسر فيكون حينئذ أشبهه بألف الوصل .

والألف التي مع اللام قد تقدم ذكرها .

باب (الباء)

الباء من حروف الشَّهْ . ولذلك لا تأتلف مع الفاء والميم : أما الفاء فلا تقارنهما باء متقدمة ولا متأخرة . وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقة لها بوجه . ومتأخرة كذلك إلا في قولنا « شَبِمٌ » . وقد يدخل بينهما دخيل في مثل « عِبَامٌ » وهي على الأحوال يُقَالُ تَأْتِيهَا مَعَهَا .

وهي من الحروف الأصلية ، وما أعلمهم زادوها في شيء من ابنية

كلامهم ، إلا في حرف قاله الأغلب :
فَلَاكُ ثُدَيَاهَا مَعَ التُّوبِ .
أراد « التُّوبُ » فزاد الباء .

والباء تكون للالصاق ، وللإعمال ، وفي موضع « عن » ، وفي موضع
« من » ، وتكون للمصاحبة ، وتقع موقع « مع » ، وتقع موقع « في » و « على » ،
وتكون للبدل ، ولتعديّة الفعل ، والسبب ، وتكون دالة على نفس المُخْبِرِ
عنه وظاهرها يُؤمِّنُ أن الإخبارَ عن غيره ، ومنها المُلتصِّقَةُ بالاسم والمعنى
الطرح ، ومنها بقاء الابتداء ، ومنها بقاء القسم .

فالالصاق — قولك « مسحت يدي بالأرض » . ومن أهل العربية من
يقول « مررت بزيد » أنها للإصاق ، كأنه ألصق المرورَ به . وكذا إذا
قال « هزأت به » .

والإِعْتِمَالُ — قولنا « كتبت بالقلم » و « ضربت بالسيف » . وذكر
ناس أن هذه والتي قبلها سواء .

والباء الواقعة موقع « عن » قولهم — « سألت به » إنما أردت عنه .
ومنه « سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ » . ومنه :
وسائِلَةٌ بَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرِ

والباء الواقعة موقع « من » — في قوله جل ثناؤه « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ
اللَّهِ » أراد منها . و :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدَّحْرَضِيِّنِ (١) .

(١) من معلقة (عنترة بن شداد) وتتمام البيت قوله :

شربت بماء الدحرضيين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

وباء المصاحبة - « دخل فلان بثيابه وسيفه » وقوله عز وجل « وقد دخلوا بالكفر » ومنه « ذهبته به » لأنك تكون مصاحباً له .

والباء التي في موضع « في » قوله :

ما بكاء الكبير بالأطلال .

والتي في موضع « على » قوله :

أرب يبول الثعلبانُ برأسه (١) ؟

أراد « على » .

وباء البدل - قولهم « هذا بذاك » أي عوض منه . ومنه :

قالت بما قد أراهُ بصيرا .

وباء تمديدية الفعل - « ذهبته به » بمعنى « أذهبته » . وقوله جل ثناؤه

« أسرى بعده » ليس من ذا ، لأن سرى وأسرى واحد .

وباء السبب - قوله جل ثناؤه « والذين هم به مشركون » أي من أجله .

فأما قوله جل وعز « وكانوا بشركتهم كافرين » فيحتمل أن يكونوا كفروا بها وتبرأوا منها . ويجوز أن تكون باء السبب ، كأنه قال « وكانوا من أجل شركتهم كافرين » .

والباء الدالة عن نفس المخبر عنه والظاهر أنها لغيره - قواك « لقيت

بفلان كريماً » إنما أردته هو نفسه . ومنه قوله :

ولم يشهد الهيجاً بالوث معصم .

يقول : إن الناقة شربت من ماء (دحرض) وماء (وشيع) - وديان منا (الدحرضين) على التفليب - ونفرت عن حياض أديلم خوفاً وفزعاً ، لأنها حياض أرض الاعداء .
(١) تكلمته :

لقد ذل من بات عابيه الثعالب .

أراد نفسه .

والزائدة - قولك « هَزَزْتُ برأسي » و « لا يَقْرَأُ بالسُّورِ »

وباء الابتداء - قولك « باسمِ الله » المعنى أبدأ باسمِ الله .

وباء القسم - « أَقْسِمُ باللهِ » ثم يَحذفُ « أقسم » فيقال « باللهِ » .

فاذا أرادوا أن يَتَسَمَّوا بِمُضْمَرٍ لم يَقولوه إلاَّ بالباء ، يقولون « واللهِ » فاذا

أضمرُوا قالوا « به لا فعلت » قال :

ألا نادَتْ أُمَّةٌ بِأَرْتِحَالِ

لِتُجْزِيَنِي ، فلا بِكَ ما بَالِي (١) .

فأما قوله جل ثناؤه « ولم يَنْبِيْ بِمُخْلِقِيْنَ » ، « بقادر » فقال قوم الباء في

موضعها وأن العرب تعرف ذلك وتفعله . قال امرؤ القيس :

فان تَنَّا عنها حَقَبَةً لم تُلَاقِها

فأنكَ مما أَحَدَّتْ بِالْمُجْرَبِ (٢) .

وقال قوم : إنما هو « بِالْمُجْرَبِ » بكسر الراء ، ويكون معناه « كالمُجْرَبِ »

كما قال عدي :

إني والله - فأقبل حَلَّتِي -

بأبيلٍ كُلِّما صَلَّى جَأْرُ .

قالوا : معناه « كإبيل » وهو الراهب وبمنازلته في الدين والتقوى .

(١) من أبيات لغوية بن سلمي بن ربيعة اختارها أبو تمام في حاشيته وفي رواية « بأعمال » بدل

« بأرتحال » والمعنى واحد .

(٢) من قصيدته التي وصف بها فرسه والصيد عند منازل به (عائمة بن عبدة) فمذاكرا

الشعر وادعاه كل واحد منهما فنجاكم امرؤ القيس هذه القصيدة وعلاقة بقصيدة مثلها الزوجة امرئ

القيس فحكمت لعائمة ، فطلقها الاول وتزوجها الثاني .

ومن روى بيت امرئ القيس بالفتح فالمعنى « بموضع التجريب » كما قال جلّ ثناؤه « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » أي بحيث يفوزون. وكذلك « بالمجرّب » أي بحيث جرّبت وبحيث التجريب ، والمجرّب والتجريب واحد. كقولهم « ممزّق » بموضع تمزيق في قوله جلّ ثناؤه « ومزقناهم كلّ ممزّق » .

بابُ (التاء)

التاء — تزداد في الكلام اولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة: فزيادتها في الأسماء اولى في نحو « تنضُب (١) » و« تتفُل (٢) » . وفي الفعل « تفعل » وما أشبهه . والثانية نحو « اقتدر » . والثالثة « استفعل » . والرابعة « سَنَبَتُهُ من الدهر » لأن الأصل « سَنَبَةٌ » . والخامسة مثل « عفريت » . والسادسة مثل « عنكبوت » .

ومن التاء — تاء القسم نحو « تالله » . قالوا: هي عَوْض من الواو كقولهم « تُجَاه » و« تُكْلَان » .
وتقع في جمع المؤنث نحو « قاتمات » .
وتكون بدلاً من الهاء في لغة من يقول « ليست عندنا عربيت » .
وتاء — تدخل على « ثمَّ » و« رَبِّ » و« لا » ، كقولهم ثُمّت ورُبّت ولاتِ حِين . وناس يقولون: هي داخلة على « حين » .
وتاء المؤنث — نحو « هي تفعل » .
وتاء النفس — نحو « فَعَلْتُ » و« فَعَلتَ » في المخاطبة . و« فَعَلتِ »

(١) نوع من الشجر . (٢) اسم دويبة .

و « فَعَلَّتْ » في الاخبار عن المؤنث .

وتاء — تكون بدلاً من سين في بعض اللغات . أنشد ابن السكيت :

يا قَبِيحَ اللَّهِ بين السَّعَلَاتِ

عَمْرُو بن مسعود شرارِ النَّاتِ (١)

وأما (التاء)

فلا أعرف لها علةً ، ولا تقع زائدةً .

وكذلك (الجيم)

إلا في الذي ذكرناه من اللغات المستكربة .

و (الحاء) و (الخاء)

لا أعرف لهما علةً .

و (الدال)

لا علة لها إلا في لغة من يقلب التاء دالاً . فحدثنا علي عن محمد بن فرح

عن سلمة عن الفراء قال : قوم من العرب يقولون « أَجْدِيكَ » في موضع

« أَجْتِيكَ » يجعلون تاءَ الافتعال بعد الجيم دالاً . ويقولون « أَجْدَ مَعُوا » .

وأنشد :

فقلت لصاحبي : لا تحبسانا

بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَأَجْدِرَ شَيْحَا .

و (الزاء)

لا أعرف لها علةً .

(١) تكناه :

ليسوا أعناء . ولا أكيات .

وكذلك (الزاي)

إلا في قولهم «رَازِيٌّ» و«مَرَوَزِيٌّ» (١).

وأما (السين)

فإنها تزداد في «استفعل». ويختصرون «سَوَّفَ أَفْعَلُ» فيقولون «سَأَفْعَلُ».

ولا أعرف (للشين) علة غير الذي ذكرناه في الحروف المستكرهه. وكذلك في الحروف التي بعدها حتى (العين).

وعلة (العين) أنها تقوم مقام الهمزة في لغة (بني تميم) يقولون «علمت عن ذلك» كأنما أراد «أن».

وكذلك الحروف التي بعدها حتى (الفاء).

باب (الفاء)

قال البصريون «مررت بزيد فعمرو: الفاء أشركت بينهما في المرور وجعلت الأول مبدؤاً به».

وكان الأخفش يقول «الفاء تأتي بمعنى الواو» وأنشد:

بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ. (٢)

وخالفه بعضهم في هذا فقال: ليس في جعل الشاعر الفاء في معنى الواو فائدة، ولا حاجة به إلى أن يجعل الفاء في موضع الواو ووزن الواو كوزن الفاء. قال: وأصل الفاء أن يكون الذي قبلها علة لما بعدها. يقال

(١) رازي: نسبة إلى (الري) مدينة في فارس. و مروزي: نسبة إلى (مرو) مدينة أيضا.

(٢) مطلع معلقة (اسري القيس) و صدره:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل

« قام زيد فقام الناس » .

وزعم الأَخفش أن الفاء تُزاد، يقولون « أَخوك فَجَهَدَ » يريد أَخوك جَهَدَ ، واحتجَّ بقوله جل ثناؤه « فأنَّ له نارَ جَهَنَّمَ » .

وكان قُطْرُب يقول بِقَوْلِ الأَخفش ، يقول : إن الفاء مثلُ الواو في « بين الدخولِ فَحوْمَلِ » قال : ولولا أن الفاء بمعنى الواو لفسد المعنى ، لأنَّه لا يريد أن يُصِيرَه بين (الدَّخولِ) أولاً ثم بين (حَوْمَلِ) وهذا كثير في الشعر .

وتكون الفاء جواباً للشرط . تقول « إن تَأْتَنِي فَحَسَنٌ جَمِيلٌ » ومنه قوله جل ثناؤه « والذين كفروا فتعسا لهم » دخلتِ الفاء لأنَّه جعل الكفر شريطة كأنه قال : ومن كفر فتعسا له .

وأما (القاف)

فلا أعلم لها علة إلا في جعلهم إياها عند التعريب مكان الهاء نحو « يَلْمُقُ » .

باب (الكاف)

تقع الكاف مخاطبة : للمذكر مفتوحة ، وللمؤنث مكسورة . نحو « لَكَ » و « لَكَ » .

وتدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم . نحو « زيد كالأسد » وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلاً من الاعراب ، ولذلك يقولون « مررت بكالأسد » أرادوا بمثل الأسد . وأنشدوا :

على كالحنيف السَّحْقُ يدعو به الصدى ،

له قلبٌ عاديةٌ وصُحُونُ

فأما الكاف في قوله جل ثناؤه «أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ؟» فقال
 البصريون: هذه الكاف زائدة، زيدت لمعنى المخاطبة. قال محمد بن يزيد:
 وكذلك رُوِيَتْكَ زِيداً. قال: والدليل على ذلك أنك إذا قلت أرأيتك
 زيداً؟ فانما هي أرأيت زيداً؟ لأن الكاف لو كانت اسماً لاستحال أن تُعَدَى
 «أرأيت» إلى مفعولين إلا والثاني هو الأول. يريد قولهم «أرأيت زيداً
 قائماً؟» لا يتعدى «رأيت» إلى مفعولين إلا إلى مفعول هو «زيد» ومفعول
 آخر هو «قائم» فالأول هو الثاني. قال: و«أرأيتك زيداً؟» الثاني غير
 الكاف، قال: وإن أردت رؤية العين لم يتعد إلا إلى مفعول واحد. قال: ومع
 ذلك إن فعل الرجل لا يتعدى إلى نفسه فيتصل ضميراً إلا في باب «ظننت»
 و«علمت». فأما ضربتني وضربتك فلا يكون. وكذلك إذا قلت «رُوِيَتْكَ
 زيداً» انما يراد «أرود زيداً» قال الزجاج: الكاف في هذا المكان لا موضع
 لها لأنها ذكرت في المخاطبة تأكيداً. وموضع هذا نصب بـ «أرأيتك؟» .
 وقال الكوفيون: إن محل هذه الكاف الرفع إذا قلنا «لولاك» فهي في موضع
 رفع. ثم تقول «لولا أنت» وإنما صالح هذا لأن الصورة في مثل هذا صورة
 واحدة في الرفع والنصب والخفض.

وتكون الكاف دالة على البعد. تقول «ذا» فإذا بعد قلت «ذاك» .
 وتكون الكاف زائدة كقوله «ليس كمثل شيء» .
 وتكون للعجب نحو «ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة» .

باب (اللام)

اللام - تقع زائدة في موضعين: في قولهم «عبدل» وفي قولهم «ذلك» .

واللام تكون مفتوحة ومكسورة: ففي المفتوحات (لام التوكيد) وربما قيل (لام الابتداء) نحو قوله جل ثناؤه «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً». وقال:

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ (١).

وتكون خبراً لـ «ان»: «إِنْ زَيْدًا لِقَائِهِ».

ولام التوكيد: «إِنْ هَذَا لَأَنْتِ».

وتكون في خبر الابتداء نحو «أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجُوزٍ».

وزعم ناس أنها تقع صلة لا اعتبار بها. ويزعم أنه اعتبر ذلك من قراءة بعض القراء «إِلَّا أَنْتُمْ لِيَأْ كَلُونَ» ففتح «أَنْ» وألغى اللام. وأنشد بعض أهل العربية:

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ

مَتَى ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ،

وَأَنْ لِسَانَ الْمَرْءِ - مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

حِصَاةٌ - عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ (٢).

ولام تكون جواب قسَم «وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ» وتلزمها النونُ فإن كانت للماضي لم يُحْتَجَّ إِلَى النونِ «وَاللَّهُ أَقَامَ».

ولام الاستغاثة نحو قولهم «يَا لِلنَّاسِ» فإن عَطَفْتَ عَلَيْهَا أُخْرَى

(١) البيت من قصيدة ليسور بنت بحدل في تفضيل البداوة وبساطتها على الحضارة وزخرفها، أنشأتها عند ما حجبها من البادية إلى قصر معاوية بن أبي سفيان في دمشق.

(٢) البيتان لطرفة بن العبد البكري من قصيدته التي أنشدها في عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرند ومطلعهما قوله:

لهند بحران الشريف طولول تلوح وأدنى مهدهن بحيل.

وفي رواية «إذا ذل» مكان «متى ذل» و«الحصاة» التي في البيت الثاني بمعنى العقل والرأي.

كسرت . يُشِدُون :

يُكِيكَ نَاءَ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ
بِالْكَهُولِ وَالشَّبَّانِ وَالشَّيْبِ (١)

قال بعض أهل العلم : إن لام الاضافة تجيء لمعان مختلفة :
منها أن تصير المضاف للمضاف إليه . نحو « ولله مافي السموات » .
ومنها أن تكون سبباً لشيء وعلة له . مثل « انما نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ » .

ومنها أن تكون إرادة . نحو « قُمتُ لِأُضْرِبَ زَيْدًا » بمعنى قمت أريد
ضربه .

ومنها أن تكون بمعنى « عند » مثل قوله جل ثناؤه « أَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي » و « لِدُلُوكِ الشَّمْسِ » أي عنده .

ومنها أن تكون بمنزلة « في » . مثل قوله جل وعز « لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »
أي في أول الحشر .

ومنها أن تكون لمرور وقت . نحو قول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا

لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعٍ (٢)

ومنه قولهم « غلام له سنة » أي أنت عليه سنة .

وتكون بمعنى « بعد » مثل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

(١) بروية النجويون في الشواهد : بالكهول وللشبان للجب .

(٢) من قصيدته التي يمدح بها (العمان بن المنذر) ويمتدح اليه ويهجو (مرة بن ربيعة) ١١

قذف عليه عند العمان . ومطابها :

عفا (ذوحسا) من (فرتنا) فالقوارع فجنبنا أرييك فالنلاع الدوافع

« صوموا لرؤيته » أي بعد رؤيته .

وتكون للتخصيص . نحو « الحمد لله » وفي الكلام « الفصاحة لقريش
والصباحة لبني هاشم » .

وتكون للتعجب . نحو « لله درّه ! » وينشدون :

لله يبقى على الأيام ذو حيدٍ
بمُشْمَخِرٍ به الظيَّانُ والآسُ . (١)

ويقولون « يا للعجب ! » معناه : يا قوم تعالوا الى العجب وللعجب ادعوا .
وقد تجتمع التي للنداء والتي للعجب فيقولون :

الأيال قوم لطيف الخيال
يؤرِّقُ من نازح ذي دلال .

وتكون للأمر . نحو « ليَقْضُوا نَفْسَهُمْ » وربما حُذفت هذه فيقولون :

محمد تَقَدَّ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ (٢)

وقالوا في لام الأمر : كان الأصل « اذهب » فلما سقطت الألف

لم يوصل إلى الفعل إلا بلام ، لأن الساكن لا يبدأ به .

وقوله جل ثناؤه « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ » فقال

قائل : لم جاز أن تكون المغفرة جزاءً لما أمَّن به عليه وهو قوله « إِنَّا فَتَحْنَا

لك فتحاً » ؛ فالجواب من وجهين : أحدهما أن الفتح وان كان من الله جلَّ

ثناؤه فكل فعل يفعله العبد من خير فالله الموفق له والميسر ، ثم يجازي عليه ،

فتكون الحسننة من العبد منةً من الله جل وعز عليه ، وكذلك جزاؤه له عنها

(١) من شواهد سيبويه .

(٢) تكلمته : إذا ماخفت من شيء تبالا .

مِنَّةٌ . والوجه الآخر أن يكون قوله جل ثناؤه « إذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ » ورأيت الناس يدخلون في دينِ اللهِ أفواجا فسبح بحمدِ ربِّكَ واستغفره » فأمره بالاستغفار إذا جاء الفتح ، فكأنه أعلمه أنه إذا جاء الفتح واستغفر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكان المعنى على هذا الوجه : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، فإذا جاء الفتح فاستغفر ربك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . وقال قوم : فتحنا لك في الدين فتحاً مبيناً لتبتهدي به أنت والمسلمون فيكون ذلك سبباً للغفران .

ومن اللامات لام العاقبة . قوله جل ثناؤه « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً . » وفي أشعار العرب ذلك كثير :

جارت لتطعمه لحماً ويفجمها

يابن ، فقد أطعمت لحماً وقد فجما .

وهي لم تجيء لذلك ، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك ، لكن سارت العاقبة

ذلك .

ومن الباب قوله جل ثناؤه « ربنا ليضلوا عن سبيلك » أي : آتيتهم زينة الحياة فأصارهم ذلك إلى أن ضلوا . وكذلك قوله جل ثناؤه « فتأبعضهم ببعض ليقولوا ... » هي لام العاقبة .

وتكون زائدة . نحو « هم لربهم يرهبون » و « لارؤيا تعبرون » .

باب زيادة (اليم)

واليم تزداد أولى في مثل : مُفَعِّلٌ وَمَفَعِّلٌ وَمَفَعَّلٌ وغير ذلك .

وتزداد في أواخر الأسماء . نحو : زُرُقْمٌ وَشَدَقْمٌ .

و (النون)

تراد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة .

فالأولى - « نَفَعَلْ » . وقالوا « نَزَجِس » وليس نرجس من كلام العرب ،

والنون لا تكون بعدها راء .

والثانية - نحو « نَاقَةٌ عَنَسَلَتْ » .

والثالثة - في « قَلَنَسُوَّة » .

والرابعة - في « رَعَشَن » .

والخامسة - في « صَلَتَان » .

والسادسة - في مثل « زَعْفَرَان » .

وتكون في أول الفعل للجمع . نحو « نَخْرَج » .

وعلاوة للرفع في « يَخْرُجَان » فاذا قلنا الرجلان فقال قوم هي عوض من الحركة

والتنوين . وقال آخرون : هي فرق بين الواحد المنصوب والاثنين المرفوعين .

وتقع في الجمع نحو « مَسْمُون » وربما سقطت فقالوا « الحافظ عورة

المشيرة^(١) » .

وتكون ثانية فعل المطاوعة نحو « انكسر » و « بَغِيَتْهُ فَانْبَغَى » .

وتكون للتأكيد مُخَفِّقَةً ومُثَمِّلَةً . نحو « اضْرِبْ بِن » و « اضْرِبْ بِن » إلا

أنها تقلب عند التخفيف في الكتاب ألفاً . نحو « لَنَسَهُمَا » .

وتكون للمؤنثة . نحو « تَفْعَلِينَ » وللجماعة « تَفْعَلْنَ » .

وتُلْحَقُ آخر الاسم في « زِيدٌ خَرَجَ » فَرَّقَ بين المفرد والمضاف .

(١) من بيت لدرهم بن زيد الانصاري وهو :

والحافظ عورة المشيرة لا يأتيهم من وراثنا وكف

ويقولون : فرقا بين ما يجري ومالا يجري . وقالت الجماعة إنما اختيرت النون لأنها أشبه بحروف الاعراب من جهة الغنة .
ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة ، وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها تنقلب ميما . نحو « عَيْر » و « شَذَاء » .

و (الهاء)

تُزَادُ فِي « يَازِيدَاهُ » وَفِي « سُلْطَانِيَّة » وَهِيَ يَسْمُونَهَا (اسْتِرَاحَةٌ) وَ (بَيَانُ حَرَكَةٍ) . وَلِلْوَقْفِ عَلَى الْكَلِمَةِ نَحْوُ « عِيَّة » وَ « شِيَّة » وَ « اقْتِدِيَّة » .

باب (الواو)

لَا تَكُونُ الْوَاوُ زَائِدَةً أُولَى . وَقَدْ تَزَادُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً وَخَامِسَةً .
فَالثَّانِيَةُ نَحْوُ « كَوَثْر » . وَالثَّالِثَةُ نَحْوُ « جَدُول » . وَالرَّابِعَةُ نَحْوُ « قَرْنُوَّة » .
وَالخَامِسَةُ نَحْوُ « قَمَحْدُوَّة » .

وَتَكُونُ لِلذَّسْقِ ، وَهُوَ الْعَطْفُ ، نَحْوُ « زَيْدٌ وَعَمْرُو » .

وَتَكُونُ عَلَامَةً رَفْعٍ نَحْوُ « أَخُوكَ وَالْمَسَامُونَ » .

فَإِذَا قَالُوا « يُعْجِبُنِي ضَرْبُ زَيْدٍ وَتَعْضَبُ » فَقَالَ قَوْمٌ : نُصِيبُ « تَعْضَبُ »

عَلَى إِضْمَارِ « أَنْ » مَعْنَاهُ وَأَنْ تَعْضَبُ فَيَصِيرُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ . كَأَنَّكَ قُلْتَ
« يُعْجِبُنِي ضَرْبُ زَيْدٍ وَغَضْبُكَ » فَتَخْرُجُ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَاسِقَةً فِعْلًا عَلَى

اسْمٍ . وَيَقُولُونَ :

لَلْبَسِ عِبَاءَةً وَتَقَرَّ عَيْنِي

بِمَعْنَى وَأَنْ تَقَرَّ عَيْنِي . فَإِنْ نَسَقْتَ فِعْلًا عَلَى فِعْلٍ مَجْمُوعِينَ فَاعْرَابُهُمَا

واحد نحو « يقوم ويضرب زيداً » فان لم تُردِ الجمعَ بينهما نصبت الثاني فيقال نَصَبَ باضمار « أن » يقولون « لا تأكل السمكَ وتشربَ اللبنَ » و:

لا تَنهَ عن خَلقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ^(١)

وتكون بمعنى الباء في القسم نحو « والله » .

وتكون الواو مُضمرة في مثل قوله جل ثناؤه « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا » التأويل : ولا على الذين - إذا ما أتوك لتحملهم وقلت : لا أجد ما أحملكم عليه - تولوا . نجواب الكلام الأول تولوا .

وتكون بمعنى « رُبَّ » . نحو « وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ » .

وتكون بمعنى « مع » كقولهم « استوى الماء والخشبة » أي مع الخشبة وأهل البصرة يقولون في قوله جل ثناؤه « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » معناها مع شركاءكم . كما يقال « لو تركت الناقة وفصيلها » أي مع فصيلها . وقال آخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، اعتباراً بقوله جل وعز « وادعوا من استطعتم » .

وتكون صلة زائدة كقوله جل وعز « إلا ولها كتاب معلوم » المعنى إلا لها .

وتكون بمعنى « إذ » كقوله جل وعز « وطائفة قد أهمتهم » يريد إذ طائفة . وتقول « جيئت وزيدٌ راكبٌ » أي إذ زيد .

وقال قوم : للواو معنيان : معنى اجتماع ومعنى تفرُّق نحو « قام زيد

(١) نعامه : عار نايك إذا نمت عظيم .

وهذا البيت ينسب لابن الأسود الدؤلي وقيل لغيره .

وعمرو . وان كانت الواو في معنى اجتماع لم تُبَلْ بأَيِّهما بدأت . وان كانت في معنى تترق فعمرو قائم بعد زيد .

وذهب آخرون الى أن الواو لا تكون إلا للجمع . قالوا : اذا قلت « قام زيد وعمرو » جاز أن يكون الأمر وقع منهما جميعاً معاً في وقت واحد وجاز أن يكون الأول تقدم الثاني ، ونكتة بابها أنها للجمع .

وتكون الواو عطفاً بالبناء على كلام يُتَوَهَّمُ وذلك قولك — اذا قال القائل « رأيتُ زيدا عند عمرو » — قلت أنت « أو هو ممن يجالسه ؟ » قال البصريون : معناه « كأن قائلنا قال « هو ممن يجالسه » فقلت أنت « أو هو كذلك ؟ » . وفي القرآن « أو آمن أهل القرى ؟ » وكذلك قوله جل ثناؤه « إننا لمبعوثون ، أو آباؤنا ؟ » فليس بأو وإنما هي واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام كأنه لما قيل لهم « إنكم مبعوثون وآباؤكم » استفهموا عنهم . وتكون الواو مُقْحَمَةً كقوله جل ثناؤه « فاضرب به ولا تحنث » أراد — والله أعلم — فاضرب به لا تحنث ، جزماً على جواب الأمر ، وقد تكون نهيّاً والأول أجود . وكذلك « مكننا ليوسف في الأرض ولنعلمه » أراد « لنعلمه » وقد قيل « ولنعلمه فعلنا ذلك » . وكذلك « وحفظاً من كل شيطان » أي « وحفظاً فعلنا ذلك » . وقوله :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى (١)

قيل : هي مُقْحَمَةٌ . وقيل : معناه أجزنا وانتحى .

(١) من معلقة (امرئ القيس) وتامه :

بناطن خبت ذي حفاف عتقتل .

باب (الياء)

الياء - تُزاد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة .

فالأولى « يرمع^(١) » و « يربوع^(٢) » . والثانية « حيدر^(٣) » . والثالثة « خفيدد^(٤) » . والرابعة « إصليت^(٥) » . والخامسة « ذفاري^(٦) » .

وتكون أولى في الافعال نحو « يضرب » .

وللاضافة نحو « عبادي » .

وللثنية والجمع نحو « الزيدين » و « الزيدتين » .

وتكون علامة للخفض نحو « أخيك » .

وللتأنيث نحو « استمفري » .

وللتصغير نحو « بيت^(٧) » .

وللنسب نحو « كوفي » .

(١) اليرمع : الحصى الابيض الذي يلمع ، أخذ من رماء الصبي وهي ما يرمع (يتحرك) من يافوخه في أوان الرضاع .

(٢) الحيدر : القصير .

(٣) سيف اصليت : ماض في الضربة مشتق من « صلت » وهو الأملس البراق .

(٤) هذه الكلمة مشتبهة في رسمها بين « ذفاري » و « ذباري » لثقلهما في القاءة المفزعة

التي كان المرحوم الشنقيطي يكتب بها .



باب القول على الحروف المفردة

الدالة على المعنى

والعرب الحروف المفردة التي تدل على المعنى . نحو التاء في « خَرَجْتُ »
و « خَرَجَتْ » . و « آوَيْتُ » و « فَرَسِي » . (١)

ومنها حروف تدل على الأفعال نحو « إزِيداً »^(٢) أي عِدَهُ . و « ح »
من وحيث . و « دِر » من وددتُ و « ش » من وشيتُ و « ع » من وعيتُ
و « ف » من وفيتُ و « ق » من وقيتُ و « ل » من وليتُ و « ن »
من ونيتُ و « ه » من وهيتُ ، إلا أن حذاق النحويين يقولون في الوقف
عليها « شه » و « ده » فيقفون على الهاء .

ومن الحروف ما يكون كناية وله مواضع من الاعراب نحو قولك
« ثوبه » فالهاء كناية لها محل من الاعراب .

ومنه ما يكون دلالة ولا محل له مثل « رأيتهما » فالهاء اسم له محل
والميم والألف علامتان لا محل لهما ، فعلى هذا يجيء الباب .

فأما الحروف التي في كتاب الله جل ثناؤه فواتح سور فقال قوم : كل
حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله ، فالألف من اسمه « الله » واللام
من « لطيف » والميم من « مجيد » . فالألف من آلائه واللام من لطفه والميم
من مجده . يروى ذا عن (ابن عباس) وهو وجه جيد ، وله في كلام العرب

(١) كذا بالأصل ولا يستقيم ، وصوابه : ونحو الياء في « آوَيْتُ » و « فَرَسِي » .

الشنقيطي

(٢) من « وأى وأيا » بمعنى وعد . وتقول العرب « لاخير في وأى انجازه بعد لاي » أي

بعد بطة .

شاهد، وهو :

قلنا لها : قني . فقالت : قاف .

وقال آخرون : ان الله جل ثناؤه أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الكتاب الذي أنزله الله جل ثناؤه لاشك فيه . وهذا وجه جيد ، لأن الله جل وعز دل على جلالة قدر هذه الحروف ، اذ كانت مادة البيان ومباني كتب الله عز وجل المنزلة باللغات المختلفة ، وهي أصول كلام الأمم ، بها يتعارفون ، وبها يذكرون الله جل ثناؤه . وقد أقسم الله جل ثناؤه في كتابه بالفجر والطور وغير ذلك ، فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها .

وقال قوم : هذه الأحرف من التسعة وعشرين حرفاً دارت بها الأئسنة ، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه جل وعز ، وليس منها حرف إلا وهو في آياته وبلائه ، وليس منها حرف الا وهو في مدة أقوام وأجاهلهم : فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون . رواه (عبد الله بن أبي جعفر الرازي) عن أبيه عن (الزبيد بن أنس) وهو قول حسن لطيف ، لأن الله جل ثناؤه أنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الفرقان فلم يدع نظماً مجيباً ولا علماً نافعاً الاودعه آياه ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله . فليس منكراً أن ينزل الله جل ثناؤه هذه الحروف مشتملة - مع ايجازها - على ما قاله هؤلاء .

وقول روي عن (ابن عباس) في «الم» : أنا الله أعلم . وفي «المص» : أنا الله أعلم وأفضل . وهذا وجه يقرب مما مضى ذكره من دلالة الحرف الواحد على الاسم التام والصفة التامة .

وقال قوم: هي أسماء للسُّور في «ألم» اسم لهذه و«حم» اسم لغيرها. وهذا يُؤثِّرُ عن جماعة من أهل العلم، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، فكذلك هذه الحروف في أوائل السُّور موضوعة لتمييز تلك السُّور من غيرها. فان قال قائل: فقد رأينا «ألم» افتتح بها غير سورة، فأين التمييز؟ قلنا: قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين، ثم يميز ما يجيء بعد ذلك من صفة ونعت كما قيل «زيد وزيد» ثم يميزان بأن يقال «زيد الفقيه» و«زيد العربي» فكذلك إذا قرأ القارئ «ألم ذلك الكتاب» فقد ميزها عن التي أولها «ألم الله لا إله الا هو».

وقال آخرون: لكل كتاب سرٌّ وسرُّ القرآن فواتح السور. وأظنَّ قائل هذا أراد أن ذلك من السرِّ الذي لا يعلمه إلا الخالص من أهل العلم والراسخون فيه.

وقال قوم: إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم لبعض «لا تسمعوا لهذا القرآن والنوا فيه» فأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتعالى هذا النظم ليتعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده، فترق حينئذ القلوب وتلين الأفتدة.

وقول آخر: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي أب ت ث جَاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن فيما بين ظهريهم أنه بالحروف التي يعقلونها فيكون ذلك تقریباً لهم ودلالة على عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد أن أعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويننون كلامهم منها.

قال (أحمد بن فارس) : وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا : إن أولى الأمور أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً فيقال : إن الله جل وعز افتتح السور بهذه الحروف ارادةً منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لاعلى معنى واحد . فتكون الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً للسور ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله جل ثناؤه ، وأن يكون الله جل ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قسماً بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله جل وعز في انعامه وفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع الى القرآن من لم يكن يستمع ، وأن فيها اعلاماً للعرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الايمان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها اذا وقع في أول سورة فهو اسم لتلك السورة .

وهذا هو القول الجامع لتأويلات كلها من غير اطراح لواحد منها .
وانما قلنا هذا لأن المعنى فيها لا يمكن استخراجه عقلاً من حيث يزول به العذر ، لأن المرجع الى أقاويل العلماء ، وان يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالظن وهم من العلم بالمكان الذي هم به ، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق . والله أعلم بما أراد من ذلك .



باب الكلام في حروف المعنى

رأيتُ أصحابنا الفقهاء يضمّون كتبهم - في أصول الفقه - حروفاً من حروف المعاني ، وما أدري ما الوجه في اختصاصهم إياها دون غيرها . فذكرت عامة حروف المعاني رسماً واختصاراً ، فأول ذلك ما كان أوله ألف :

باب (أم)

أم - حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل نحو «أزيد عندك أم عمرو؟» .

ويقولون : ربما جاءت لقطع الكلام الأوّل واستئناف غيره ، ولا يكون حينئذ من باب الاستفهام . يقولون «إنّها لا بل أم شاء» . ويكون ههنا - في قول بعضهم - بمعنى «بل» كقوله جل ثناؤه «أم يقولون شاعر» وينشدون :

كذبتك عينك ، أم رأيت بواسط

غلس الظلام من الرّباب خيالاً^(١)

وقال أهل العريية : أمررت برجل أم امرأة «أم» تُشرك بينهما كما أشركت بينهما «أو» .

وقال آخرون : في «أم» معنى العطف ، وهي استفهام كالألف ، إلّا أنّها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف .

وقال قوم : هي «أو» أبدلت الميم من الواو لتحول الى معنى ، يريد الى معنى «أو» وهو قولك في الاستفهام «أزيد قام أم عمر؟» فالسؤال

(١) من قصيدة للاختل في هجو جرير .

عن أحدهما بعينه . ولو جيئت بـ « أو » لسألت عن الفعل . وجواب أو « لا » أو « نعم » وجواب أم « فلان » أم « فلان » .

وقال (أبو زيد) : العرب تزيد « أم » . وقال في قوله جل ثناؤه « أم أبنا خير من هذا الذي هو مهين » : معناه « أنا خير » .

وكان (سيويه) يقول : « أفلا تبصرون » : أم أنتم بصراء .

وكان (أبو عبيدة) يقول : « أم » يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله جل ثناؤه « أم تريدون أن تسألوا رسولكم ؟ » بمعنى « أريدون ؟ » .

وقال (أبو زكريا الفراء) : العرب تجعل « بل » مكان « أم » وأم مكان بل . إذا كان في أول الكلمة استفهام . فقال :

فوالله ما أحري أسلمى تفوات ،

أم النوم ، أم كلُّ إليَّ حبيب .

معناها « بل » .

فأما قوله جل ثناؤه « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ؟ » فقيل : أظننت يا محمد هذا ، ومن عجائب ربك جل وعز ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف ؟

وقال آخرون : « أم » بمعنى ألف الاستفهام كأنه قال « أحسبت ؟ »

و « حسبت » بمعنى « علمت » ويكون الاستفهام في « حسبت » بمعنى الأمر كما تقول لمن تخاطبه « أعلمت أن زيدا خرج ؟ » بمعنى أمر أي أعلم أن زيدا خرج . قال : فعلى هذا التدرج يكون تأويل الآية : أعلم يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا .

باب (أو)

أو — حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشكّ: «أزيد عندك أو بكر؟» تريد «أحدهما عندك؟» فالجواب «لا» أو «نعم». وإذا جعلت مكانها «أم» فأنت مثبت أحدهما غير أنك شاك فيه بعينه فتقول «أزيد عندك أم عمرو؟» فالجواب «زيد» أم «عمر».

وتكون «أو» للتخير كقوله جل ثناؤه «فإِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كَسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ». وتكون للإباحة تقول «خذ ثوباً أو فرساً».

وأما قوله جل ثناؤه «وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» فقال قوم: هذا يُعَارِضُ وَيُقَابِلُ بِضِدِّهِ فيصحّ المعنى ويبين المراد، وذلك أنا تقول «أطع زيدا أو عمرا» فأما زيد أطع واحداً منهما، فكذا إذا نهيناه وقلنا «لا تطع زيدا أو عمرا» فقد قلنا لا تطع واحداً منهما.

وقوله جل ثناؤه «إلى مائة ألف أو يزيدون» فقال قوم: هي بمعنى الواو «ويزيدون». وقال آخرون: بمعنى «بل». وقال قوم: هي بمعنى الإباحة كأنه قال: إذا قال قائل «هم مائة ألف» فقد صدق وإن قال غيره «بل يزيدون على مائة ألف» فقد صدق. وقول القائل «مررت برجل أو امرأة» فقد أشركت «أو» بينهما في الخفض واثبتت المرور بأحدهما دون الآخر. وتكون «أو» بمعنى «إلا أن» تقول «لا لزومك أو تعطيني حتى» بمعنى إلا أن تعطيني. قال امرؤ القيس (١):

(١) من قصيدته التي أنشدها وهو ذاهب من الجزيرة العربية إلى قيس الروم في التسطنطية

فقلت له لا تبك عينك، إنما
نحاول ملكاً أو نموت فنعذراً.

وزعم قوم أن «أو» تكون بمعنى الواو ويقولون: كل حق لها داخل فيها
أو خارج منها، وكل حق سميناه في هذا الكتاب أو لم نسمه وان شئت
قلت بالواو وأنشدوا:

فذلكما شهرين أو نصف ثالث
إلى ذا كما ما غيبتني غياييا.

وكان الفراء يقول: في «مائة ألف أوزيدون»: بل يزيدون. وقال بعض
البصريين منكراتها: لو وقعت «أو» في هذا الموضع موقع «بل» لجاز أن
تقع في غير هذا الموضع وكنا نقول «ضربت زيداً أو عمراً» على غير الشك
لكن بمعنى «بل»، وهذا غير جائز قالوا: ووجه آخر أن «بل» تأتي للاضراب بعد
غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله جل ثناؤه، فإن أتى بها بعد كلام قد سبق
من غير القائل فالخطأ إنما لحق كلام الأول نحو قوله جل ثناؤه «وقالوا:
اتخذ الرحمن ولدًا» فهم أخطوا في هذا وكفروا به فقال جل وعز «بل
عباد مكرمون». وزعم قوم أن معناها «أو يزيدون على ذلك».

قلنا: والذي قاله (الفراء) فقول قد تقدمه فيه ناس. وقول من قال:
ان «بل» لا يكون إلا اضراباً بعد غلط أو نسيان خطأ، لأن العرب تُنشد:

يستعين به على (المذنبين ماء السماء) وعلى (بي أسد) الذين قتلوا والدمري القيس وكان أميراً
عليهم. ومطام التصيدة قوله:

سمالك شوقي بدم ما كان أقصرا وحلت سليمان بطن فو فعرعرا
والبيت الذي قبل الذي ذكره ابن فارس قوله عن صاحبه (عمرو بن قصبه):
بكي صاحبي لما رأى الرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا^(١)

وهذا ليس من المعنيين في شيء .

فأما قوله « أو أشد قسوة » وما أشبهه من قوله عز وجل « كَلِمَ الْبِسْرِ
أو هو أقرب » أن المخاطب يعلمه ، لكنه أهمه على المخاطب وطواه عنه .
وقال آخرون : بعضها كالحجارة وبعضها أشد قسوة . أي هي ضربان : ضرب
كذا أو ضرب كذا .

باب إي وإي

إي — في زعم أهل اللغة يكون بمعنى « نعم » تقول « إي وربّي » أي
« نعم وربّي » قال الله جل ثناؤه « وَيَسْتَنْبِؤُكَ أَحَقُّ هُوَ؟ قُلْ : إي وربّي »
وأي — معناها « يقول » ومثال ذلك أن تقول في تفسير « لا ريب فيه » :
« أي لاشك فيه » ، المعنى : يقول لاشك فيه .

وسمعت أبا بكر أحمد بن علي بن اسماعيل الناقد يقول سمعت أبا
اسحاق الحرابي يقول سمعت عمر بن أبي عمرو الشيباني يقول : سألت أبي
عن قولهم « أي » ، فقال : كلمة للعرب تُشيرُ بها إلى المعنى .

باب إنَّ وأنَّ وإنَّ وإنَّ

قال (الفراء) : « إنَّ » مقدره لقسم متروك استغنيَ بها عند التقدير :
« والله إنَّ زيدا عالمٌ » . وكان (ثعلب) يقول : إن زيدا لقائمٌ هو جواب
« ما زيد بقائم » فـ « إنَّ » جواب « ما » و « اللام » جواب « الباء » . وكان

(١) مطلع أرجوزة مشهورة من نظم (المعراج) ولفظ « بل » زائد على الأصل . وبقيّة البيت قوله :
من ظل كالانحامي أمجا

بعض النحويين يقول : « انَّ » مُضَارِعَةٌ لِلْفِعْلِ لَفْظًا وَمَعْنَى : أَمَا اللَّذِظُ فَلِلْفَتْحَةِ (١) فِيهَا كَمَا يَقُولُ « قَامَ » . وَالْمَعْنَى (٢) فِي « انَّ زَيْدًا قَائِمٌ » : ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا الْحَدِيثُ . وَقَالَ (سَيْبُوِيَه) : سَأَلْتُ (الْخَلِيلَ) عَنْ رَجُلٍ سَمِيَنَاهُ : « انَّ » كَيْفَ أَعْرَابُهُ ؟ قَالَ : يَفْتَحُ الْأَلْفَ لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالْأَسْمِ ، وَإِذَا كَانَ بِكسْرِ الْأَلْفِ لَكَانَ كَالْفِعْلِ وَالْأَدَاةُ ، وَلِذَلِكَ نَصَبَ فِي ذَاتِهِ لِأَنَّهُ كَالْفِعْلِ وَمَعْنَاهُ التَّثْبِيتُ لِلخَبَرِ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَلِذَلِكَ نَصَبَ بِهِ الْأَسْمَ الَّذِي يَلِيهِ . وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ « انَّ » لِلتَّثْبِيتِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مَرْتَبَلًا

وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَوْا مَهَلًا (٣)

وَتَكُونُ « انَّ » — بِمَعْنَى « لَعَلَّ » فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ » بِمَعْنَى « لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْ » . وَحِكْمَى (الْخَلِيلِ) : « إِنَّتِ السُّوقَ أَنَّكَ تَشْتَرِي لَنَا شَيْئًا » بِمَعْنَى « لَعَلَّكَ » .

و « انَّ » إِذَا كَانَتْ اسْمًا كَانَتْ فِي قَوْلِكَ « ظَنَنْتُ أَنَّ زَيْدًا قَائِمٌ » فَيَكُونُ « انَّ » وَالَّذِي بَعْدَهَا قِصَّةٌ وَشَأْنًا ، مِثْلَ « ظَنَنْتُ ذَلِكَ » فَيَكُونُ مَحَلَّهُ نَصْبًا ، وَإِذَا قُلْتَ « بَلِّغْنِي أَنَّ زَيْدًا عَالِمٌ » فَهَذَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ . وَإِذَا قُلْنَا « عَجِبْتُ مِنْ أَنَّ زَيْدًا كَلَّمَكَ » فَحَلَّهُ خَفْضٌ عَلَى مَا رَبَّنَاهُ مِنْ أَنَّهُ اسْمٌ .

وَأَمَّا « انَّ » — فَأَنَّهَا تَكُونُ شَرْطًا ، تَقُولُ « انَّ خَرَجْتَ خَرَجْتُ » . وَتَكُونُ نَفْيًا كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ « انَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ »

(١) يعني أن مشابهة « ان » للفعل لفظًا بنتج آخرها .

(٢) يعني أن مشابهتها للفعل من حيث المعنى بكونها تفسر به .

(٣) مطلع قصيدة من شعر (الاعشى) ومنها قوله :

استأثر الله بالوفاء وبالبدل زولي الملامة الرجلا

وكقول الشاعر :

وما إن طَبْنَا جُبْنَا^(١)

وتكون بمعنى « إذ » قال الله جل وعز « وأنتم الأغلون ان كنتم مؤمنين » بمعنى « إذ » لأنه جل وعز لم يخبرهم بعلوهم الا بعد ما كانوا مؤمنين .

وزعم ناس أنها تكون بمعنى « لقد » في قوله جل ثناؤه « ان كنا نعبادتكم لعلنا فلين » بمعنى « لقد كنا » .

و « أن » — تجعلُ الفعلَ بمعنى المصدر ، كقوله جل ثناؤه « وأن تصوموا خيراً لكم » بمعنى « والصوم خير لكم » .
وتكون بمعنى « إذ » تقول « أعجبني أن خرجت » و « فرحت أن دخلت الدار » .

(١) ورد في كتب الأدب بالرفع « وما ان طبنا جبن » وهو من قصيدة أنشدتها (فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي الصحابي) وتروى لعمر بن قاس . وقيل في سبب انشادها أن (همدان) جئت ا (مراد) في أيام الجاهلية جما كثيراً وساروا اليهم فالتقوا في (الاحرمين) فظفروا بمراد وأصابوا منهم ، فقال في ذلك فروة :

ان نهزم فزاعون قدما وان نهزم ففسير مهزينا
وان طبنا جبن والكن منسايانا ودولة آخرينا
فييناه يسر به ويرضى ولو مكنت غضارته سينا
اذا اقلبت به كرات دهر فآلى بعد غبضته منونا
ومن يقبط (يفرد) بربب الدهر يرها يجد رب الزمان له خوفا
فآلى ذلكم سروات قوي كما آلى القرون الاولينا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا ولو بقي الكرام اذن بقينا

ويروى منها:

اذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أناخ بأخرينا
فقل للشامتين ب: أيقرا سياتي الشامتون كما لقينا
كذلك الدهر دولته سجال تسكر صروفه؛ حيناً فحيناً

وقد تُضْمَرُ في قوله :

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِيَّ أَحْضَرَ الْوَبَا^(١)

وتكون بمعنى « أي » قال الله جل ثناؤه « وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ
امشُوا » بمعنى : أي امشوا .

باب (الى)

تكون «إلى» بمعنى الانتهاء ، تقول «خرجتُ من بَمَدَادَ الى الكوفة» .
وتكون بمعنى «مع» . قالوا في قوله جل ثناؤه «مَنْ أَنْصَارِي الى الله؟» :
بمعنى «مع الله» وقال قوم : معناها مَنْ يُضِيفُ نُصْرَتَهُ الى نصرته الله جل
وعزلي ؟ فيكون بمعنى الانتهاء ، وكذلك قوله جل ثناؤه «ولاتأكلوا أموالهم
الى أموالكم» .

وربما قامت «الى» مقام «اللام» قال (الشَّمَاخُ) :

فَالْحَقُّ بِيَجَلَّةَ ، نَاسِبُهُمْ وَكُنْ مَعَهُمْ

حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجْدًا غَيْرَ مَهْ طُودٍ .

وَأَتَرَكَ تَرَاثَ خُفَافٍ إِيْنَهُمْ هَلَكُوا

وَأَنْتَ حَيٌّ الى رِجْلِ وَمَطْرُودٍ^(٢)

(١) من معلقة (طرفة بن العبد) وفي رواية «ألا أيهذا اللامي» وفي رواية أخرى :

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِيَّ أَنْ أَشْهَدَ الْوَعْيَى وَأَنْ أَحْضَرَ الْبَنَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلَدٌ ؟

والشاهد هنا نصب «أحضر» مع اضمار «أن» على رواية الكوفيين ، والبصريون يرفعونها .

(٢) البيتان من قصيدة (الشماخ بن ضرار لطفاني) التي يمجو بها (لربيع بن علباء السلمي) ومطلها :

طال الثواء على رسم يموؤد أودى وكل خليل مرة مود

و (بجلة) التي في البيت الاول اسم لقبيلة . و (خفاف) التي في البيت الثاني اسم رجل تنسب

اليه طائفة . و (رعيل) قبيلة منسوبة الى (رعيل بن مالك بن عوف) وهي في (اليمن) . و

(مطروود) قبيلة منسوبة الى (مطروود بن كعب) . قيل ان الثلاثة بنو أب واحد . وقيل ان

(خفافا) غير (رعيل) و (مطروود) . والشاهد مجي «الى» بمعنى «اللام» .

يقول : أتركُ تراثَ (خفاف) لرعل ومطروود . وخفافٌ ورعل ومطروود بنو أب واحد . وأخبرنا عليّ ابن ابراهيم القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) قال : ألقى عليّ أعرابيٌّ هذا البيت فقال لي : ما معناه ؟ فأجبتُه بجواب ، فقال لي : ليس هو كذا . وأجاني بهذا الجواب . وكان الذي أجابه به ابنُ الأعرابي أن خفافاً من غير رعل ومطروود .

باب (الأ)

الأ - افتتاح كلام . وقد قيل : إن « الهمزة » للتنبيه و « لا » نفي لدعوى في قوله جل ثناؤه « إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون » فالهمزة تنبيهٌ لمخاطب و « لا » نفي للإصلاح عنهم .
وفي كلام العرب كلمة أخرى تُشبهها لم تجي في القرآن وهي « أما » وهي كلمة تحقير إذا قلت « أما إنه قائمٌ » فمعناه « حقاً إنه قائمٌ » .

باب (إنما)

سمعت عليّ بن ابراهيم القطان يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت سلمة يقول سمعت الفراء يقول : إذا قلت « إنما قلت » فقد نفيت عن نفسك كلَّ فعل إلا القيام ، وإذا قلت « إنما قام أنا » فانك نفيت القيام عن كلِّ أحد وأثبتته لنفسك .

قال الفراء : يقولون « ما أنت إلا أخي » فيدخل في هذا الكلام الأفراد ، كأنه ادعى أنه أخٌ ومولىٌ وغير الأخوة ، فنفي بذلك ماسواها . قال : وكذلك إذا قال « إنما أنت أخي » . قال الفراء : لا يكونان أبداً إلا ردّاً ،

يعني أن قولك «ما أنت إلا أخي» و«إنما قام أنا» لا يكون هذا ابتداءً أبداً
وإنما يكون ردّاً على آخر، كأنه ادّعى أنه أخٌ ومولىٌ وأشياءٌ أخرى، فنفاه
وأقرّ له بالأخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها
كلّها ما خلا القيام.

وقال قوم: «إنما» معناه التحقير. تقول «إنما أنا بشر» محقراً
لنفسك. وهذا ليس بشيء: قال الله جل ثناؤه «إنما الله إلهٌ واحد» فأين
التحقير هاهنا؟

والذي قاله الفقهاء صحيح، وحبته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «إنما
الولاء لمن أعتق».

باب (إلا)

أصل (الاستثناء) - أن تستثني شيئاً من جملة اشتملت عليه في أول
مالفظ به، وهو قولهم «ما خرج الناس إلا زيداً» فقد كان «زيد» في
جملة الناس ثم أخرج منهم، ولذلك سمي (استثناءً) لأنه نُثني ذكره مرةً
في الجملة ومرةً في التفصيل. ولذلك قال بعض النحويين: المستثنى خرج مما
دخل فيه، وهذا مأخوذ من «الثنا» والثنا الأمر يثنى مرتين: قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم «لا ثنا في الصدقة» يعني لا تؤخذ في السنة مرتين.
قال (أوس):

أفي جنب بكرٍ قطعتي ملامةً؟

لعمري لقد كانت ملامتها ثناً.

يقول: ليس هذا بأول لومها، فقد فعلته قبل هذا، وهذا ثناً بعده.

وقال بعض أهل العلم: «إلا» تكون استثناء لقليل من كثير، نحو «قام الناس إلا زيدا». وتكون محققة لفعل منفي عن اسم قبلها، نحو «ما قام أحد إلا زيد». وتكون بمعنى «واو العطف» كقوله:

وأرى لها داراً بأغدره السية

مدان لم يدرس لها رسم

إلا رماداً هامداً دفعت

عنه الرياح خوالدٍ سُخِمُ

أراد «ورماداً».

وتكون بمعنى «بل» كقوله جل ثناؤه «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة» بمعنى «بل تذكرة». ومنه قوله عز وجل «والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم، إلا الذين آمنوا، والذين آمنوا - لهم أجر غير ممنون».

وتكون «إلا» بمعنى «لكن» وتكون من الذي يسمونها (الاستثناء المنقطع) كقوله جل ثناؤه «لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى - معناه لكن من تولى - وكفر».

ومن الباب قوله جل ثناؤه «قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء» كان الفراء يقول: استثنى الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار، من ذلك هذه الآية. ثم قال: وفي كتاب الله جل ثناؤه «والفواحش إلا الهم» قال: هو مختصر، معناه «إلا أن يصيب الرجل الهم» والهم أصغر الذنوب. والله جل ثناؤه لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيرة. قال: ومما جاء

في شعر العرب قول (أبي خراش) :

نجاسالم ، والنفس منه بشدقه ،

ولم ينبج إلا جفن سيفٍ ومِزْراً .

فاستثنى الجفن والمِزْرَ وليس من سالم، إنما هذا على الاختصار. وأنشد :

وبلدة ليس بها أنيسُ

إلا العافير والالعيسُ

معناه « لكن فيها » ومثله قوله جل ثناؤه « فأنهم عدوّ لي ، إلا رب

العالمين » وأما قوله « لئلا يكون للناس عليكم حجة ، إلا الذين ظلموا »

فقال قوم أراد « إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة » ويكون حينئذ

« الذين » في موضع خفض ويكون أيضاً على « لكن الذين ظلموا فلا تحشوم »

تبتدئه . وقال « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين

ظلموا » فهذا قد اقتطع من الأوّل ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله

كأنه قال « إلا الذين ظلموا جادلوهم بالتي هي أسوأ من لسان أويدي » أي

أغلظ ، يريد مشركي العرب . وقوله جل ثناؤه « لا يحب الله الجهر بالسوء من

القول ، إلا من ظلم » قال قوم إنما يريد المكره لأنه مظلوم فذلك عنه

موضوع وإن نطق بالكفر . والاستثناء باب يطول .

وقد يُستثنى من الشيء الموحّد لفظاً وهو في المعنى جمع ، نحو « إن

الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا » .

واستثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له مع الذي ذكرناه من حقيقة

الاستثناء .

وإذا جمع الكلام ضرورياً من المذكورات وفي آخره استثناء فالأمر إلى الدليل فإن جاز رجمه على جميع الكلام كان على جميعه كقوله جل ثناؤه « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - ثم قال - إلا الذين تابوا » والاستثناء جائز في كل ذلك والذي يمنع منه الدليل قوله جل ثناؤه « فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً » فالاستثناء هاهنا على ما كان من حق الله جل ثناؤه دون الجلد .

باب من (الاستثناء) آخر

قال قوم : لا يُستثنى من الشيء إلا ما كان دون نصفه : لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة . وقال قوم : يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه . وهذه العبارة هي الصحيحة . فأما من يقول : يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة ، قالوا : فيقال «عشرة إلا خمسة» حتى يبلغ التسعة قالوا : ومن الدليل على أن نصف الشيء قد يستثنى من الشيء قوله جل ثناؤه « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا - ثم قال - نصفه » أفلا تراه سمي النصف قليلا واستثناءه من الأصل ؟

قال أحمد بن فارس : واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على (أبي عبد الله مالك بن أنس) في قوله في (الجائحة) لأن مالكاً يذهب إلى أن الجائحة إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله (العواقي) من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فإذا بلغت الجائحة الثلث وما زاد فهي كثيرة ولزم وضعها لتحديث المروي فيها . قال المعترض على أبي عبد الله مالك رضي الله تعالى عنه : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب إليه مالك ، لأن قوله جل

ثناؤه « قُمْ الليلَ إِلا قليلاً » قد جعل النصف قليلاً ، فاذا كان نصف الشيء قليلاً منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف .

فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جعله الثلث كثيراً الى حديث حدثناه (علي بن ابراهيم) عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن (عامر بن سعد) عن أبيه قال « مرضت عام الفتح حتى أشرفت ، فعادني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : أي رسول الله إن لي مالا وليس يرثني إلا ابنتي أفأصدق بثلي مالي ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تترك وراثتك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس » فبقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ مالك ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بتأويل كتاب الله جل ثناؤه .

باب (إيا)

إيأ - كلمة تخصيص . إذا قلت « إياك أردت » وكان الأصل « أردتك » فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به في « ضربت زيدا » لم تستقم كاف وحدها مقدمة على فعل فوصل بها « إيا » .
وقد تكون « إيا » للتحذير كقوله :

فإيأكم وحيّة بطن واد

هموز الناب ليس لكم بسبي .

باب (إذا)

تكون « إذا » شرطاً في وقت موقت . تقول « إذا خرجت خرجت »

وزعم قوم أن « إذا » تكون لغواً وفضلاً وذكروا قوله جل ثناؤه
 « إذا السماء انشقت » قالوا : تأويله « انشقت السماء » كما قال « اقتربت
 الساعة » و « أتى أمر الله » . قالوا : وفي شعر العرب قوله :

حتى إذا أسلكوهم في قتائدهِ
 شلاً كما تطرد الجمالُ الشردا

المعنى : حتى أسلكوهم .

وأنكر ناس هذا وقالوا : « إذا السماء انشقت » لها جواب مضمرة .
 وقول القائل « حتى إذا أسلكوهم » بجوابه قوله « شلاً » ، يقول
 « أسلكوهم شأوم شلاً » واحتج أصحاب القول الأول بقول الشاعر :

فاذا وذلك لانهاة لذكره
 والدهرُ يعقب صالحاً بفساد

قالوا : المعنى « وذلك » .

وقال أصحاب القول الثاني : الواو مفحمة ، المعنى « فاذا ذلك » . وقولهم
 « إذا فعلت كذا » يكون على ثلاثة أضرب : ضربٌ يكون المأمور به قبل
 الفعل تقول « إذا أتيت الباب فلبس أحسن لباس » ومنه قوله جل ثناؤه
 « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا » . وضربٌ يكون مع الفعل كقولك « إذا
 قرأت فترسل » . وضربٌ يكون بعد الفعل نحو « إذا حلتم فاصطادوا »
 و « إذا نودي للصلاة فاسعوا » .

باب (إذ)

إذ - تكون للماضي تقول « أتذكر إذ فعلت كذا ؟ » فأما قوله جل

ثناؤه « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : يا ليتنا « ف » ترى » مستقبل
و « إذ » للماضي ، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد ، وذلك
عند الله جل ثناؤه قد كان ، لأن علمه به سابق وقضائه به نافذ فهو كائن
لإحالة ، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب . قال :

ستندم إذ يأتي عليك رعيننا

بأرعن جرار كثير صواهله

وفولته جل ثناؤه « وإذ قال الله : يا عيسى « فقال قوم : قال له ذلك لما
رفعه إليه . وقال آخرون : « إذ » و « إذا » بمعنى . كقوله جل ثناؤه « ولو
ترى إذ فزعوا » بمعنى « إذا » . قال (أبو النجم) :

ثم جزاهُ اللهُ عنّا إذ جرى

جنات عدن في العلا لي العلي

المعنى « إذا جرى » لأنه لم يقع . ومثله قول (الأسود) (١) :

الحافظ الناس في تحوط إذا

لم يرسلوا تحت عائد ربّما

وهبت الشمال البليل وإذ

بات كميع الفتاة ملتقما

قالوا : ف « إذا » و « إذ » بمعنى . قال :

وندمان يزيد الكأس طيباً

سقيت إذا تغورت النجوم

(١) قلت ؛ الصواب أنه قول (أوس بن حجر) يرثي (فضالة أبا دلجة) . وليس هو قول

الشنقيطي

(الأسود) .

و « إذ » - تكون بمعنى « حين » كقوله جل ثناؤه « ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » أي « حين تفيضون » .

باب (إِذَا)

إِذَا - مجازاة على فعل يقول « أنا أقوم » فتقول « إذا أقوم معك » . هذا هو الأصل . ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « فإني إذا صائم » أي إذ لم يحضر الطعام فإني صائم . وقال الشاعر :

أزجرُ حماري لا يرتعُ بروضتنا
إذَا يرد وقيد العير مكروبُ .

باب (أَيُّ)

أَيُّ - تكون استفهاماً . تقول « أيُّ الرجلين عندك ؟ » .
وتكون للترجيح بين أمرين تقول « أيّاماً فعلت فلي كذا » أي إن فعلت هذا وإن فعلت هذا .

وتكون للتعجب نحو « أيُّ رجل زيد ! » .

باب (أَنَّى)

أَنَّى - بمعنى « كيف » كقوله جل ثناؤه « أئنّي يحيي هذه الله ؟ » .
وتكون بمعنى « من أين » كقوله « أئنّي يكون له ولد ؟ » أي من أين . والأجود أن يقال في هذا أيضاً كيف . قال (الكميت) :

أئنّي ومن أين آبك الطربُ
من حيثُ لاصبوةٌ ولا ريبُ ؟

فجاء بالمعنيين جميعاً .

باب (أَيْنَ) و (أَيْنَمَا)

أَيْنَ - تكون استفهاماً عن مكان . نحو « أين زيدٌ ؟ » .
وتكون شرطاً لمكان . نحو « أين لقيت زيداَ فكاَمةُ » بمعنى في أي مكان .
فأما « أينمآ » - فإتما يكون شرطاً لمكان . نحو « أينمآ تجلسن أجلسن »
ولا يكون استفهاماً .

باب (أَيَّانَ)

أَيَّانَ - بمعنى « متى » و « أيَّ حين » . قال بعض العلماء : نرى أصلها
« أيَّ أو ان » فحذفت الهمزة وجعلت الـ كـامتان واحدة . قال الله جل ثناؤه
« أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ؟ » أي متى و « أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟ » أي متى .

باب (الآنَ)

يقولون : « الآن » حدُّ الزمانين ، حدُّ الماضي من آخره وحدُّ المستقبل
من أوله . وكان (الفراء) يقول : بُني على الألف واللام لم يُخْلَعَا منه . وثرى
على مذهب الصِّفة لأنه صفة في المعنى واللفظ ، كما فعلوا في « الذي » و
« الذين » فتركوهما على مذهب الأداة ، والألف واللام غير مفارقين .
ومثله قوله :

فإنَّ الأَوْلَاءَ يَعْلَمُونَكَ مِنْهُمْ

كَلِمِي مُطَنُّوكَ مَا دُمْتَ أَشْعَرَا

فأدخل الألف واللام على « أولاء » ثم تركها محفوضة في موضع نصب

كما كانت قبل أن يدخلها الألف واللام ومثله :

وإِنِّي حُبِسْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمْسَ قَبْلَهُ
 بِبَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
 فَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى «أَمْسٍ» ثُمَّ تَرَكَهُ مُحْفُوضًا عَلَى جِهَتِهِ الْأُولَى .

ومثله :

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي
 وَجُنَّ الْخَازِ بَازٍ بِهِ جُنُونًا

وأصل «الآن» إنما كان «أوان» حذفت منها الألف وغيرت واؤها إلى الألف ، كما قالوا في الراح «الرياح» أنشد الفراء أنشدني (أبو القمقام الأَسدي) :

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةً
 نَشَاوَى تَسَاقَوْا بِالرِّيَاحِ الْمُنْفَلِّلِ

فجعل «الرياح» و«الأوان» مرة على جهة «فعل» ومرة على جهة «فعلال» كما قالوا «زمن» و«زمان» وان شئت جعلت «الآن» من قولك «آن لك أن تفعل» أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فعل فأتى النصب من نصب «فعل» وهو وجه جيد . كما قالوا «نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل وقال» و«الآن» في كتاب الله جل ثناؤه «الآن وقد عصيت قبل» ، «الآن وقد كنتم به تستمعجون» أي في هذا الوقت وهذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل .

قال (الزجاج) : «الآن» عند (الخليل) و (سيبويه) مبني على الفتح تقول «نحن من الآن نصيرُ اليك» فتفتح . لان الألف واللام إنما تدخل

لعهد ، و«الآن» تعهد قبل هذا الوقت ، فدخلت الألف واللام للإشارة الى الوقت . المعنى « نحن من هذا الوقت نفعل » فلما تَصَمَّنْتَ معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ففتحت للالتقاء الساكنين .

باب (إِمْأَلَا)

هما كلمتان « إِمَاءٌ » و « لَأَ » تقول « أُخْرِجْ » فإذا امتنع قلت « إِمَاءٌ لَأَ فِتْكَلْمُ » أي « إن لم يكن منك خروج فليكن منك تكلم » .
 ف « إِمَاءٌ » شرط و « لَأَ » حَجْدٌ . كأنك قلت « إن لَأَ » .

باب (أَمَاءٌ) و (إِمَاءٌ)

أَمَاءٌ - كلمة اخبار لا بد في جوابها من « فاء » . تقول « أَمَاءُ زَيْدٍ فَكْرِيْمٌ » .
 وإِمَاءٌ - تكون تَحْيِيْرًا وَاِبَاحَةً . نحو اشرب إِمَاءًا وَاِمَاءًا لَبْنًا .
 وقد تكون بمعنى الشرط ، والأكثر في جوابها نون التوكيد . نحو
 « إِمَاءًا تَرِيْنٌ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا » و « قُلْ رَبِّ إِمَاءُ تُرِيْبِي مَا يُوعَدُونَ » وقد يكون بلا « نون » نحو قوله :

إِمَاءُ تَرِيْ رَاسِي عَلَانِي أَعْتَمَةٌ

ومما اوله (بَاءٌ)

(بَلَى)

بَلَى - تكون اثباتًا لمني قبلها . يقال « أَمَّا خَرَجَ زَيْدٌ ؟ » فتقول « بَلَى » والمعنى أنها « بل » وُصِلَتْ بِهَا أَلْفٌ تَكُونُ دَلِيلًا عَلَى كَلَامٍ . يقول القائل « أَمَّا خَرَجَ زَيْدٌ ؟ » فتقول « بَلَى » ف « بل » رُجُوعٌ عَنِ جَحْدٍ و « الالف » دلالة كلام ، كأنك قلت « بل خرج زيد » . وكذلك قوله جل

ثناؤه « ألسْتُ بربِّكم؟ قالوا: بلى » المعنى والله أعلم « بل أنت ربُّنا » .

(بَلْ)

بَلْ - إِضْرَابٌ عَنِ الْأَوَّلِ وَاثْبَاتٌ لِلثَّانِي . وَاخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ .
فَقَالَ قَوْمٌ : جَائِزٌ « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ بِلِ حِمَارٍ » وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ الرَّفْعُ أَيُّ « بِلِ هُوَ
حِمَارٌ » .

وَالْكُوفِيُّونَ لَا يَنْسُقُونَ : « بَلْ » إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ . قَالَ (هِشَامٌ) :
مَحَالٌ « ضَرَبْتُ أَخَاكَ بِلِ أَبَاكَ » لِأَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ ثَبَّتَ لَهُ الضَّرْبُ .
وَالْبَصْرِيُّونَ يَقُولُونَ : لَمَّا كَانَتْ « بِلِ » تَقَعُ لِلإِضْرَابِ ، وَكُنَّا
نُضْرِبُ عَنِ النَّفْيِ وَقَعَتْ بَعْدَ الإِجَابِ كَوَقُوعِهَا بَعْدَ النَّفْيِ . وَ « لَابِلِ » مِثْلُهَا .
وَقَالَ قَوْمٌ : يَكُونُ « بَلْ » بِمَعْنَى « إِنْ » فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « ص » .
وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ ، بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا - مَعْنَاهُ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا - فِي عَزَّةٍ .
قَالُوا : وَذَلِكَ أَنَّ الْقَسَمَ لَا يُدَّلُّهُ مِنْ جَوَابٍ .

وَيَزْعُمُ نَاسٌ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ فِي الإِثْبَاتِ كَانَتْ اسْتِدْرَاكًا . تَقُولُ
« لَقَيْتُ زَيْدًا بِلِ عَمْرًا » وَهَذَا عِنْدَ الْغَلَطِ .

(بَلَّةٌ)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :
أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ
عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، بَلَّةٌ مَا أَطْلَعْتَهُمْ عَلَيْهِ » قَالُوا : مَعْنَاهُ « سَوِيٌّ » وَ « دَعٌ »
كَأَنَّهُ قَالَ « سَوِيٌّ مَا أَطْلَعْتَهُمْ عَلَيْهِ » وَ « دَعٌ مَا أَطْلَعْتَهُمْ » قَالَ (أَبُو
زَيْدٍ) :

تَمْشِي الْقُطُوفُ إِذَا غَنَى الْحُدَاةُ لَهَا
 مَشِي النَّجِيَّةِ ، بَلَّهَ الْجِلَّةَ النَّجِيًّا
 (يَدٌ)

قالوا : « يد » بمعنى « غير » . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم » أي « غير أنهم » قال الشاعر :

عَمَدًا فَعَلَّتْ ذَاكَ يَدٌ أَنِي
 إِخَالُ لَوْ هَلَكَتْ لَمْ تُرْبِي

(بينا) و (بينهما)

هما لزمان غير محدود . واشتقاقهما من قولنا « بيني وبينه قيد كذا » فاذا قلنا « بيننا نحن عند زيد أنا فلان » فالعنى « بين أن حصلنا عند زيد وبين زمان آخر أنا فلان » قال :

فَبَيْنَا نَحْنُ زَرْقُبُهُ أَنَا
 مَعْلِقَ سَكْوَةٍ وَزِنَادِ رَاعٍ

(بعدٌ)

يَدُلُّ عَلَى أَنْ يَعْقِبَ شَيْءٌ شَيْئًا . تقول : « جاء زيدٌ بعد عمرو » ويقولون : إنها تكون بمعنى « مع » يقال « هو كريم وهو بعد هذا فقيه » أي « مع هذا » ويتأولون قول الله جل ثناؤه « والارض بعد ذلك دحاها » على هذا ، بمعنى « مع ذلك » .

ومما اوله (تاء)

(تعال)

يقال: إنها أمرٌ أي «تفاعل» من «علوت . تعالی . يتعالی» فاذا أمرت قلت «تعال» كما تقول «نفاض» .
قالوا: وكثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة «هلم» حتى يقال لمن هو في علو «تعال» وأنت تريد «اهبط» .
ولا يجوز أن تنهي بها . وقد تصرف فيقال «تعاليت» و «إلى أي شيء أتعالي؟» .

ومما اوله (ثاء)

(ثم)

ثم - يكون لترآخي الثاني عن الأول: «جاء زيد ثم عمرو» .
وتكون «ثم» بمعنى «واو العطف» قال الله جلّ ذكره «فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون» أي وهو شهيد .
وتكون بمعنى التعجب كقوله جل ثناؤه «ثم يطمع أن أزيد» و«ثم» الذي كفروا بربهم يعدلون» وأنشد (قطرب) أن «ثم» بمعنى «الواو»:
سألت ربيعة: من خيرها
أباً ثم أمّاً؟ فقالت: لمة؛

ومنه قوله جل ثناؤه «ثم إن علينا بيانه» فأما قوله جل وعزّ «ولقد خلقناكم ثم صورناكم» فقال قوم معناها «وصورناكم» وقال آخرون: المعنى «ابتدأنا خلقكم» لأنه جل ثناؤه ابتداء خلق آدم عليه السلام من

تُرَابٍ، ثُمَّ صَوَّرَهُ . وَابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ لُطْفَةٍ ثُمَّ صَوَّرَهُ . قَالُوا :
 « ثُمَّ » عَلَى بَابِهَا . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « يُؤَلِّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرِّونَ » .
 وَزَعَمَ نَاسٌ أَنَّ « ثُمَّ » تَكُونُ زَائِدَةً . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ
 الَّذِينَ خَلَقُوا ، حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ - إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ - ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ » مَعْنَاهُ « حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ تَابَ عَلَيْهِمْ »
 وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا » وَقَدْ كَانَ قَضَى الْأَجَلِ ،
 فَمَعْنَاهُ « أَخْبَرُكُمْ أَيَّ خَلْقَتُهُ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنِّي قَضَيْتُ الْأَجَلَ »
 كَمَا تَقُولُ « كَلِمَتِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ قَدْ كَلِمَتِكَ أَمْسٍ » أَيَّ إِنِّي أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ ثُمَّ
 أَخْبَرْتُكَ بِهَذَا .

وهذا يكون في الجمل ، فأما في عطف الاسم على الاسم ، والفعل
 على الفعل فلا يكون إلا مرتباً أحدهما بعد الآخر .

و : (ثُمَّ)

بمعنى « هُنَاكَ » قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا »
 وَقُرَّاتٌ « إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ » أَي : هُنَاكَ اللَّهُ شَهِيدٌ .

ومما أوله (جِيم)

(جَبْر)

يقولون : « جَبْرٌ » بمعنى « حَقًّا » قَالَ (الْمُفَضَّلُ) : هِيَ خَفْضُ أَوَّلِ ،
 وَرُبَّمَا نَوَّنُوهَا . وَأَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ :

أَلَا يَاطَالُ بِالْغَرَبَاتِ يَبْرِي

وَمَا تَلْقَى بَنُو أَسَدٍ يَهْنَهُ

وقائلة: أَسَيْتَ . فقلت : جَيْرٌ

أَسِيٌّ إِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ

أَصَابَهُمُ الْحِمَامَ وَهُمْ عَوَافٍ

وَكَانَ عَلَيْهِمْ نَجَسًا لِعَنَهُ

فَجِيئْتُ قُبُورَهُمْ بَدَأُ وَلَمَّا

فَنَادَيْتُ الْقُبُورَ فَلَمْ يُجِيبْنِي

وَكَيفَ تَجِيبُ أَصْدَاءَهُ وَهَامٌ

وَأَجْسَادُ بَدْرُنَ وَمَا نُجِرْنَا

الحمما: أراد الحمام . وبدرن : طعن في البوادر .

(لاجرم)

قال : « جرم » بمعنى « حق » قال :

ولقد طعنتُ أبا عيينة طعنةً

جرمتُ فزارةً بعدَها أنْ يُغضبوا

وذكر ناس أنها بمعنى « لا بد » و « لا محالة » .

وأصح ما قيل في ذلك أن « لا » نفي لما ظنوا أنه ينفعهم في قوله جل

ثناؤه « لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » والمعنى « لا » أي « لا

ينفعهم ظنهم » ثم يقول مبتدئاً « جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون »

أي « كسبهم ذلك » و « حق أنهم في الآخرة هم الأخسرون » .

قال (ابن قتيبة) : وليس قول من قال « حق لفزارة الغضب » بشيء ،

والأمر بخلاف ما قاله ، لأن الذي يحصل من الكلمة ما قلناه أنه بمعنى

« حُقَّ » فيكون على هذا « جَرَمْتَ فَرَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضِبُوا » المعنى « أُنْحَقَّتْ الطَّعْنَةُ لِفَرَارَةِ الْغَضَبِ ». ومنه قوله جل ثناؤه « وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى - ثُمَّ قَالَ - لَا » وهو ردٌّ عليهم ، وقال بعدها « جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ » أي حُقَّ وكسب .

ومما أولد (حاء)

(حَتَّى)

تكون للغاية . قال الله جلّ ذكره « هي حتى مطلع الفجر » بمعنى « إلى » وقال تبارك اسمه « حتى يبلغ الكتاب أجله » .

وتكون بمعنى « كَيْ » تقول « اكلمه حتى يرضى » أي « كي يرضى » . ويقولون : إنها تكون بمعنى العطف ، تقول « قَدِيمَ الْجَيْشِ حَتَّى الْآتِبَاعِ » . ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن يُعْطَفَ بها حتى يكون الثاني من الأول . قالوا : لو قلت « كَلَّمْتُ الْعَرَبَ حَتَّى الْعَجْمِ » لم يجز . وقال (الفراء) لا يجوز « كَلَّمْتُ أَخَاكَ حَتَّى أَبَاكَ » وهو مثل الاستثناء ، كما لا يجوز « كَلَّمْتُ أَخَاكَ إِلَّا أَبَاكَ » .

وأجاز (الفراء) « إِنَّهُ لَيُقَاتِلُ الرَّجَالَ حَتَّى الْفُرْسَانَ » و « ان كلبى ليصيد الأرنابَ حَتَّى الطَّيِّبَاءِ » خفضاً ونصباً ، قال الفراء : لأن الطباء وإن كانت مخالفة للأرناب فإنها من الصيد وهي أرفع منها .

وقال البصريون : هذا خطأ وفيه بطلان الباب . قالوا : لأن « حَتَّى » إنما جعلت لما تتناهى إليه الأشياء من أعلاها وأسفلها مما يكون منتهى في الغاية ، فاذا قلت « ضربتُ القومَ » جاز أن يتوهم السامع أن زيدا لم يدخل

في الضرب ، إما لأنه أعلام أو لأنه أدونهم ، فعني «إلى» فيها قائم إذا كانت «إلى» منتهى الغاية .

والكوفيون لا يجعلون «حتى» حرف عطف، وإنما يعربون ما بعدها باضمار.

(حاشا)

معناها الاستثناء ، واشتقاقها من « الحشا » وهي « الناحية » تقول « خرجوا حشاً زيدٍ » أي : إني أجعله في ناحية من لم يخرج ولا أجعله في جملة من خرج . قال الشاعر :

بأيِّ الحشَا أمسى الخليطُ المبأينُ ؟

ومن ذلك قولهم « لا أحشي بك أحداً » أي : لا أجعلك وإياه في حشاً واحد ، أي في ناحية واحدة بل أميزك عنه .

ومما أولها (خفاء)

(خلا) و (ما خلا)

أصلهما من قولنا « خلا البيت » و « خلا الاناء » إذا لم يكن فيه شيء . كذلك إذا قلنا « خرج الناس خلا زيدٍ » فأما زيد : أنه خلا من الخروج ، أو خلا الخروج منه . وعلى هذا التأويل فالنصب فيه أحسن . ومنه قول العرب « افعل كذا وخلاك ذم » يريدون « عداك الذم » و « خلوت من النعم » .

ومما أولها (راء)

(رُب)

يقولون : للتقليل ، وهي من أقضية الـ « كم » التي للكثير ، تقول « رُب

رجلٍ لَقِيْتَهُ .

وقال قوم : وُضِعَتْ لتذكُرْ شَيْءَ ماضٍ من خَيْرٍ أو شَرٍّ . قال :

رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا

يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ .

قالوا : وعلى هذا التأويل قوله جل ثناؤه « رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْوَالِدِينَ

كَانُوا مُسْلِمِينَ » .

(رُؤَيْدٌ)

قالوا : هو تصغيرُ « رُودٌ » وهو المهل . قال :

كَأَنَّهَا مِثْلٌ مِنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ

وقال بعضهم : في قوله جل ثناؤه « أَمْهَلُهُمْ رُؤَيْدًا » أي قليلاً .

(ذو) و (ذات) (١)

ذو - يدلُّ على المَلِكِ . تقول « هو ذو الثَّوْبِ » .

وقد يكون في غير المَلِكِ أيضاً ، بل يكون في صفة من صفاته نحو قولك

« هو ذو كلامٍ » و « ذو عارضةٍ » . فمن المَلِكِ قوله جل ثناؤه « ذو العرشِ المَجِيدِ » .

وأما « ذات » - فيكون في المؤنث كـ « ذا » . وتكون لها معانٍ آخر :

تكون كنايةً عن ساعةٍ من يومٍ أو ليلةٍ أو غير ذلك ، كقولك « ذاتُ

يَوْمٍ » و « ذاتُ عَشِيَّةٍ » .

وتكون كنايةً عن الحال كقوله :

وَأَهْلٌ خِبَاءٌ صَالِحٌ ذَاتُ بَيْنِهِمْ

قد احترَبوا في عاجلِ أَنَا آجِلُهُ

(١) كذا في الاصل مؤخرًا ما أوله « ذال » علي ما أوله « راه » .

ومن هذا قوله جل ثناؤه « وأصلحوا ذاتَ يَينِكُم » أي الحال يَينِكُم وأزِيلُوا المشاجرة .

ومن الزمان قوله :

لَمَأْرَأَتْ أَرْقِي وَطُولَ تَقَلُّبِي

ذاتِ العِشَاءِ وَلِيْلِي المَوْصُولَا

وتكون للبنىة تقول « هو في ذاته صالح » أي : في بنيته وخلقته .

وتكون للإرادة والنية كقوله جل ثناؤه « والله عليمٌ بذاتِ الصدور » أراد السرائر . ومنه فيما ذكرنا قوله :

مَحَلَّتْهُمُ ذَاتُ الإِلَهِ وَدِينُهُمُ

قَوِيمٌ ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ العَوَاقِبِ (١)

فقوله « ذاتُ الإله » أي إرادتهم الله تبارك اسمه .

(سَوْفَ)

تكون للتأخير والتنفيس والأناة .

(سَوَى)

تكون بمعنى « غير » وهما جميعاً في معنى « بدل » وهي مقصورة مكسورة فاذا مدت فتُح أو لها . قال :

تَجَانَفُ عَنِ جَوِّ النِّمَامَةِ نَاقَتِي

وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَاءِ نِكَاحِهَا .

أي : لغيرك . و « سَوَاءُ الجحيم » وسطها ، في غير معنى الأول .

وقد جاء « سَوَى » أيضاً . قال الله جل ثناؤه « مَكَانًا سَوَى » .

(١) وروى بالجيم « مجلتهم » .

(سِيمَا)

أصلها « السِّيء » وهو « المثل » . تقول « ولا سيمًا كذا » أي « ولا سواء » قال (امرؤ القيس) :

ألا ربَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ
ولا سيمًا يومًا بدارةٍ جُلجلٍ

وأصله راجع إلى « السِّيء » وهو المثل . يقولون « هماسيان » قال (الحطيئة) :

فإيَّاكم وحيّة بطنٍ وادٍ
هَمْؤُز النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِيَسِيٍّ

وسمعت أبا الحسن المعروف بابن التركيّة يقول ، سمعت (ثعلبًا) يقول : من قاله بغير اللفظ الذي قاله (امرؤ القيس) فقد أخطأ .

(شَتَّانَ)

أصلها من « شتَّ » ومن « التَّشَّتْ » وهو التَّفَرُّقُ والتَّبَاعُدُ ، تقول « شَتَّانَ ماهُمَا » أي : بَعْدَ ما بينهما ، ويقال : هذا هو الأَفْصَحُ ، وينشدون :

شَتَّانَ ما يومي على كُورِها
ويوم حِيَّانَ أخي جابرٍ .

وربما قالوا « شتان ما بينهما » وليس بالفصيح .

(عَن)

يدلّ على الانحطاط والنزول ، تقول « نَزَلَ عن الجبل » و « عن ظهر الدّابة » و « أخذ العِلْمَ عن زيد » لأن المأخوذَ عنه أعلا رُتَبَةً من الآخذ .

وتكون بمعنى « بعد » في قوله « لم تنتطق عن تفضل » . ولها وجوه والأصل ما ذكرناه .

(عَلى)

تكون ناعو ، تقول « هو على السطح » .
وتكون للعزيمة ، كما تقول « أنا على الحج العام » .
وتكون للثبات على الأمر تقول « أنا على ما عرفتني به » .
وتكون للخلاف ، مثل « زيد على عمرو » أي : مخالفة .
وهي - وإن اشعبت - راجعة إلى أصل واحد .

(عَوْض)

عوض - لزمان غير محدود ولا معلوم كنهه ، كما قلناه في « الحين »
و « الدهر » . قال (الأعمش) :

رضيعي لبانٍ ثدي أم تقاسما
بأسحَم داج عَوْض لا تفرق
ويقولون « لا تيك عوض العائضين » .

(عَسى)

للقرب والدنو ، قال الله جل ثناؤه « قُلْ عسى أن يكون رديف لكم » .
والأفصح أن يكون بعدها « أن » ورُبما لم يكن . قال :

عسى فرج يأتي به الله إنه
له كل يوم في خليقته أمر

قال (الكسائي) : كل ما في القرآن من « عسى » على وجه الخبر فهو

مَوْحَدَ : « عسى أن يكونوا خيراً منهم » و « عسى أن يكن خيراً منهن »
و « عسى أن تسكرهوا شيئاً » و وُحِدَ على « عسى الأمر أن يكون كذا » .
وما كان على الاستفهام فانه يُجْمَعُ كقوله جل وعز « فهل عَسَيْتُمْ » قال
(أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه « هلْ عَسَيْتُمْ » : هل عدوتهم ذلك ، هل
جُرْتُموه .

(غير)

غَيْرٌ - تكون استثناء ، وتقوم مقامها « إلا » ، تقول « خرج الناسُ
غير زيد » تريد « إلا زيدا » .
أو تكون حالاً ، وتقوم مقامها « لا » تقول « فعلت ذلك غير خائف
منك » أي « لا خائفاً منك » .

(في)

زعموا أن « في » للتضمن ، تقول « المال في الكيس » و « الماء في
الجرّة » . ويقولون : إنها تكون بمعنى « على » في قوله جل ثناؤه
« وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ » .

وانها تكون بمعنى « مع » في قوله جل ثناؤه « فِي تِسْعِ آيَاتٍ » .
وكان بعضهم يقول : إنما قال « وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ » لأن
الجدع له صلوب بمنزلة القبر المقبور فذلك جاز أن يقال فيه هذا . وأنشدوا :

هُمُ صَلْبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جُدُوعِ نَخْلَةٍ

وَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

(قَدْ)

قَدْ - جواب لمتوقع، وهي تقيضُ «ما» التي لثني، وليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع، وقوله جل وعزَّ «قد أفلح المؤمنون» على هذا المعنى، لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك اسمه فقبل لهم «قد أفلح المؤمنون» والحقيقة ما ذكرناه.

(كَمْ)

موضوعه للكثير في مقابلة «رُبَّ» تقول «كم رجل لقيت» وتكون استفهاماً، تقول «كم مالك؟».

وقال (الفرّاء): نرى أن قول العرب «كم مالك؟» أنها «ما» ووصلت من أولها بكاف، ثم إن الكلام كثير: «كم» حتى حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها، كما قالوا «لم قلت ذلك؟» ومعناه «لم» و«لما قلت» قال:

فأنا الأسودُ لم أسلمتني
لهُموم طارقاتٍ وذِكرٍ؟

وقيل لبعض العرب «مذكم قعد فلان؟» فقال «كمذ أخذت في حديثك» فزيادة الكاف في «مذ» دليل على أن الكاف في «كم» زائدة. وعاب (الزجاج) على (الفرّاء) قوله في «كم»، وقال: لو كانت في الأصل «كما» وأسقطت الف الاستفهام لتركت على فتحها، كما تقول «بم» و«عم» و«فيم أنت».

والجواب عما قاله ما ذكره (أبوزكرياء) وهو كثرة الاستعمال.

وحجته ما ذكره في «لم» .

(كَيْفَ)

سؤال عن حال ، تقول « كَيْفَ أَنْتَ ؟ » أي : بأي حال أنت ؟ وقال بعض أهل اللغة : لها ثلاثة أوجه :

أحدها - سؤال محض عن حال ، تقول « كَيْفَ زَيْدٌ ؟ » .

والوجه الآخر - حال لاسؤال معه ، كقولك « لَأَكْرِمَنَّكَ كَيْفَ كُنْتَ » أي : على أي حال كنت .

والوجه الثالث - « كيف » بمعنى التعجيب . وعلى هذين الوجهين يُفسر قوله « فَكَيْفَ كَيْفَ قَدَّرَ » قالوا : معناها « على أي حال قَدَّرَ » وتعجيب أيضاً . ومن التعجيب قوله جل ثناؤه « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ! »

وقد يكون « كيف » بمعنى النفي . قال :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا

لَا حَ فِي الرَّأْسِ مَشِيبٌ وَصَلَعٌ (١)

ومنه قوله جل ثناؤه « كَيْفَ يَكُونُ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ » و« كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ » .

وتكون تويخاً ، كقوله جل ثناؤه « وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَادُونَ عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ » .

(١) من قصيدة أندلسية (سويد بن أبي كاهل اليتكري) واختارها (المفضل الضبي) وأوها :

بسطت رابية الجبل لنا فوصلنا الجبل منها ما تسمع
مرة نجلو شبتنا واضحا كشماع الشمس في النيم سطح
صقلته بقضيب ناضر من أراك طيب حتى نضع

فأما قوله « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشييد » فهو تأكيد لما تقدم من خبر وتحقيق لما بعده ، على تأويل : ان الله لا يظلم مثقال ذرة في الدنيا فكيف في الآخرة .

(كاد)

قال (أبو عبيدة) : « كاد » للمقاربة في قوله جل ثناؤه « لم يكذراها » أي : لم ير . ولم يقارب . ومن المقاربة قول (جرير) :
حيثوا المقام وحيثوا ساكن الدار
ما كدت تعرف إلا بعد إنكار
ويقولون « كاد النعام يطير » .

فهذه المقاربة للشبه ولا يكون ، وبيت (جرير) يكون .

(كان)

يدلُّ على الماضي ، تقول « كان له مال » .
وتكون بمعنى القدرة ، كقوله جل ثناؤه « ما كان لكم أن تُبِتوا
شجرها » أي : ما قدرتتم .

وتكون بمعنى « صار » كقولك « إن كنت أبي فصاني » أي : إذا
صرت أبي . وأنشد :

أجرت إليه حرمة أرحيية
وقد كان لوز الليل مثل الأرنج

أي : صار .

وتكون بمعنى الرهون ، كقوله جل ثناؤه « قل سبحان ربي هل كنت

إلا بشرا؟» أي: هل أنا إلا بشر.

وتكون بمعنى «يَبْنِي» قال الله جل ثناؤه «قلتم ما يكون لنا» أي: ما ينبغي لنا.

و«كان» تكون زائدة، كقوله:

وجيران لنا - كانوا - كرام^(١)

وفي كتاب الله جل ثناؤه «قال وما علي بما - كانوا - يعملون» أي: بما يعملون، لأنه قد كان عالماً بما عملوه وهو إيمانهم به.

(كأَيْن)

كأَيْن - يكون بمعنى «كَمْ» قال الله جل ثناؤه «وكأَيْن من قرية عتت عن أمر ربها».

وفيها لغتان: «كأَيْن» بالهمز والتشديد. و«كأَيْن» . وقد قرئ بهما، قال الشاعر:

وكأَيْن أرينا الموت من ذي تحية

إذا ما ازدرانا أو أصرر لمام

وسمعت بعض أهل العربية يقول: ما أعلم كلمة يثبت فيها التنوين خطأ غير هذه.

(كَأَنَّ)

كلمة تشبيه، قال قوم: هي «إِنَّ» دخلت عليها كاف التشبيه ففتحت، وقد تخفف قال الله جل ذكره «كأن لم يدعنا إلى ضرر منه» إلا أنها إذا ثقلت

(١) عجز بيت من قصيدة أنشدتها (الفرزدق) . رصده:

فكيف إذا مررت بدار قوم

في مثل هذا الموضع قرنت بها الهاء فقليل « كأنه لم يدعنا ». وقالت (الخنساء) في التخفيف :

كأن لم يكونوا جمي يتقى
إذ الناس إذ ذاك من عزّ بزا^(١)
أرادت : كأنهم لم يكونوا .

(كَلَّا)

تكون ردّاً وردعاً ونفيّاً لدعوى مدّعٍ إذا قال « لقيتُ زيداً » قلت « كَلَّا » .

وربما كانت صِلَةً ليمين ، كقوله جل ثناؤه « كَلَّا والقمر » . وهي - وإن كانت صِلَةً ليمين - راجعةٌ إلى ما ذكرناه . قال الله جل ثناؤه « كَلَّا لَا تُطْعِمُهُ » فهي ردعٌ عن طاعةٍ من نهاه عن عبادة الله جل ثناؤه . ونكتةٌ بابها النفي والنهي .

وزعم ناس أن أصل « كَلَّا » : « كَلَا » و « لَّا » . قال :

أصابَ خصاصةً فبدأ كليلاً
كَلَّا وانقلَّ سائرُهُ انغلالاً^(٢)

(١) من مرثيتها المشهورة . ومطامها :

تعرقي الدهر نمشا ووخزا وأوجيني الدهر قرعا ومخزا

(٢) من قصيدة أنشدها (ذوالرمة) في مدح (بلال بن أبي بردة) وفي رواية « وانقل جانبه »

ومنها قبلة :

أمية أحسن الثقلين جيذا وسالفة وأحسنه قدالا

تربك يياض لبنتها ووجهاً كقرن الشمس أفتق حين زالا

ثم يأتي البيت الذي ذكره (ابن فارس) ومنها البيت المشهور وفيه ذكر المندوح :

سمعت الناس ينتجعون غيتنا فقلت لصبيح انتجعي بلالا

وهذا ليس بشيء. و «كلاً» كلمة موضوعية لما ذكرناه على صورتها في التثقيب، وقد ذكرنا وجوه «كلاً» في كتاب أفردناه.

فأما تقيض «كلاً» فقال بعض أهل العلم: إن «ذلك» و «هذا» تقيضان «لا». و «أن» كذلك تقيض «كلاً». قال: وقوله جل ثناؤه «ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم» على معنى: ذلك كما قلنا وكما فعلنا. ومثله «هذا وإن للطاغين لشر مآب» بمعنى: هذا كما قلنا وإن للطاغين لشر مآب. قال: ويدل على هذا المعنى دخول «الواو» بعد قوله «ذلك» و «هذا» لأن ما بعد الواو يكون منه وقاً على ما قبله بها وإن كان مضمراً. وقال جل ثناؤه «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن لجملة واحدة» ثم قال - كذلك «أي كذلك فعلناه ونفعله من التنزيل ومثله في القرآن كثير.

(لَوْ) و (لَوْلَا)

لَوْ - تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، تقول «لو حَضَرَ زيدُ لَحَضرت» فامتنع هذا لامتناع هذا.

وكان (الفراء) يقول: «لو» يقوم مقام «إن»، قال جل ذكره «ولو كره الكافرون» بمعنى: وإن كره، ولولا أنها بمعنى «إن» لاقتضت جواباً لأن «لو» لا بد لها من جواب ظاهر أو مضمّر كقوله جل ثناؤه «ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال - وإنما وضعت مقام «إن» لأن في كل واحد منهما معنى الشرط، كما يقال في الكلام «لا كرمك وإن جفوتني - و - لو جفوتني» و «لأعطينك وإن منعتني - و - لو منعتني».

وأما «لولا» - فإنها تدل على امتناع الشيء لوجود غيره . تقول «لولا زيدٌ لضربتك» وإنما امتنعت من ضربه لأجل زيد .

وقد يكون «لولا» بمعنى «هلاً» كقوله جل ثناؤه «فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا» أي «فهللاً» . قال الشاعر :

تعدون عقرَ النيب أفضل مجدكم
بني ضوطرى لولا السكبي المتعماً (١)

أي «هلاً» .

وكذلك «لوماً» ، كقوله جل ثناؤه «لوماً تأتينا بالملائكة» أي «هلاً تأتينا» .

وأما «لولا» الأولى فكقوله جل ثناؤه «فلولا أنه كان من المسبحين لآبث في بطنه» وقوله جل وعز «فلولا كانت قرية آمنت» فلها وجهان : أحدهما أن يكون بمعنى «هلاً» والوجه الآخر أن يكون بمعنى «لم» يقول : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يؤنس . ومثله «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض» بمعنى لم يكن .

(لم) و (لما)

لم - تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه إلى الماضي . نحو «لم يقم زيد» تريد : ما قام زيد . فإن دخل عليها حرف جزاء لم تنقل معنى الاستقبال ، تقول «إن لم تقم» ولا يحسن السكوت عليها إلا إذا كانت جواباً لمثبت كأن قال «قد خرج زيد» فتقول «لماً» .

(١) البيت من شعر (جرير) .

و «لَمَّا» - لا تدخل إلا على مستقبل ، تقول «جئيت ولما يجيء زيد بعد» فيكون بمعنى «لم» كقوله جل ثناؤه «بل لما يذوقوا عذاب» .
فأما «لَمَّا» التي للزمان فتكون للماضي ، تقول «قصدتُك لَمَّا ورد فلان» .

(لَنْ)

لَنْ - تكون جواباً للمثبت أمراً في الاستقبال ، يقول «سيقوم زيد» فتقول أنت «ان يقوم» .
وحكي عن (الخليل) أن معناها «لا أن» بمعنى «ما هذا وتنت أن يكون كذا» .

(لا)

لا - حرف نَسَقٍ يَفِي الفعلَ المُسْتَقْبَلِ ، نحو «لا يخرج زيد» .
ويُفِي به نحو «لا تفعل» . ويكون بمعنى «لم» إذا دخلت على ماض كقوله جل ثناؤه «فلا صدق ولا صلى» أي : لم يُصِدِّقْ ولم يُصَلِّ . وقال الشاعر:
وأي خميس لأفأنا بها

وأسيافنا يقطن من كبشه دما

وأنشدني أبي :

ان تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا
وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمًا (١)

(١) كان عرب الجاهلية يقولون عند ما يطوفون بالبيت :

لاهم لهذا رايع ان تما أمه الله وتمد أما

ان تغفر اللهم تغفر جا وأي عبد لك لا أَلَمًا

والبيتان من نظم (أبي نراش خويلد بن مرة القردي) نسبة الى (قردد) وهو (عمرو بن

أي : أيُّ عبد لك لم يُلِمَّ بالذنب .
 وكان (قَطْرُب) يقول : إنَّ العرب تُدخل « لا » توكيدا في الكلام
 كما يُدخلون « ما » في مثل قوله جلَّ ثناؤه « فقايلًا ما يؤمنون » و « فيما
 نقضهم » وكذلك « ما منعك ألاَّ تسجد » أي : ما منعك أن تسجد .
 وكذلك « لا أقسم بيوم القيامة » المعنى : أقسم . وقد يجوز في « لا أقسم »
 أن يكون نفي بها كلاماً تقدّم منهم ، كأنه قال : ليس الأمر كذا ؛ ثم قال :
 أقسم . وقال (زهير) في « لا » :

مُورَّتُ المَجْد لا يَغْتالُ هِمَّتُهُ

عن الرِّياسة لا عَجْزٌ ولا سَأْمٌ (١)

أي : لا يغتالها عجز . وقال :

يوم جَدودا لا فِضْحَتُمُ أبا كُمُ

وسالمتُمُ والخيلُ تَدْتُمي نُحورُها

يريد : فضحتم أباكم . وحكى (قطرب) : « ضربتُ لزيداً » . وقال آخر :

وقد حداهن بلا غير خُرُقُ

وقال (الهذلي) :

أفعنك لا برق كأنَّ وميضه

غاب أسنمه ضرام مُثقب

مأوية بن سعيد بن هذيل (قال (السكري) في (أشعار هذيل) قال (الاصمعي) أخبرنا
 (ابن أبي طرفة الهذلي) أن (أبا خراش) أنشد هذين البيتين وهو يسمي بين (الصفا)
 و (المروة) وتم شجر يومئذ .

(١) من قصيدته التي يمدح بها (هرم بن سنان) ومطلبها :

قف بالديار التي لم ينفها القوم بلى وغيرها الأرواح والدم

ومن الباب قوله جل ثناؤه « لثلاث يعلم أهل الكتاب » .
قال (أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »
قال : « لا » من حروف الزوائد لتتيمم الكلام ، والمعنى الغاؤها . قال (العجاج) :

في بئر - لا - حور سرى وما شعر

أي : بئر حور ، أي هلكة . وقال (أبو النجم) :

فما ألوم البيض أن - لا - تسخر

يقول : فما ألومهن أن يسخرن . وقال (الشماخ) :

أعاش ما لأهلك ^(١) - لا - أراهم

يضيعون الهجان مع المضيع ؟

يريد : أراهم يضيعون السوام ، و « لا » إنما هي لغو . وقال :

ويلحيني في اللو أن - لا - أجه

وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل

المعنى : يلحيني في اللو أن أجه . وفي القرآن « ما منعك أن - لا -

تسجد » أي : أن تسجد .

قال (أحمد بن فارس) : « أما قوله إن « لا » في « ولا الضالين » زائدة

فقد قيل فيه : إن « لا » إنما دخلت ها هنا مزيلةً لتوهم متوهم أن الضالين

هم المغضوب عليهم ، والعرب تنعت بالواو ، يقولون « سررت بالظريف

والعاقل » فدخلت ، « لا » مزيلةً لهذا التوهم ومعلمة أن الضالين هم غير المغضوب

عليهم . وأما قوله في شعر (الشماخ) : إن « لا » زائدة في قوله « ما لأهلك

(١) ورد في ديوانه الذي شرحه العالم القنوي الأديب الشيخ أحمد بن اللمين الشنقيطي
« ما لدمك » .

لا أراهم « فغلط من (أبي عبيدة) لأنه ظن أنه أنكر عليهم فساد المال ، وليس الأمر كما ظن ، وذلك أن « الشماخ » احتج على امرأته بصنيع أهلها أنهم لا يضيعون المال . وذلك أن امرأة الشماخ وهي (عائشة) قالت للشماخ : لم تشدد على نفسك في العيش حتى تلزم الابل وتعزب فيها ؟ فهوّن عليك . فردّ على امرأته فقال : مالي أرى أهلك يتعهدون أمواليهم ولا يضيعونها ، بل يصلحونها ، وأنت تأمريني باضاعة المال ؟ فقال :

أعائش مالا ملك لا أراهم

يضيعون الهجان مع المضيع ؟

وكيف يضيع صاحب مدفات

على اثبا جهن من الصقيع ؟

لمال المرء يصلحه فيني

مفاقره أعف من القنوع

و « لا » تنفي الاسم المنكور ، نحو « لا رجل عندك » .

(لات)

اختلف الناس فيها : فمنهم من زعم أن « التاء » متصلة بـ « لا » وأنها بمنزلة « ليس » على تأويل « وليس حين مناص » نصب « حين » بـ « لير » « ليس » وقال (الأفوه) ^(١) وجعل « لات » بمعنى « حين » :

(١) هو (صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب ابن سعد الدثيرة) ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان . كان سيد قومه ومن قدياء شعراء الجاهلية وكان يصدرون عن رأيه والعرب تعدد من حكمائها وهو النائل :

لا يصالح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

تهدا الامور بأهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار نقاد

والبيت الذي استشهد به ابن فارس من قصيدة لهذا الشاعر العربي وهي من جيد شعر العرب وقد

ترك الناس لنا اكتافهم
وتولوا لات لم يُغنِ الفرار
(لَدُنْ)

لَدُنْ - بمعنى «عِنْدَ». قال الله جل ثناؤه «قد بلغت من لدِّي
عذرا» وقال «لا تخذاه من لدننا» أي: من عندنا.
وقد تحذف النون من «لَدُنْ» قال الشاعر:
من لَدُنْ لَحِيهِ إِلَى مَنْحُورِهِ

و: (لَدَى)

بمعنى «لَدُنْ» قال الله جل ثناؤه «وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ».

(لَيْسَ)

ليس - نفيٌ لِفِعْلٍ مُسْتَقْبَلٍ تقول «ليس يقوم».
وزعم ناس أنها من حروف النَّسَقِ نحو «ضربتُ عبدَ الله ليس
زيداً» و«قام عبد الله ليس زيداً» و«مررت بعبد الله ليس يزيداً» لا يجوز
حذف الباء لأنك لا تضمّر المُرور والباء. ولو قلت «ظننتُ زيداً ليس عمراً
قائماً» جاز. قال (ليبد):

نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام في قوله:

ريشت جرحهم بلا فرى جرحها منهن فوق وغرار

وأول التصيدة قوله:

ان تري رأسي فيه نزع وشواتي خلة فيها دوار

ومنها:

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار

حتم الدهر عايننا أنه ظلف ما نال منا أو جبار

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار

وإذا جوزيت فرضاً فاجزه :

إنما يجزي الفتى ليس الجمل .

والبصريون يقولون : لا يجوز العطف بـ « ليس » ، وهي لا تشبه
من حروف العطف شيئاً . ألا ترى أنه يتبدأ بها ويضمرفيها ، وروى (سيبويه)
هذا البيت :

إنما يجزي الفتى غير الجمل

قالوا : وخطأ « رأيت زيدا ليس عمرا » لأنه لا يكون على تقديرهم
فعل بلا فاعل ، وكان (الكسائي) يقول : أجريت « ليس » في النسق
مجري « لا » .

(لَعَلَّ)

لَعَلَّ - تكون استفهاماً وشكاً . وتكون بمعنى « خائق » .
وحكي عن (الكسائي) أن « لَعَلَّما » تأتي بمعنى « كأنما » وأثما . وأنكر
(الفراء) هذا ، قال : لان « أنما » معبرة عن « أن » ولا يجوز أن تُسقط
« ما » منها أبداً .

وأهل البصرة يقولون : « لعل » ترج . وبعضهم يقول : توقع .
وتكون « لعل » بمعنى « عسى » . وتكون بمعنى « كي » . قال الله
جل ثناؤه « وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون » يريد : لكي تهتدوا .

(لَكِن)

قال قوم : هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معان : منها « لا » وهي
نفي و « الكاف » بعدها مخاطبة و « النون » بعد الكاف بمنزلة « إن »
الخفيفة أو الثقيلة ، إلا أن الهمزة حذفت منها استئقالا لاجتماع ثلاثة معان

في كلمة واحدة ، فلا تنفي خبراً متقدماً وإن ثبت خبراً متأخراً ، ولذلك لا تكاد تجيء إلا بعد نفي وجحد ، مثل قوله جل ثناؤه « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ومما يدل على أن النون في « لكن » بمنزلة « إن » خفيفة أو ثقيلة أنك إذا ثققت النون نصبت بها وإذا خففتها رفعت بها .

(مذ) و (منذ)

هما ابتداء غاية في زمان . نحو « منذ اليوم » و « منذ الساعة » .

(ما)

أصل « ما » أنها تكون لغير الناس تقول « ما مررت بك من الأبل ؟ » . فأما قوله جل ثناؤه « وما خلق الذكور والانتى » فقال (أبو عبيدة) : معناها « ومن خلق الذكور والانتى » . وكذلك « والسماء وما بناها » أي « ومن بناها » وكذلك « ونفس وما سواها » . قال : وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد « سبحان ما سبحت له » وبعضهم يقرأ « وما خلق الذكور والانتى » أي : وخالقه الذكور والانتى .

و « ما » تكون صلة ، كقوله جل ثناؤه « قليلاً ما تذكرون » المعنى : قليلاً تذكرون . ولو كانت اسماً لارتفع فقلت « قليل ما تذكرون » أي : قليل تذكرون .

و « ما » تكون للتنخيم ، كقوله جل ثناؤه « الحاقة ما الحاقة » . ومنه :

بانت لتجر لنا غفاره

يا جارتا ما أنت جاره

وذكر بعضهم أن « ما » هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا

« ما أحسن زيدا » .

وقد تكون « ما » مُضمرةً ، كقوله جل ثناؤه « وإِذْ رَأَيْتَ ثَمَّ »
أراد: ما ثَمَّ . وكما قال « هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ » أي : ما بيني . و « لقد
تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ » أي : ما بينكم . فاذا قلت « بينكم » فعناه : وصلكم .
وتكون للنفي ، نحو « ما فعلت » .

وتكون للاستفهام ، نحو « ما عندك ؟ » . وزعم ناس في قولهم « قَبْلَ
عَيْرٍ وَمَا جَرَى » أن « ما » للنفي . وأنشدوا قول (الشماخ) :

أَعَدُّوا الْقِمَصَى قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى

ولم تَدْرِ مَا خُبْرِي ، وَلَمْ أَدْرِ مَا لَهَا (١)

يقول : نفرت هذه المرأة مني مثل ما نفرت أُنْ من عَيْرٍ من قبل أن
يلوَّها ويعدو إليها . وما جرى ، أي : لم يجر إليها .

(مِنْ)

يُسميها أهل العربية « ابتداءً غاية » . وتكون للجنس ، نحو « خاتمٌ

من حديد » .

وتكون للتبويض ، نحو « أكلت من الرغيف » .

وتكون رفعاً للجنس نحو « ما جاءني من رجل » .

وتكون صلةً ، نحو قوله جل ثناؤه « مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ » و « نكفر

(١) كان الشماخ قد تزوج امرأة من (سليم) فادعت انه ضربها وكسر يدها . فتكاه قومه
الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأذكر مادعوا عليه ، فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستخلفه على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل . قتال الشماخ في ذلك القصيدة التي منها هذا البيت ،
ويروي « القيصي » بالباء و « القبضي » بها وبالضاد و « ما بالي » بدل « ما خبري » . ومماها:
ألا أصبحت عرسي من البيت جامعاً على غير شيء ، أي أمر بدالها ؟

عنكم من سيئاتكم .

وتكون تعجبا ، نحو « ما أنت من رجل » و « حسبك من رجل » .
وتكون بمعنى « على » ، قال الله جل ذكره « ونصرناه من القوم - » .
وكان (أبو عبيدة) يقول في قوله جل وعز « من يعمل من الصالحات » :
ان « من » صلة . قال (أبو ذؤيب) :

جزيتك ضعف الود لما أردته

وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي

وقال غيره : لا تزد من أمر واجب ، يقال « ما عندي من شيء » و « ما
عنده من خير » و « هل عندك من طعام ؟ » . فاذا كان واجبا لم يحسن شيء
من هذا : لا تقول « عندك من خير » .

(من)

اسم لمن يعقل . تقول « لقيت من لقيت » و « من مر بك ؟ » في
الاستفهام . وهو يكون في الواحد والاثنين والجمع . ويخرج الفعل منه
على لفظ الواحد والمعنى تثنية أو جمع . قال :

تعال ، فإن عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من يذيب يصطحبان (١)

وكذلك يكون في المؤنث . قال الله جل ذكره « ومن يقنت منكن » .

(١) البيت من قصيدة خاظم (الفرزدق) بها ذمبارفة أبعده بهش شاة له مسلوخة ففطم
الفرزدق رجل الشاة ورمى بها إليه فأخذها وتنحى ، ثم عاد ، ففطم الفرزدق اليد ورمى بها إليه .
ويروي الشطر الاول من هذا البيت « تمش » فان وانقنتي لا تخونني . أما أول القصيدة فنوله :
وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت : اهن دونك اني وياك في زادي لشتر كان
فبت أسوي الزاد يبي وبينه على ضوء نار مرة ودخان

و «مَنْ» تُضْمَرُ . قَالَ اللَّهُ جَل ثناؤُهُ «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ» الْمَعْنَى : إِلَّا مَنْ . وَمِثْلُهُ «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ» أَي : إِلَّا مَنْ .

(مِ) و (مِهْمَا)

مَهْ - زَجْرُهُ وَإِسْكَاتٌ وَأَمْرُهُ بِالتَّوَقُّفِ عَمَّا يَرِيدُهُ الْمَرِيدُ ، كَأَنَّ قَائِلًا يَرِيدُ الْكَلَامَ بِشَيْءٍ أَوْ فَاعِلًا يَرِيدُ فِعْلًا فَيُقَالُ لهُمَا «مَهْ» أَي : قِفْ وَلَا تَقْعَلْ وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . قَالَ :

مَهْ مَالِي اللَّيْلَةَ ، مَهْ مَالِيَهُ

يَارَاعِي ذَوْدِي وَأَجْمَالِيَهُ

وَيَكُونُ هَذَا عَلَى أَنْ أَمْرًا تَقْدَمُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَائِلُ فَقَالَ «مَهْ» ثُمَّ مَرَّ فِي كَلَامِ نَفْسِهِ . وَ«مِهْمَا» - بِمَنْزِلَةِ «مَا» فِي الشَّرْطِ . قَالَ اللَّهُ جَل ثناؤُهُ «وَقَالُوا : مِهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ» وَيُقَالُ : لِأَيِّهَا «مَا» أَدْخَلْتَ عَلَيْهَا «مَا» . قَالُوا : تَكُونُ أَحَدَهُمَا كَالصَّلَاةِ كَقَوْلِهِ جَل ثناؤُهُ «أَيَّامًا تَدْعُو» فَغَيْرُ اللَّفْظِ .

(مَتَى)

مَتَى - سَوْأَلٌ عَنِ وَقْتِ . تَقُولُ «مَتَى يَخْرُجُ زَيْدٌ؟» .
و «مَتَى» يَكُونُ شَرْطًا يَقْتَضِي التَّكْرَارَ . تَقُولُ «مَتَى كَلِمَتُ زَيْدٍ أَفْعَلِي كَذَا» سَمِعْتَ عَلِيًّا يَقُولُ : سَمِعْتَ ثَعْلَبًا يَقُولُ ذَلِكَ .
فَأَمَّا «مَتَى» الَّتِي فِي لُغَةِ (هُذَيْلٍ) فَلَيْسَتْ مِنْ هَذَا ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ «وَضَعْتُهُ مَتَى كُمِّي» يَرِيدُونَ : الْوَسْطَ وَيَنْشُدُونَ :
شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَصَعَّدتْ
مَتَى لَجِجٍ خَضْرٍ لَهْنٍ تَلْبِجُ

قالوا: معناه من اجبج. وقالوا: بمعنى وسط.

(نَعَمْ) و (نَعَمْ)

« نَعَمْ » - عدة تصديق. و « نَعَمْ » - كلمة تنبيء عن المحاسن كلها.

(هَلَمْ)

قالوا: معناها « تعال ». وكان (الفراء) يقول: أصلها « هل » ضم إليها « ام » وتأويل ذلك أن يقال « هل لك في كذا ، أم » أي: اقصد وتعال. وكان (الفراء) يقول: معنى « اللهم » يا الله أمنا بخير. فكثرت في الكلام واختلطت وتركزت الهمزة.

(ها)

قالوا: معناها « خذ ». تناول « تقول « ها يارجل ». ويؤمر بها ولا يهى بها. وفي كتاب الله جل ثناؤه « هاؤم اقرؤا كتابيه ».

(هَات)

بمعنى « أعط » على لفظ « رام » و « عأط ». قال الله جل ثناؤه « قل هاؤا برهانكم » قال (الفراء): ولم يُسمع في الاثنين، إنما يقال للواحد والجميع. ويقولون: أنا أهاتيك، وليس من كلامهم هاتيت، ولا يهى بها. وبلغني أن رجلاً قال لآخر: هات. فقال: لا أهاتيك ولاؤا أتيك.

(وَيَسْكَأَنَّ)

اختلف أهل العلم فيها. فقال (أبو زيد): معنى « ويكأنه » ألم تر وأنشد:

ألا ويك المسرة لاتدوم

ولا يبقى على الدهر النعيم

وأنشد (أبو عبيدة):

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَانِي قَلَّ مَالِي . قَدْ جِئْتَانِي بِسُكْرٍ
 وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ لَشَبٌّ يُبْتِغِيهِ — بِبُؤْمِنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضَرٍّ
 وحدثني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن (الفراء) قال :
 هو في كلام العرب تقرير كما يقول القائل « أما ترى إلى صنع الله » .
 وحكى (الفراء) عن شيخ من البصريين قال : سمعت أعرابية تقول
 لزوجها : أين ابنك ؟ فقال زوجها : ويكأنه وراء الباب . معناه : أما ترى
 وراء الباب ؟

قال (الفراء) ويذهب بها بعض النحويين إلى أنهما كلمتان ، يريد
 « وَيَاكَ » إنما أراد « وَيَلَاكَ » حذف اللام ويجعل « ان » مفتوحة
 بفعل مضمر كأنه قال : ويلاك اعلم أن . وقال : إنما حذفوا اللام من « وَيَاكَ »
 حتى صارت « وَيَاكَ » ، فقد تقول العرب ذلك لكثيرتها في الكلام
 واستعمال العرب إياها . قال (عنترة) :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
 قيل الفوارس وَيَاكَ عَنَّتْ أَقْدِيمِ

وقال آخرون : وَيَاكَ « وَيَا » منفصلة من « كَأَنَّ » كقولك
 للرجل : أما ترى بين يديك . فقال « وَيَا » ثم استأنف « كَأَنَّ الله »
 و « كَأَنَّ » في معنى الظن والعلم . وفيها معنى تعجب . قال : وهذا
 وجه مستقيم ، ولم تكتبها العرب منفصلة . ويجوز أن يكون كثيرها
 الكلام فوصلت بما ليس منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب « يَا بُؤْمِ »
 فوصلها لكثيرتها .

(أَوْلَى)

سمعت (أبا القاسم علي بن أبي خالد) يقول سمعت (ثعلباً) يقول
«أولى له» أي : دانه الهلاك . وأصحابنا يقولون «أولى» تهذؤ ووعيد .
وهو قريب من ذلك . وأنشدوا :

أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الثَّقَفَا
أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ

وقال قوم — وأنا أبرأ من عهده — : إن «أولى» مأخوذ من
«الْوَيْلُ» . وكان للويل فعل وتصريف درَج ولم يبق منه إلا «الويل»
قط . قال (جرير) :

يَعْمَلْنَ بِالْأُكْبَادِ وَيَلَا وَآئِلَا

فقوله «أولى» : «أفعل» من الويل ، إلا أن فيه القلب .

وقال قوم «أولى» : دانه الهلاك فليحذر . قال :

أَوْلَى لَكُمْ ثُمَّ أَوْلَى أَنْ تُصِيْبَكُمْ
مِنِّي نَوَاقِرُ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ

(يَا)

تكون لنداء ، نحو : «يازيد» . والنداء ، نحو «ياالله» . وتكون

للتعجب ، كقوله «ياله فارساً» . وفي التعجب من المذموم : «ياله جاهلاً»
قال في المدح أنشد فيه (القطان) عن (ثعلب) :

يَا فَارِسًا مَا أَبُو أَوْفَى إِذَا شَغِلَتْ

كُتَابُ الْيَدِينِ كَرُورًا غَيْرَ فَرَارٍ

وفي الذم قول الآخر :

أبو حازم جارٌ لها وابنُ برثنِ

فيالكِ جارِي ذلَّةً وصغارِ

و « يا » للتَهْلُفِ والتأسف نحو قوله جل ثناؤه « يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ » .
ويكون تنيبها كقوله :

يا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلهُ

جريرٍ ولكنْ في كليبٍ تواضعُ

وعلى هذا يتأولُ قوله جل ثناؤه « أَلَا يَسْجُدُوا » وقد ذكرناه .
و « يا » تكون للتلذُّذِ نحو قوله :

يا بَرْدَهَا عَلَى الْفَوْءِ ادْلُو يَقِفُ



باب معاني الكلام

وهي عند بعض أهل العلم عشرة: خبرٌ . واستخبار . وامر . ونهي .
ودعاء . وطلب . وعرض . ومخضيض . وثمن . وتعجب .

فهذا : (باب الخبر)

أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلامٌ . تقول :
« أخبرته . أخبره » والخبر هو العلم .

وأهل النظر يقولون : الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه . وهو
إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم . نحو « قام زيد »
و « يقوم زيد » و « قائم زيد » . ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا . فالواجب
قولنا « النار محرقة » . والجائز قولنا « لقي زيد عمراً » . والممتنع قولنا
« حملت الجبل » .

والمعاني التي يحتملها لفظ « الخبر » كثيرة : فمنها (التعجب) نحو « ما
أحسن زيدا » . و (التمني) نحو « وددت أنك عندنا » . و (الانكار) : « ما له
عليّ حق » . و (النفي) : « لا بأس عليك » . و (الأمر) نحو قوله جلّ
ثناؤه « والمطلقات يتربصن » . و (النهي) نحو قوله « لا يمسهُ إلا المطهرون » .
و (التعظيم) نحو « سبحان الله » . و (الدعاء) نحو « عفا الله عنه » .
و (الوعد) نحو قوله جلّ وعزّ « سنريهم آياتنا في الآفاق » . و (الوعيد)
نحو قوله « وسيعلم الذين ظلموا » . و (الانكار والتبكيكيت) نحو قوله جلّ
ثناؤه « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » .

وربما كان اللفظُ خبراً والمعنى شرطاً وجزاء ، نحو قوله « إنا كاشفوا

العذاب قليلاً إنكم عاثدون ، فظهره خبر ، والمعنى : إننا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا . ومثله « الطلاق مرتان » المعنى : من طلق امرأته مرتين فليُدسِكها بعدها بمعروف أو يسرّحها بإحسان .

والذي ذكرناه في قوله جل ثناؤه « ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم » فهو تبيكيت وقد جاء في الشعر مثله . قال شاعر يهجو جريراً :

أبلغ جريراً وأبلغ من يبلغه
أني الأغرُّ وأني زهرة اليمَن

فقال (جرير) مبتكراً له :

ألم تكن في وُسُومٍ قد وسمتَ بها
من حان موعظةٌ يازهرة اليمَن ؟

ويكون اللفظ خبراً ، والمعنى دعاء وطلب وقد صرّ في الجملة . ونحوه « إيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعين » معناه : فأعنا على عبادتك . ويقول القائل « استغفر الله » والمعنى : اغمِر . قال الله جل ثناؤه « لا تريبَ عليكم اليرمَ يغفِرُ اللهُ لَكُمْ » ويقول الشاعر :

استغفرُ اللهُ ذنباً لستُ مُحصِيه
ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

(باب الاستخبار)

الاستخبارُ - طلب خبرٍ ما ليس عند المستخبر ، وهو الاستفهام .
وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق قالوا : وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجيبُ بشيء ، فربّما فهمته وربّما

لم تفهمه ، فاذا سألت ثاويةً فأنت مستفهم تقول : أفهمني ما قلته لي . قالوا :
والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم .
وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عما لا
تعلمه ، فتقول « ما عندك ؟ » و « من رأيت ؟ » .

ويكون استخباراً ، في اللفظ ، والمعنى تعجب . نحو « ما أصحاب
الأيمنة » . وقد يسمى هذا تفخيماً . ومنه قوله « ماذا يستعجل منه المجرمون »
تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه .

ويكون استخباراً والمعنى توبيخ . نحو « أذهبتم طياتكم » . ومنه قوله :
أغررتني وزعمت أنك لا ابن بالضيف تأمر ؟
ويكون اللفظ استخباراً ، والمعنى تفجع . نحو « ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة » .

ويكون استخباراً ، والمعنى تبيكت نحو « أنت قلت للناس » تبيكت
للنصارى فيما ادعوه .

ويكون استخباراً ، والمعنى تقرير . نحو قوله جل ثناؤه « ألسنت بركم » .
ويكون استخباراً ، والمعنى تسوية . نحو « سواء عليهم أأنذرتهم أم
لم تنذرهم » .

ويكون استخباراً ، والمعنى استرشاد . نحو « أتجعل فيها من يفسد فيها » .
ويكون استخباراً ، والمعنى انكار نحو « أتقولون على الله ما لا تعلمون » .
ومنه قول القائل :

ونقولُ عزةٍ قد ملّت . فقل لها :

أيملُ شيءٌ نفسه فأملها؟ ..

ويكون اللفظ استخبارا ، والمعنى عرض . كقولك « ألا تنزل » .
ويكون استخبارا ، والمعنى تحضيض . نحو قولك « هالآخير من ذلك » . و :

بني ضوْطَرَي لولا الكَمِي المَقْنَمَا

ويكون استخبارا والمراد به الافهام . نحو قوله جل ثناؤه « وما تلك
يمينك » قد علم الله أن لها أمرا قد خفي على موسى عليه السلام ، فأعلمه من
حالتها ما لم يعلمه .

ويكون استخبارا ، والمعنى تكثير . نحو قوله جل ثناؤه « وكم من قرية
أهلكتناها » و « كأين من قرية » . ومثله :

كَمْ مِنْ دَنِيِّ لَهَا قَدْ صرْتُ أَتْبَعُهُ

ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

وقال آخر :

وكم من غائط من دون سألني

قليل الأُنس ليس به كَتِيعُ

ويكون استخبارا ، والمعنى نفي قال الله جل ثناؤه « فمن يهدي من
أضلَّ اللهُ » فظاهره استخبار والمعنى : لا هادي لمن أضلَّ اللهُ . والدليل على
ذلك قوله في العطف عليه « وما لهم من ناصرين » . ومما جاء في الشعر منه
قول (الفرزدق) :

أينَ الذين بهم تُسايي دارمًا :

أم من إلى سألني طيبةً تجعلُ ؟

ومنه قوله جل ثناؤه « أفأنت تنقذ من في النار » أي لست متقدِّم .
وقد يكون اللفظ استخبارا ، والمعنى إخبار وتحقيق . نحو قوله جل

ثناؤه « هل أتى على الانسان حين من الدهر » قالوا معناه : قد أتى .
ويكون بلفظ الاستخبار ، والمعنى تعجب . كقوله جل ثناؤه « عمّ
يتساءلون » و « لأيّ يوم أجبت » و من دقيق باب الاستفهام أن يوضع
في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء . وذلك كقول القائل « إن أكرمك
تكرمني » المعنى : أتكرمني إن أكرمك ؟ قال الله جل ثناؤه « أفان متّ
فهم الخالدون ؟ » فأويل الكلام : أفهم الخالدون إن متّ ؟ ومثله « أفان مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » فأويله : أفنقلبون على أعقابكم إن مات ؟
وربما حذف العرب ألف الاستفهام . من ذلك قول الهذلي :

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع
فقلت - وأنكرت الوجوه - هم هم ؟
أراد : أم ؟ وقال آخر :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
شعث بن سهم ، أم شعث بن منقر ؟
وقال آخر :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
بسمع رمين الجمر ، أم ثمان ؟
وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله جل ثناؤه في قصة ابراهيم عليه
السلام « هذا ربي » : أي : أهذا ربي ؟

(باب الأمر)

الأمر عند العرب - ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً . ويكون -

بلفظ « افعل » و « ليفعل » نحو « أقيموا الصلاة » ونحو قوله « وليحكم أهل الأنجيل » .

فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فإن يكون أمراً ، والمعنى مسألة .
نحو قولك « اللهم اغفر لي » . قال :

ما مسَّها من نَقْبٍ ولا دَبْرٍ

اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَّرَ (١)

ويكون أمراً ، والمعنى وعيد . نحو قوله جل ثناؤه « فتمتعوا فسوف

تعلمون » . ومثله قوله جل ثناؤه « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ » . ومنه قول (عبيد) :

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسِ مُرَّةٍ

فِيهَا الْمُشْمَلُ نَاقِعًا فليشربوا

ومن الوعيد قوله :

أرؤوا (٢) علي وأرضوا بي رجالكم

واستسمعوا يا بني ميثاء إنشادي

ما ظنكم ببني ميثاء إن رقدوا

ليلاً وشدَّ عليهم حية الوادي ؟

وقد جاء في الحديث « إذا لم تسحَّحي فاصنع ما شئت » أي : إن الله

جل ثناؤه مجازيك قال الشاعر :

(١) فخر : مال عن الصدق . ومكاة الشعر أن أعرايا أتى عمر بن الخطاب فشكا إليه نقب
إليه ودبرها واستحمله ، فلم يحمله عمر وأقسم له أنه ليس فيها ما يزعم الاعرابي ، وأول قول الراجز :
أقسم بالله أبو حفص عمر

(٢) من « الرواية » .

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي

وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تسليم. نحو قوله جل ثناؤه « فاقض ما أنت قاض ».

ويكون أمراً، والمعنى تكوين. نحو قوله جل ثناؤه « كونوا قردة خاسئين ». وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله جل ثناؤه.

ويكون أمراً، وهو نذب. نحو قوله ثناؤه « فانثشروا في الأرض ».

ومثله :

فَقُلْتُ لِرَاعِيهَا انْتَشِرْ وَتَبَقَّلْ

ويكون أمراً، وهو تمجيز. نحو قوله جل ثناؤه « فانفذوا، لانفذون

إلا بساطان ». ومثله :

خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَكَارَ بِهَا

وَابْرُزْ بَبْرَزَةً حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ

ويكون أمراً، وهو تعجب. نحو قوله جل ثناؤه « أسمع بهم ». قال :

أَحْسِنُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ

مَوْعُودَهَا ، وَلَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ (١)

ويكون أمراً، وهو تمنى. تقول لشخص تراه « كن فلاناً ».

ويكون أمراً، وهو واجب. في أمر الله جل ثناؤه « أقيموا الصلاة ».

ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تلهيف وتحسير. كقول القائل « مت

(١) البيت لسكيب بن أبي زهير رضي الله عنه . من تصدته لمشهورة التي مدح بها النبي صلى

الله عليه وسلم ويروي « أكرم بها » مكان « أحسن بها » وأول القصيدة قوله :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم أثرها لم يفسد كقبول

بَغِيْظِكَ» و «مُتِّ بِدَائِكَ» وفي كتاب الله جل ثناؤه «قل موتوا بغيظكم»
ثم قال (جرير):

موتوا من الغيظ نهماً في جزير تكم
لن تقطعوا بطن وادٍ دونه مضر

ويكون أمراً، والمعنى خبر. كقوله جل ثناؤه «فليضحكوا قليلاً، وليبكوا كثيراً» المعنى: أنهم سيضحكون قليلاً ويكون كثيراً.

فان قال قائل: فما حال الأمر في وجوبه وغير وجوبه؟ قيل له: أما العرب فليس يحفظ عنهم في ذلك شيء، غير أن العادة جارية بأن من أمر خادمه بسقيه ماء فلم يفعل، أن خادمه عاص. وأن الأمر منصبي. وكذلك إذا نهى خادمه عن الكلام فتكلم، لا فرق عندم في ذلك بين الأمر والنهي. فأما «النهي» - فقولك «لا تفعل». ومنه قوله:

لا تنكحني - إن فرّق الدهر بيننا -

أغمّ القفا والوجه ليس بأزعا^(١)

وأما «الدعاء، والطلب» - فيكون لمن فوق الداعي والطالب. نحو «اللهم اغفر». ويقال للخليفة «انظر في أمري». قال الشاعر:

إليك أشكو، فتقبل ملتي

واغفر خطاياي وتمرّ ورفي

و «العرض، والتحضيض» - متقاربان. إلا أن العرض أرفق. والتحضيض أعزم. وذلك قولك في العرض «ألا تنزل. ألا تأكل».

(١) من فصيحة (هبة بن خشر) ومثلها:

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

والاغراء والحثُّ قولك « أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَطِيعَنِي ». وفي كتاب الله جل ثناؤه « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ». والحثُّ والتحضُّيض كالأمر . ومنه قوله عز وجل « أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، أَلَا يَتَّقُونَ » فهذا من الحثِّ والتحضُّيض ، معناه : ائْتِهِمْ وَمُرَّهُمْ بالالتقاء .

و « لولا » يكون لهذا المعنى ، وقد مضى ذكرها . وربما كان تأويلها النفي ، كقوله جل ثناؤه « لولا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ » المعنى : اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ .

و « التمني » - قولك « وَدِدْتُكَ عِنْدَنَا » وقوله :

وَدِدْتُ - وَمَا تُنْبِي الْوَدَادَةَ - أَنِّي

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ .

قال قوم : هو من الاخبار ، لأن معناه « ليس » اذا قال القائل « كَيْتَ لِي مَالاً » فعناه : ليس لي مالٌ . وآخرون يقولون : لو كان خبراً جاز تصديق قائله أو تكذيبه ، وأهل العربية مختلفون فيه على هذين الوجهين .

أما « التعجب » - فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف . كقولك « مَا أَحْسَنَ زَيْدًا » . وفي كتاب الله جل ثناؤه قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » وكذلك قوله جل ثناؤه « فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ » وقد قيل : ان معنى هذا « مَا الَّذِي صَبَّرَهُمْ » . وآخرون يقولون « مَا أَصْبَرَهُمْ : مَا أَجْرَاهُمْ » . قال : وسمعت أعرابياً يقول لآخر : مَا أَصْبَرَكَ عَلَى اللَّهِ ، أَي مَا أَجْرَأَكَ عَلَيْهِ .

باب الخطاب

يأتي بلفظ المذكر، أو لجماعة الذكركران

إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم يُنصَّ فيه على ذكر الرجال فإن ذلك الخطاب شامل للذكركران والانات . كقوله جل ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . كذا تعرف العرب هذا . فإذا قال القائل « هذا لقوم من بني فلان » فقد ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن « القوم » للرجال دون النساء ، فسمت علي بن إبراهيم يقول ، سمعت ثعلباً يقول : يقال « امرؤ . وأمرآن . وقوم » و « امرأة . وامرأتان . ونسوة » . وسمت علياً يقول ، سمعت المفسر يقول ، سمعت عبد الله بن مسلم يقول : « القوم » للرجال دون النساء ، ثم يُخالطهم النساء فيقال « هؤلاء القوم قوم فلان » ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل : هؤلاء قوم فلان ، ولكن يقال : هؤلاء من قوم فلان ، لأن قومه رجال والنساء منهم . قال : وإنما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور وعند الشدائد يقال : قائم وقوم ، كما يقال : زائر وزور . وصائم وصوم . ونائم ونوم . ومثله « النقر » لأنهم ينقرون مع الرجل إذا استنفرهم . قال (امرؤ القيس) :

فهو لا تمني رميته ماله لأعد من نقره (١)

ومما يدل على أن القوم للرجال قول (زهير) :

(١) يقول : إذا رمى هذا الرامي الرمية لم تجز موضعها حتى تموت . ثم دعا عليه بالموت ، ولكن على سبيل التعجب لأهل سبيل الحقيقة . أما مطلع القصيدة فقوله :
رب رام من بني ثعل متلج كنيه في قتره

وما أدري ، وسوف إخال أدري ،

أقوم آل حصن أم نساء (١)

باب أقل العدد الجمع

الرُّتْبُ في الأعداد ثلاث : رتبة الواحد . ورتبة الاثنين . ورتبة الجماعة ، فهي للتوحيد والتثنية والجمع ، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضاً . فان عُبِّرَ عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز والتحقيق ما ذكرناه . فاذا قال القائل « عندي دراهم . أو أفراس . أو رجال » فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين . وإلى ذلك ذهب (عبد الله بن عباس) - ومكانه من العلم باللغة مكانه - في قوله جل ثناؤه « فان كان له إخوة فلأئمة السُّدُسِ » إلى أن الحَجَبَ في هذا الموضع عن الثلث إلى السدس لا يكون إلا بأكثر من اثنين ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « الاثنان فاقوقهما جماعة » فانما أراد أنهما إذا صدياً فقد حازا فضل الجماعة ، لا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمى الشخصين جماعة . وقول القائل : إن أقل ذلك أن يُجمع واحد إلى واحد فهذا مجاز ، وإنما الحقيقة أن يُقال : كان واحد فثنيت ثم جمع . ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنين معنى بوجه ، ونحن نقول « خرجا . ومخرجان » فلو كان الاثنان جمعاً لما كان لقولنا « يخرجان » معنى ، وهذا لا يقوله أحد .

(١) من تصديده التي مطالها :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالتوايم فالحساء

باب الخطاب

الذي يقع به الإِفْهَامُ من القائل ، والفَهْمُ من السامع
 يقع ذلك بين المتخاطِبَيْنِ من وجهين : أحدهما الإِعْرَابُ ، والآخر
 التّعْرِيفُ . هذا فيمن يعرف الوجهين ، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل
 إِفْهَامُ السامع بوجوه يطول ذِكْرُهَا من إشارة وغير ذلك . وإنما المَعْوَلُ على
 ما يقع في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم أو غيرها من الكلام المشترك في اللفظ .

فأما الإِعْرَابُ - فبه تُمَيِّزُ المعاني ويُوْتَفَى على أغراض المتكلمين . وذلك
 أن قائلًا لو قال « ما أحسن زيدٌ » غيرَ « معرب » أو « ضربَ عمرُ زيدٌ »
 غير معرب لم يوقَفَ على مراده . فإذا قال « ما أحسن زيداً » أو « ما أحسنُ
 زيدٍ » أو « ما أحسنَ زيدٌ » أبانَ بالإِعْرَابِ عن المعنى الذي أَرَادَهُ .

والعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفرقون بالحركات وغيرها
 بين المعاني . يقولون « مَفْتَحٌ » للآلة التي يفتح بها . و « مَفْتَحٌ » لموضع
 الفتح و « مَقْصٌ » لآلة القص . و « مَقْصٌ » للموضع الذي يكون فيه القص
 و « مَحَبٌ » للقدح يُحَلَبُ فيه و « مَحَابٌ » للمكان يُحْتَلَبُ فيه ذوات اللبن
 ويقولون « امرأة طاهر » من الحيض لأن الرجل لا يَشْرُكُهَا في الحيض .
 و « طاهرة » من العيوب لأن الرجل يَشْرُكُهَا في هذه الطهارة . وكذلك
 « قاعد » من الحبل و « قاعدة » من القعود . ثم يقولون « هذا غلاماً أحسن
 منه رجلاً » يريدون الحال في شخص واحد . ويقولون « هذا غلام أحسنُ
 منه رجل » فهما إذا شخصان . وتقول « كم رجلاً رأيت ؟ » في الاستخبار .

و « كم رجل رأيت » في الخبر يراد به التكثير . و « هنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ » اذا كنَّ قد حَجَّجْنَ . و « حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ » اذا أُرْدُنَ الحِجَّ . ومن ذلك « جاء الشتاء والحطَبُ » لم يُرَدَّ أنَّ الحطَبَ جاء ، انما أراد الحاجة اليه ، فان أراد مجيئهما قال « والحطَبُ » . وهذا دليل يدل على ما وراءه .

وأما التصريف - فازَّ من فاته علمه فاته المُعْظَم ، لأننا نقول « وَجَدَّ » وهي كلمة مبهمة فاذا صرفنا أفصحنا فقلنا في المال « وَجَدَّ » وفي الضالة « وَجَدَانًا » وفي الغضب « مَوْجِدَةً » وفي الحزن « وَجَدًا » . وقال الله جل ثناؤه « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وقال « وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل الى الجور . ويكون ذلك في الاسماء والأفعال فيقولون للطريقة في الرمل « خِبَّة » وللأرض المنخبة والمجدبة « خِبَّة » . وتقول في الأرض السهلة الخوارة « خارت ، تخور ، خورآ ، وخورآ » وفي الانسان اذا ضعف « خار ، خورا » وفي الثور « خار ، خورآ » . ويقولون للمرأة الضخمة « ضِنَّاك » وللزئمة « ضِنَّاك » ويقولون للابل التي ذهبت ألبانها « شَوْل » وهي جمع « شائلة » . والتي شالت أذنانها للقمح « شَوْل » وهي جمع « شائل » . ويقولون لبقية الماء في الحوض « شَوْل » ويقولون للعاشق « عميد » وللبعير المتأكل السنم « عميد » الى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحصى .

باب معاني الفاظ العبارات

التي يعبر بها عن الاشياء

ومرجعها الى ثلاثة وهي : المعنى ، والتفسير ، والتأويل . وهي وان

اختلفت فان المقاصد بها متقاربة .

فاما المعنى — فهو القصد والمراد . يقال « عَيَّتُ بالكلام كذا » أي :
فَصَدْتُ وَعَمَدْتُ . أنشدني القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) :

مثلُ البرامِ غدا في أُصْدَةٍ خَلَقِ

لم يَسْتَمِنْ وحوامي الموتِ تَغْشَاهُ

فَرَجَّتْ عَنْهُ بِصِرِّ عَيْنَا لِأَرْمَلَةٍ

وبأئس جاء معناه كعناه

يقول في رجل قَدِيمٍ لِيُقْتَلَ ، وأنه فرج عنه بِصِرْعَيْنِ ، أي فِرْقَيْنِ من
غَمٍّ : قد كنتُ أَعِدُّهَا لِأَرْمَلَةٍ تَأْتِينِي تَسْأَلُنِي أَوْ لِأَبْأَسٍ مِثْلَ هَذَا الْمَقْدَمِ
ليقتل معناه كعناه ، أي إن مقصدهما في السؤال والبؤس مقصد واحد ويجوز
أن يكون المعنى « الحال » أي حالهما واحدة .

وقال قوم اشتقاق « المعنى » من « الاظهار » يقال « عَنَتِ الْقَرِيبَةَ » اذا
لم تحفظ الماء بل أظهرته ، و « عُنُوَانُ الْكِتَابِ » من هذا . وقال آخرون :
« المعنى » مشتق من قول العرب « عَنَتِ الْأَرْضُ بِنَبَاتٍ حَسَنٍ » إذا أنبتت
نباتاً حسناً . قال الفراء « لَمْ تَعْنُ بِلَادِنَا بَشِيءٌ » إذا لم تُنْبِتْ وحكى (ابن السكيت)
« لَمْ تَعْنِ » من « عَنَتِ . تعني » فان كان هذا فالمراد بالمعنى الشيء الذي
يفيده اللفظ كما يقال « لَمْ تَعْنِ هَذِهِ الْأَرْضُ » أي : لَمْ تُقَدِّ .

وأما « التفسير » — فانه « التفصيل » كذا قال (ابن عباس) في قوله
جل ثناؤه « وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » أي : تفصيلاً .

وأما اشتقاقه فن « الفسر » . أخبرني القطان عن المَعْدَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ

معروف عن الليث عن (الخليل) قال : الفسر البيان ، واشتقاقه من فسر الطيب للماء إذا نظر إليه ، ويقال لذلك « التفسيرة » أيضاً .
 وأما « التأويل » - فأخر الأمر وعاقبته . يقال « إلى أي شيء مال هذا الأمر ؟ » أي مصيره وآخره وعقباه . وكذا قالوا في قوله جل ثناؤه « وما يعلم تأويله إلا الله » أي : لا يعلم الآجال والمدد إلا الله جل ثناؤه ، لأن القوم قالوا في مدة هذه الملة ما قالوه ، فأعلموا أن مال الأمر وعقباه لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه .

واشتقاق الكلمة من « المال » وهو العاقبة والمصير ، قال (عبد بن الطيب) :

وَلِلْأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُهَا
 وَلِلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلُ

وقال (الأعشى) :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا
 تَأْوُلُ رَبِّي السَّقَابُ فَأُصْحَبًا

يقول : إن حبها كان صغيراً في قلبه قال إلى العظم ولم يزل ينبت حتى أصبح ، فصار كالسقب الذي لم يزل يشب حتى أصبح ، يعني أنه استصحبته أمه صحبها .

باب الخطاب المطلق والمقيد

أما الإحلاق - فإن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط و زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك .

والتقيد - أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه ، فيكون ذلك القرين
 زائداً في المعنى . من ذلك أن يقول القائل « زيدٌ كبيرٌ » ، فهذا إنما شبهه
 بليث في شجاعته ، فإذا قال « هو كالليثِ الحَرْبِ » فقد زاد « الحَرْبَ »
 وهو الغضبان الذي حُرِبَ فريسته ، إي : سلبها . فإذا كان كذا كان أدهى
 له . ومن المطلق قوله :

ترائبها مصقوله كالسجنجل (١)

فشبه صدرها بالمرأة ، لم يزد على هذا . وذكر (ذو الرمة) أخرى
 فزاد في المعنى حتى قيّد فقال :

ووجه كمرأة الغريبة أسجج

فذكر المرأة كما ذكر (امرؤ القيس) السجنجل ، وزاد الثاني ذكر
 الغريبة فزاد في المعنى ، وذلك أن الغريبة ليس لها من يُعلمها محاسنها من
 مساوئها فهي تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأتقى لترىها ما تحتاج إلى رؤيته
 من سنن وجهها . ومنه قول (الأعمش) :

تروح على آل المخلق جفنة

جناية الشيخ العراقي تهق

فشبه الجفنة بالجايصة ، وهي الحوض ، وقيدها بذكر الشيخ العراقي
 لأن العراقي إذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماء ومواقع الغيث ، فهو على
 جمع الماء الكثير أحرص من البدوي العارف بالناقع والأحساء . ومن هذا
 الباب قول (حميد بن ثور) يصف بعيراً :

(١) عجز بيت من معلقة (امرئ القيس) وصدره :

مهينة يضاء غير مفاضة

مَحَلِّيَّ بِأَطْوَأَقِ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا
عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الثَّلَاةِ الْمُتَعَيِّفِ

فقال « راعي ثلثة » ولم يطلق اسم الراعي ، وذلك أنهم يقولون : إن راعي الغنم أجهل الرعاة ، فيقول : إن هذا البعير محلي باطواق عتاق ، أي كريمة ، يبينها راعي الثلثة على جهله فكيف بغيره ممن يعرف .

باب الشيء يكون ذا وصفين

فيعلق بحكم من الأحكام على أحد وصفيه

أما الفقهاء فختلفون في هذا .

فأما مذهب العرب فإنّ العربي قد يذكر الشيء باحدى صفتيه فيؤثر ذلك ، وقد يذكره فلا يؤثر بل يكون الأمر في ذلك وفي غيره سواء . ألا ترى القائل يقول :

مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الطَّمَعِ

فلو كان الأمر على ما يذهب إليه من يخالف مذهب العرب لاستجيز عاجل الفحش إذ كان الشاعر إنما ذكر العاجل ، وقد قال الله جل ثناؤه « ولا تكونوا أول كافر به » والكفر لا يجوز في حال من الأحوال . وحكى ناس عن (أبي عبيد) أنه كان يقول بالمذهب الأول ويقول في قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « لبي الواجد يحل عتوبته وعرضه » فدل أن غير الواجد مخالف للواجد . والذي نقوله في هذا الباب أن (أبا عبيد) إنما سلك فيما قاله من هذا مسلك التأويل ذاهباً الى مذهب من يقول بهذه المقالة ،

ولم يَحْك ماقاله عن العرب ، ولو حكاه عنهم للزم القولُ به ، لأنَّ (أبا عبيد) ثقة أمين فيما يحكيه عن العرب ، فأما في الذي تأوله فإنا نحن نخالفه فيه كما نخالفه في مسألة مُتعة الحج وفي ذوي الأرحام وغير ذلك من المسائل المختلف فيها .

باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز

تقول في معنى الحقيقة والمجاز :

إن « الحقيقة » — من قولنا « حقَّ الشيء » إذا وجب . واشتقاقه من الشيء المحقَّق وهو المُحكَّم ، تقول « ثوب محقَّق النَّسج » أي مُحكَّمه . قال الشاعر :

تَسْرِبُ جِلْدَ وَجهِ أَيْكَ إِنَّا

كَفَيْنَاكَ الْحَقَّقَةَ الرَّقَاقَا

وهذا جنس من الكلام يُصدِّق بعضه بعضاً من قولنا « حقَّ » وحقيقة . ونصُّ الحقائق . فالحقيقة : الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل « أحمَدُ اللهُ على نِعَمِهِ وإِحسانِهِ » وهذا أكثر الكلام . قال الله جل ثناؤه « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » وأكثر ما يأتي من الآي على هذا . ومثله في شعر العرب :

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيَعْنِي

مَفَاقِرَهُ أَعْنُ مِنْ الْقُرُوعِ (١)

وقول الآخر :

(١) سبق معنا أن البيت من شعر التماخ .

وفي الشرِّ نَجَاةٌ حَـ بينَ لا يُجِيكَ إِحْمَانُ
 وأما «المجاز» — فإخوذ من «جَازَ . يَجُوزُ» إذا استتمَّ ماضياً
 تقول «جَازَ بنا فلان . وجَازَ علينا فارس» هذا هو الأصل . ثم تقول «يجوز»
 أن تفعلَ كذا» أي : يَفْعُدُوا لِرَدِّ ولا يُمْنَعُ . وتقول «عندنا دراهم وصَحَّ
 وازِنَةٌ وأخرى تَجُوزُ جَوَازَ الوَازِنَةِ» أي : إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي
 تجوز مجازها وجوازها لقربها منها فهذا تأويل قولنا «مجاز» أي : إن الكلام
 الحقيقي يَمْضِي لِسُنَّتِهِ لا يُعْتَرَضُ عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه
 منه ، إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكفٍّ ما ليس في الأول ، وذلك
 كقولك «عطاء فلان مَزْنٌ وا كَفٌّ» فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله «عطاؤه
 كثير واف» ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه «سَنَسِمُهُ على الخُرطوم»
 فهذا استعارة . وقال «وله الجوازي المنشآت في البحر كالأعلام» فهذا
 تشبيه . ومنه قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً
 تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
 بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ
 إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْذُ مِنْهَا كَوَاكِبُ

فالمجاز هنا عند ذكر «السورة» وإنما هي من البناء . ثم قال
 «يتذبذب» والتذبذب يكون لذباب الثوب وهو ما يتدلى منه فيضطرب
 ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب .

وجاء هذان البابان في نظوم كتاب الله جل ثناؤه ، وكذلك ما يجيء
 بعدهما ما ذكره من سنن العرب لتكون حجة الله جل اسمه عليهم آكد ،

وَلَيْلًا يَقُولُوا : إِنَّمَا عَجَزْنَا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ لِأَنَّهُ بَغِيرٌ لَعَنْنَا وَبَغِيرُ السُّنَنِ الَّتِي نَسْتَنُّهَا . لا ، بل أنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفونها وبالسُّنَنِ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَخَاطِبَاتِهِمْ لِيَكُونَ عَجْزُهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ . ثُمَّ جَعَلَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ أَحَدَ دَلَائِلِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ أَعْلَمَهُمُ الْإِسْبِيلَ لَهُمْ إِلَى مَعَارِضَتِهِ ، وَقَطَعَ الْعَذْرَ بِقَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ « قُلْ آئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

فَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ مَخَالَفَةُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مَعْنَاهُ ، كَقَوْلِهِمْ عِنْدَ الْمَدْحِ « قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْعَرَهُ » فَهَيْمٌ يَقُولُونَ هَذَا وَلَا يَرِيدُونَ وَقُوعَهُ . وَمِنْ قَوْلِ (أَمْرِيءِ الْقَيْسِ) يَصِفُ رَأْمِيًّا :

فَهُوَ لَا تَنْبِي رَمِيَّتَهُ مَالَهُ لَا عَدَّ مِنْ نَفَرِهِ

يَقُولُ : إِذَا عَدَّ نَفَرَهُ لَمْ يَعِدَّ مَعَهُمْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَتَلَهُ اللَّهُ ، أَمَاتَهُ اللَّهُ ، حَتَّى لَا يَعِدَّ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ « هَوَتْ أُمُّهُ . وَهَبَلَتْهُ . وَثَكَبَتْهُ » قَالَ (كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ) يَرْتِي أَخَاهُ :

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيًّا

وَمَاذَا يَوْمَ دَيِّ اللَّيْلِ حِينَ يَوْمُ بُ

وَهَذَا يَكُونُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنْ إِصَابَةِ الرَّجُلِ فِي رَمِيهِ أَوْ فِي فِعْلِهِ يَفْعَلُهُ . وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قَتَيْبَةَ) يَقُولُ فِي هَذَا الْبَابِ : مِنْ ذَلِكَ الدَّعَاءُ عَلَى جِهَةِ الذَّمِّ لَا يَرَادُ بِهِ الْوَقُوعُ كَقَوْلِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ « قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ . وَقُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يَوْمَ فَكُونَ » وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارَسٍ : وَهَذَا وَإِنْ أَشْبَهَ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فَانْهَ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ

أن يُطلق فيما ذكره الله جل ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ، لأنهم قتلوا واهلكوا وقوتلوا ولعنوا ، وما كان لله جل ثناؤه ليدعوَ على أحد فتجديد الدعوة عنه . قال الله جل ثناؤه « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ فِدَعَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ - وَتَبَّ » أي وقد تبَّ وحق به التَّبَاب . و (ابن قتيبة) يَطلقُ إطلاقات منكرةً ويروي أشياء شذعة ، كالذي رواه عن (الشعبي) أنَّ أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن . قال : وروى شريك عن اسماعيل بن أبي خالد قال سمعت الشعبي يقول ويحلف بالله : لقد دخل (عليٌّ) حنجرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جداً فيمن يقول « سَلَرَنِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، سَلُونِي فَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَعْلَمُ أَبْلِيلٍ نَزَاتِ أُمُّ بِنَهَارٍ ، أُمُّ فِي سَهْلٍ أُمُّ فِي جَبَلٍ » وروى السُّدِّيُّ عن عبد خير عن علي رضي الله تعالى عنه أنه رأى من الناس طيرةً عند وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأقسم ألا يضع على ظهره رداءً حتى يجمع القرآن قال : جلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند (آل جعفر) . وحدثنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبد العزيز قال قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ أنه قال : مارأيتُ أحداً أقرأ من (عليٍّ) صلوات الله عليه ، صلينا خلفه فأسوأ برزخاً ثم رجع فقراه ثم عاد إلى مكانه قال (أبو عبيد) البرزخ : ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للبيت : هو في البرزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، فاراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه .

باب اجناس الكلام

في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك على وجوه : فمنه اختلاف اللفظ والمعنى ، وهو الاكثر الاشهر ، مثل « رجل . فرس » و « سيف . رمح » ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى ، كقولنا « سيف وعَضْب » و « لَيْث . أُسَد » على مذهبنا في أن كل واحد منها فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة .

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الرّكبة وعين الميزان ^(١) ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « قضى » بمعنى : حتم كقوله جل ثناؤه « قضى عليها الموت » وقضى بمعنى : أمر كقوله جل ثناؤه « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » أي أمر . ويكون قضى بمعنى : أعلم كقوله جل ثناؤه « وقضينا الى نبي اسرائيل في الكتاب » أي أعلمناهم . وقضى بمعنى : صنع كقوله جل ثناؤه « فاقض ما أنت قاض » وكقوله جل ثناؤه « ثم اقضوا اليّ » أي اعملوا ما أنتم عاملون . وقضى : فرغ . ويقال المبيت : قضى أي فرغ . وهذه وان اختلفت الفاظها فالاصل واحد .

ومنه اتفاق اللفظ وتضاد المعنى كـ « الظن » وقد مضى الكلام عليه . ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كـ « الحزم » و « الحزن » . فالحزم من الارض أرفع من الحزن . وكـ « الخضم » وهو بالفم كله . و « القضم » وهو بأطراف الاسنان .

(١) راجع قريدة (ابن فارس) في معاني الرمين : صفة (به) من ترجمته التي صدرنا بها هذا الكتاب .

ومنه اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم «مدحه» إذا كان حياً و«أبته» إذا كان ميتاً.

ومنه تقارب اللفظين واختلاف المعنيين وذلك قولنا «حرج» إذا وقع في الحرج و«تحرّج» إذا تباعد عن الحرج. وكذلك «أثم» وتأمّم». و«فزع» إذا أتاه الفزع و«فزع» عن قلبه «إذا نجى عنه الفزع قال الله جل ثناؤه «حتى إذا فزع عن قلوبهم» أراد والله أعلم: أخرج منها الفزع».

باب القلب

ومن سنن العرب القلب. وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة: فأما الكلمة - فقولهم «جذب وجذب» و«بسكل. ولبك» وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شيء.

وأما الذي في غير الكلمات - فقولهم:

كما عصب العلباء بالعود

و: كما كان الزناء فريضة الرجم

و: كأن لون أرضه سماؤه

و: كأن الصفا أوراها

إنما أراد: كان أوراها الصفا، ويقولون «أدخلت الخاتم في إصبعي» و:

تشقى الرماح بالضيأ طرة الحمر

و: كما بطنت بالفدن السباعا

و : حَسَرْتُ كَفِيَّ عَنِ السَّرْبَالِ

وإنما حَسَرَ السَّرْبَالَ عَنْ كَفِهِ . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « خَلِقَ
الانسانُ مِنْ عَجَلٍ » ومنه قوله جل ثناؤه « وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ
قَبْلُ » ومعلوم أن التحريم لا يقع الا على مَنْ يَلْزَمُهُ الامر والنهي ، وإذا
كان كذا فالمعنى : وَحَرَمْنَا عَلَى الْمَرَاضِعِ أَنْ يَرْضَعْنَهُ . ووجه تحريم ارضاعه
عليهن أن لا يقبل ارضاعهن حتى يُرَدَّ الى أُمِّهِ . قال بعض علمائنا : ومنه قوله
جل وعز « فَانْهَمُ عَدُوِّي الْاِرْبَّ الْعَالَمِينَ » والاصنام لاتعادي أحسداً ،
فكأنه قال : فاني عدوُّ لهم . وعداوتها لها بغضه أيها وبراءته منها .

باب الإبدال

ومن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون
« مَدَحَهُ . وَمَدَّهَهُ » و « قَرَسٌ رِفْلٌ . وَرِفْنٌ » وهو كثير مشهور قد ألف
فيه العلماء . فأما ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه فقوله جل ثناؤه « فَاَنْفَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ » فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب « فَلَقَ الصَّبْحُ .
وَفَرَّقَهُ » . وذُكِرَ عَنِ (الخليل) ولم أسمعهُ سماعاً أنه قال في قوله جل ثناؤه
« فَجَاسُوا » : إنما أَرَادَ « فَجَاسُوا » فقامت الجيم مقام الخاء ، وما أحسب
الخليل قال هذا ولا أحقُّه عنه .

باب الاستعارة

ومن سنن العرب الاستعارة . وهو أن يضعوا الكامة للشيء مستعارة
من موضع آخر فيقولون « انشقت عصاهم » اذا تفرقوا . وذلك يكون
للعصا ولا يكون للقوم . ويقولون « كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ » .

وفي كتاب الله جل ثناؤه « كأنهم حذرٌ مستثفرة » يقولون للرجل المذموم :
إنما هو حمار . وقال الشاعر :

دُفِعْتُ إِلَى شَيْخٍ مَجْنَبٍ فَنَائِهِ

هُوَ الْعَيْدُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ

ومنه قوله جل ثناؤه « أَلْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » و « أَنَا لِمُرْدُودٍ فِي
الْحَافِرَةِ » أي في الخفاق الجديد . و « بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » وتقول العرب
« رَانَ بِهِ النَّعَاسُ » أي غلب عليه . و « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ » أي
ضيقٍ وشدة . و « لَنَسْفًا بَلَّانًا نَّصِيَّةً » . و « امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » وقوله
جل ثناؤه « فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ » وتقول العرب « نَاقَةٌ تَاجِرَةٌ »
يريدون أنها تُنْفِقُ نَفْسَهَا بِحُسْنِهَا . وقوله جل ثناؤه « وَيَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ » و « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » و « أَلَا إِنَّمَا طَائِرٌهُمْ عِنْدَ
اللَّهِ » ويراد حظُّهم وما يحصل لهم . والعرب تقول :

فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

إِذَا مَا طَارَ مِنْ مَالِي الثَّمِينُ

أي حصل . ومنه قوله جل ثناؤه « أَقِمِ الصَّلَاةَ » أي أُنْتِ بِهَا كَمَا أُمِرْتَ
به و « إِذْ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ » أي عَصَمَكَ مِنْهُمْ . رواه شعبة عن أبي رَجَاءٍ
عن (الْحَسَنِ) . ومن الاستعارة قولهم « زَالَتْ رِحَالُهُ سَابِحٌ » كناية عن
المرأة تستعصي على زوجها . قال (الشماخ) :

وَكَانَتْ إِذَا زَالَتْ رِحَالُهُ سَابِحٌ

شِمْتُ بِهِ حَتَّى لَقِيتُ مِثَالَهَا

وكانت امرأته أشزّت عليه ، وذلك قوله :

ألا أصبحت عرسي من البيت جامعاً
بغير بلاءٍ سيٍّ ما بدأها

باب الحذف والاختصار

ومن سنن العرب الحذف والاختصار ، يقولون « والله أفعلُ ذاك » يريد لا أفعل . و « أتانا عند مَتَيْبِ الشمس . أو حينَ أراد . أو حينَ كادت تغرب » قال (ذو الرّمة) :

فلما لبسنا الليلَ أوحينَ نصبتُ
له من خذا آذانها وهو جانحُ

ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « واسئل القرية » أراد أهلها . و « الحجُّ أشهرٌ معلومات » . و « بنو فلان يطوؤم الطريق » أي أهله . و « نحن نطأ السماء » أي مطرها . و « على خوف من فرعون وملائمهم » أي من آل فرعون . و « إذا لأذقناكم ضعف الحياة » أي ضعف عذابها . و « الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدخلنهم في الصالحين » . ومثله « أن اضرب بعصاك البحر فانقلب » أي فاضرب فانقلب . ومنه « إني آمنتُ بربكم فاسمعوني . قيل ادخل الجنة » أي : فلما قُل قيل ادخل الجنة . ومنه « وتر كنا عليه في الآخريين » أراد الثناء الحسن . ومنه « فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله » معناه : فاذا عزم الأمر كذبوه .

باب الزيادة

قال بعض أهل العلم : إن العرب تزيد في كلامها أسماء وأفعالاً .

أما الأسماء — فالاسم والوجه والمثل . قالوا : فلاسم في قولنا « بسم الله » إنما أردنا « بالله » لكنه لما أشبه القسم زيد فيه الاسم . وأما الوجه فقول القائل « وجبني إليك » وفي كتاب الله جل ثناؤه « ويبقى وجه ربك » ثم قال الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست مُحْصِيَةً
ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

وأما المثل ففي قوله جل ثناؤه « فأتوا بسورة من مثله » ويقول قائلهم « مثلي لا يخضع لمثلك » أي : أنا لا أخضع لك . قال الشاعر :

يا عاذلي دعني من عدلكا

مثلي لا يقبل من مثلكا

وقوله جل ثناؤه « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » أي عليه .
وأما الأفعال — فقولهم « كاد » في قول الشاعر :

حتى تناول كلباً في ديارهم

وكاد يسمر إلى الجرفين فارتفعما

أراد « وسما » ، ألا ترى أنه قال « فارتفع » . وما يزداد أيضاً من الأفعال قول القائل « لا أعلم في ذلك اختلافاً » وفي كتاب الله جل ثناؤه « أم تَبَيَّنُونَهُ بما لا يعلم في الأرض » أراد والله أعلم : بما لس في الأرض .

وقد تزداد حروف من حروف المعاني — كزيادة « لا » و « من »

وغير ذلك . وقد مضى ذكره بشواهد .

باب التكرار

ومن سُنن العرب التكرير والاعادة إرادة الإِبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال (الحارث بن عباد) :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مَنِيَّ

لَفَحَتْ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ

فكرّر قوله « قَرَّبَا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مَنِيَّ » في رؤس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإِبلاغ في التنبية والتحذير . وكذلك قول (الأشعر) :

وَكَتَيْبَةَ لَبَسْتَهَا بَكْتَيْبَةَ

حتى يقول نساؤهم: هذا فتى (١)

فكرّر هذه الكأمة في رؤس أبيات على ذلك المذهب . وكتكرير من كرّر :

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ، مَهْلًا ، وَوَالِينَا

وكقول الآخر

كَم نَعْمَةٌ كَانَتْ لَهُ كَم كَم وَ كَم

فكرّر لفظ « كم » لفرط العناية بقصد تكثير العدد . قال علماؤنا : فعلى هذه السنة جاء ماجاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله « فَبَايَ آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

فأما تكرير الانباء والقصص في كتاب الله جل ثناؤه — فقد قيات فيه وجوه . وأصح ما يقال فيه أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجز

(١) وبروي « هذا الفتى » - الأصل

القوم عن الاتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبر. فهذا أولى ما قيل في هذا الباب .

باب العموم والخصوص

العامُ - الذي يأتي على الجملة لا ينادر منها شيئاً . وذلك كقوله جل ثناؤه « خلق كل دابة من ماء » وقال « خالق كل شيء » .
والخاصُّ - الذي يتخلل فيقع على شيء دون أشياء . وذلك كقوله جل ثناؤه « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » وكذلك قوله « واتقون يا أولي الألباب » فخادب أهل العقل .

وقد يكون الكلامان متضادين ، ويكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً . وذلك قولك لمن أعطى زيدا درهماً « أعط عمراً ، فان لم تفعل فمأطيت » تريد : إن لم تعط عمراً فأنت لم تعط زيدا أيضاً ، وذلك غير محسوب لك . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « يأياها الرسول بلّغ ما نزل اليك من ربك » فهذا خاص ، يريد : هذا الأمر المجدد بلّغه ، فإن لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته . يريد : جميع ما أرسلت به .

وأما العام الذي يراد به الخاص - فكقوله جل ثناؤه حكاية عن موسى عليه السلام « وأنا أول المؤمنين » ولم يرد كل المؤمنين لان الانبياء قبله قد كانوا مؤمنين . ومثله كثير . ومنه « قالت الأعراب آمناً » وإنما قاله فريق منهم . و « الذين قال لهم الناس » إنما قاله (نعيم بن مسعود)

إِنَّ النَّاسَ (أَبُو سَفِيَانَ) وَ (عُبَيْدَةُ بْنُ حِصْنٍ) . وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ » أَرَادَ : الْآيَاتِ الَّتِي إِذَا كَذَّبَ بِهَا نَزَلَ الْعَذَابُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » أَرَادَ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْوَلُهُ « وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » .

وَأَمَّا الْخَاصُّ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْعَامُّ — فَكَقَوْلُهُ جَلِ وَعِزُّ « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤَافِقِينَ » الْخُطَابُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ النَّاسُ جَمِيعًا .

باب إضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة

وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى مَا لَيْسَ فَاعِلًا فِي الْحَقِيقَةِ . يَقُولُونَ « أَرَادَ الْخَائِطُ أَنْ يَقَعَ » وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ « جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ » وَهُوَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ . قَالَ (الشَّمَاخُ) :

أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا مَا جَارَتْ صِنْفًا

كُمَيْتَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا (١)

فَجَمَلَ الْأَمَّا فِي مَقِيمَةٍ . وَقَالَ :

وَأَشْعَثَ وَرَادَ الْعِدَادِ كَأَنَّهُ

إِذَا انْشَقَّ فِي جَوْزِ الْفَلَاةِ فَيَلِيقُ (٢)

يُصِفُ طَرِيقًا يَرِدُ مَاءً وَهُوَ لَا وَرْدَ لَهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

(١) هُوَ الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا (يَزِيدَ بْنَ مَرْبِيعِ الْإِنصَارِيِّ) وَمَعْلَمُهَا :

أَمِنْ دَمَتَيْنِ عَرَجَ الرِّكْبَ فِيهِمَا بِحِزْلِ الرِّخَاءِ قَدْ آتَى الْبَلَاهُمَا

(٢) وَرَوَاهُ الْإِسْتِثْنَاءُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ الْإِمِينِ الشَّقِيطِيُّ فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الشَّمَاخِ :

وَأَعْرَبَ رَوَادَ الثَّنَابَا كَانَ إِذَا انْشَقَّ فِي جَوْزِ الْفَلَاةِ فَيَلِيقُ

وَوَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مِثْلَ هَذَا وَفِي مَكَانٍ لَفْظُ « انْشَقَّ » لَفْظُ « اجْتَازَ » .

كَأَنِّي كَذَّبْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ سَهْوًا

أَطَاعَ لَهُ مِنْ (١) رَامَتَيْنِ حَدِيثٌ

فجعل الحديث مطيعاً لهذا الحمار لما تمكن من رعيه ، والحديث لاطاعة
ولا معصية له .

باب الواحد يراد به الجمع

ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع ، كقوله للجماعة
« ضَيْفٌ » و « عَدُوٌّ » . قال الله جل ثناؤه « هُوَ لَاءِ ضَيْفِي » وقال « ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً » وقال « لَا تَفْرَقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ » والتفريق لا يكون إلا
بين اثنين . ويقولون « قَد كَثُرَ الدَّرَمُ وَالذَّيْنَارُ » ويقولون :

فَقَلْنَا اسْلِمُوا إِنَّا أَخْوَاكُمْ

ويقولون : كَلُّوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِشُوا

و « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنْكَ كَادِحٌ » و « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا شَرُّكَ شَرِّ بَنِي
الْكَرِيمِ » .

باب الجمع يراد به واحد واثنان

ومن سنن العرب الاتيان بلفظ الجمع والمراد واحد واثنان كقوله
جل ثناؤه « وَكَيْشَهْدَ عَذَابِهِمَا طَائِفَةٌ » يراد به واحد واثنان وما فوق . وقال
(قِتَادَةٌ) في قوله جل ثناؤه « إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تَعُدُّبُ طَائِفَةٌ » :
كان رجلاً من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم ويسير مجانباً لهم فسماه الله جل ثناؤه طائفة وهو واحد . ومنه « إِنْ

(١) في شرح الشيخ أحمد الشنيطي لشمس الشماخ « في رامتين » كان « من رامتين » .

الذين يسادونك من وراء الحجرات « كان رجلاً نادى « يا محمد ! إن مدحي زينٌ وإن شتمي شينٌ » فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ويلك . ذلك الله جل ثناؤه . » وقال « فقد صنعتُ قلوبكمَا » وهما قلبان وقال « بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ » وهو واحد يدلّ عليه قوله جل ثناؤه « إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ » .

باب آخر

العرب تصف الجميعَ بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه « وإن كنتم جنباً » فقال جنباً وهم جماعة . وكذلك قوله جل ثناؤه « والملائكة بعد ذلك ظهير » . ويقولون « قوم عدل ورضى » قال (زهير) :

وإن يشجر قوم يثل سراً بهم

هم يبتنا، فهم رضى وهم عدل (١)

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع فيقولون « برمة أعشار » و « ثوب أهدام » و « جبل أحتاق » قال :

جاء الشتاء وقيصي أخلاق

سرازم يضحك منه التواق

فأخبرني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرح عن سلمة عن (الفراء) قال : التواق ابنه . ومن الباب « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » إنما أريد المسجد الحرام . ويقولون « أرض سبأ سب » يسمون كل بقعة منها

(١) من قصيدته التي يمدح بها (ستان بن أبي عارثة المري) ويروى البيت « متى يشجر قوم

تقل » ومطالعها :

سحا القاب عن سلمى وقتب كاد لا يماو وأقفر من سلمى التنايق والنقل

« سَبَّابًا » لَاتِسَاعِهَا .

ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم « امرأة ذات أوزالٍ وما آكِمَ » .

باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع ، فيقال للرجل العظيم « انظر وا في أمري » . وكان بعض أصحابنا يقول : إنما يقال هذا لأنَّ الرجل العظيم يقول « نحن فعائنا » فعلى هذا الابتداء خُوطبوا في الجواب . قال الله جل ثناؤه « قال ربِّ ارْجِعُونِ » .

باب آخر

العرب تذكر جماعة وجماعة ، أو جماعة وواحدًا ، ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين . يقول (الأَسْوَدُ) :

إِن الْمَنِيَّةَ وَالْحَتُوفَ كِلَاهِمَا

يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سِوَادِي

وقال آخر :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ

وَتَمَلَّبَ قَدْ تَبَايَنَتَا اتِّقَاعًا

وقد جاء مثله في القرآن : قال الله تبارك اسمه « ان السماوات والأرض كانتا رتقًا ففترقناهما » .

باب مخاطبة الواحد خطاب الجميع

إذا أريد بالخطاب هو ومن معه

قال الله جل ثناؤه « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ »

نخوطب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلقظ الجميع لأنه أريد هو وأمته .
 وكان (ابن مسعود) يقرأ « ارجعوا إليهم » أراد لرسول ومن معه . ومن
 قال « ارجع إليهم » خاطب مدزهم .

باب تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب

العرب تخاطب الشاهد ، ثم تحوّل الخطاب الى الغائب . وذلك
 كقول (الذبغة) :

يادار مية بالعياء فاسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد

نخاطب ثم قال « أقوت » . وفي كتاب الله جبل ثناؤه « حتى إذا
 كنتم في الفلك وجرين بهم » وقال « وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه
 الله فأولئك هم المضعفون » . وقال « ولكن الله حبيب اليكم الايمان —
 وقال في آخر الآية — فأولئك هم الراشدون » . ومنه قوله :

أسيدي بنا أو أحسني لاملومة

لدينا ولا مقلية إن تقلت

باب تحويل الخطاب من الغائب الى الشاهد

رقد يعملون خطاب الغائب للشاهد ، قال (الهدلي) :

ياويح ننسي كان جدّة خالد

وياض وجهك للتراب الأعمر

فخبر عن خالد ثم واجه فقال « وياض وجهك » . ومنه :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحَتْ
عِيراً عَلِيٍّ طَلَابِكُ أَبْنَةِ مَخْرَمٍ

باب مخاطبة المخاطب ثم يجعل الخطاب لغيره

أَوْ يُخْبِرُ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ يَجْعَلُ الْخَبَرَ الْمَتَّصِلَ بِهِ لِغَيْرِهِ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ «فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ - الْخِطَابَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْكَافِرِ - فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ » يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « فَهَلْ أَنْتُمْ مَسْأَلُونَ » . وَقَالَ « فَنَرُبُّكُمْ يَا مُوسَى » .
وَقَالَ « فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَنْ يُبْتَدَأَ
الشَّيْءُ ثُمَّ يُخْبِرُ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ (شَدَّادِ بْنِ مُعَاوِيَةَ) :

مَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَأِنِّي
وَجِرْوَةٌ لَا تَرُودُ وَلَا تُعَارُ

و « جِرْوَةٌ » فَرَسُهُ ، فَالْمَسْئَلَةُ عَنْهُ وَالْخَبَرُ عَنْ غَيْرِهِ . وَقَالَ (الْأَعَشَى) :

وَإِنْ أَمْرًا أُسْرَى إِلَيْكَ وَدَوْنَهُ
مِنَ الْأَرْضِ مَوْمَاتٌ وَيَهْدَاءُ سَمَاقُ
لَمْ حَمْتُوقَهُ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ
وَأَنْ تَلْمِئِي أَنْ الْمَعَانِ مَوْقَنُ

وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا يَشْبَهُ هَذَا وَهِيَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا - فَبَدَأَ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ - إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ » بَدَأَ بِهِمْ ثُمَّ حَوَّلَ
الْخِطَابَ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً

على (ابن أبي ذبَّان) أَنْ يَتَنَدَّمَا

فذكر نفسه وترك وأقبل على غيره ، كأنه أراد : لعل (ابن أبي ذبَّان) أن يتندم إن مالت بي الريح عليه . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن » فخبِر عن الأزواج وترك الذين . ومثله :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ

بغَيْرِ دَمِ دَارِ الْمَذَلَّةِ حُلَّتْ

فترك (ابن قيس) وخبِر عن القتل ، كأنه قال : قتل ابن قيس ذل .

باب الشديين ينسب الفعل اليهما وهو لاحدهما

وينسبون الفعل الى اثنين وهو لاحدهما . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حورتها وقد بلغا » وكان النسيان من أحدهما لأنه قال « اني نسيت الحوت » . وقال « مرج البحرين يلتقيان - ثم قال - يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ » وإنما يُخْرِجَانِ مِنَ الْمَلْحِ لِالْعَذْبِ وينسبون الفعل الى الجماعة وهو لواحد منهم . قال الله جل ثناؤه « واذا قتلتهم نفساً » وإنما كان القاتل واحداً .

باب نسبتة الفعل الى أحد اثنين وهولهما

قال الله جل ثناؤه « واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها » وإنما انفضوا اليهما . وقال الله جل ثناؤه « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . وقال « واستمعينوا بالصبر والصلاة وإنها » . ثم قال الشاعر :

أَنْ شَرَّخَ الشَّبَابَ وَالشَّمْرَ الْأَسَدَ وَدَمَامَ يُعَاصَ كَانَ جَنُونًا
وقال آخر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

تقول العرب « افعلوا ذلك » ويكون المخاطب واحداً . أنشد (الفراء) :

فقلتُ لِصَاحِبِي : لَا تَجْبَسَانَا

بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدِزْ شَيْحَانَا

وقال :

فانْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَنَانَ أَنْزِ جُرْ

وإن تدعاني أحتم عرضاً ممنعاً

وقال الله جل ثناؤه « أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ » وهو خطاب لخرقة النار والزبانية . قال : وثرى أن أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولاً « يا صاحبي » و « يا خليلي » .

باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو رهن أو مستقبل

وبلفظ المستقبل وهو ماضٍ

أخفق قال الله جل ثناؤه « كنتم خير أمة » أي : أنتم . وقال جل ثناؤه « أتى أمر الله » أي : يأتي . ويجيء بلفظ المستقبل وهو في المعنى ماضٍ .

قال الشاعر :
« لعلنا نلقى » : « لعلنا نلقى » : « لعلنا نلقى » : « لعلنا نلقى »

ولقد أمرُ على اللئيم يسبني
فمضيتُ عنه وقلتُ: لا يعنيني

فقال « أمرٌ » ثم قال « مضيت » . وقال :

وما أضجني ولا أمسيتُ إلا

وأوني منهم في كرفان

وفي كتاب الله جل ثناؤه « فلم تقتلون أنبياء الله من قبيل » وقال

« وآتبعوا ما تتلو الشياطين » أي ما تلت . وقال آخر :

ونذمان يزيدُ الكأسَ طيباً

سقيتُ إذا تغورتِ النجومُ

ومثله « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم

يعذبكم ؟ » المعنى : فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل ؛ لأن النبي صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن ، لأن الجاحد

يقول : إني لا أعذب . لكن احتج عليهم بما قد كان .

باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل

تقول « سرُّ كاتم » أي مكتوم . وفي كتاب الله جل ثناؤه « لا عاصم

اليوم من أمر الله » أي لا معصوم و « من ماء دافق » و « عيشة

راضية » أي مرضي بها . و « جعلنا حرماً آمناً » أي مأموناً فيه . ويقول

الشاعر :

إن البَيْضَ لَمَنْ يَمَلُّ حَدِيثَهُ

فَاتَّقِعْ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِتِ

أي المرموق . ومنه :

أنا شير لازالت يمينك آشرة

أي : مأشورة .

وزعم ناس أن الفاعل يأتي بانفط المفعول به . ويذكرون قوله جـل ثناؤه « أنه كان وعده مأتياً » أي : آتياً . قال (ابن السكيت) : ومنه « عيش مغبون » يريد أنه غاب عن غير صاحبه .

باب آخر

من سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم « يوم عاصف » المعنى : عاصف الريح . قال الله جـل ثناؤه « في يوم عاصف » فقيل : عاصف لأن عصفوف ريحه يكون فيه . ومثله « ليل نائم » و « ليل ساهر » لأنه يُنام فيه ويُسهر قال (أوس) :

خُذْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةً

بصُحْرَاءٍ تُرْجَى إِلَى نَاطِرَةٍ

وقال (ابن بَرَّاق) :

تَقُولُ سَائِمِي : لَا تَعْرِضْ لِتَهْمَةٍ

وَلِيْلِكَ مِنْ لَيْلِ الصَّمَالِيكِ نَائِمٍ

ومثله :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السَّمْرِ وَنَمْتِ وَمَالِي الْمَلِيَّ بِنَائِمِ

ويقولون « لا يرقد و سادّه » وإنما يريدون متوسد الوساد .

باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر

أول ذلك (فعلت) يكون بمعنى التكثير نحو « غلقت الأبواب ». وبمعنى « أفعلت » نحو « خبرت وأخبرت ». ويكون مضاداً لأفعلت نحو « أفرطت » : جزت الحد . و « فرطت » : قهرت . ويكون بنية لا لمعنى نحو « كآمت » . ويكون فئات : نسبت كقولك « شجعت . وظلمته » : نسبته إلى الشجاعة والظلم .

وأما (أفعل) فيكون بمعنى « فعلت » تقول « أسقيته وسقيته » : قلت له « سقيالك » . ويكون بمعنى « فعلت » نحو « محضته الود » . وأمحضته . وقد يختلفان نحو « أجبرته على الشيء » و « جبرت العظم » . وقد يتضادان نحو « نشطت المقدمة » : عقدها . و « أنشطتها » إذا حللتها .

و (فاعل) يكون من اثنين . نحو « ضارب » . ويكون فاعل بمعنى « فعل » نحو « قاتلهم الله » و « سافر » . ويكون بمعنى « فعل » نحو « ضاعف » . وضعف .

و (تفاعل) يكون من اثنين ، نحو « تخاصما » . ويكون من واحد ، نحو « ترأى له » ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه ، نحو « تغافل » : أظهر غفلةً وليس بغافل .

و (تفعل) يكون لتكأف الشيء وليس به ، نحو « تشجع » . وتقل « . ويكون بمعنى « تفاعل » نحو « تعطى . وتماطا » . ويكون لاخذ الشيء نحو « تقيه . وتعلم » . ويكون بنية نحو « تكلم » . ويكون « تفعل » بمعنى « افعل » نحو تعلم بمعنى اعلم . قال :

تَدَلَّمُ أَنْ بَعْدَ الشَّرِّ خَيْرًا

وَأَنَّ لِهَذِهِ الْغَمْرِ اتِّشَاعًا

«تَدَلَّمُ وَأَمَّا (اسْتَفْعَل) فَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّكَافُفِ ، نَحْوُ «تَعْظَمُ . وَاسْتَعْظَمَ»
و«تَكْبُرُ . وَاسْتَكْبَرَ» وَيَكُونُ اسْتَفْعَلٌ بِمَعْنَى الِاسْتِدْعَاءِ وَالطَّلَبِ نَحْوُ
«اسْتَوْهَبَ» وَيَكُونُ بِمَعْنَى «فَعَلَ» : «قَرَأَ . وَاسْتَقَرَّ» .

وَأَمَّا (افْتَعَلَ) فَيَكُونُ بِمَعْنَى فَعَلَ ، نَحْوُ «شَوَى . وَاشْتَوَى» وَيَكُونُ
بِمَعْنَى حَدُوثِ صِنَةٍ فِيهِ نَحْوُ «افْتَقَرَ» .

«وَأَمَّا (اتَّقَعَلَ) فَهُوَ فِعْلُ الْمُطَاوَعَةِ . نَحْوُ «كَتَرْتَهُ . فَانْكَسَرَ» .

و«شَرِبْتَ اللَّحْمَ . فَانْشَوَى» قَالَ

قَدْ انْشَوَى شَوَاؤُنَا الْمُرْعَبُ

فَاتَّقَرَبُوا مِنَ الْغَدَاءِ فَسَكَلُوا

باب الفعل اللازم والمتمدى بلفظ واحد

تَقُولُ «كَسَبَ زَيْدٌ الْمَالَ . وَكَسَبَهُ غَيْرُهُ» . وَ«هَبَطَ . وَهَبَطَ غَيْرُهُ» .
و«جَبَرَتِ الْيَدُ . وَجَبَرْتُهَا» وَيَكُونُ فِعْلٌ بِمَعْنَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ نَحْوُ «بَعَثُ
الشَّيْءَ» وَ«بَعَثَهُ» : اشْتَرَيْتَهُ . وَ«رَأَيْتُ الشَّيْءَ» أَرَخَيْتُهُ وَشَدَّدْتَهُ .
وَ«شَجَبْتُ الشَّيْءَ» جَمَعْتَهُ وَفَرَّقْتَهُ .

باب البناء الدال على الكثرة

«الْبِنَاءُ الدَّالُّ عَلَى الْكَثْرَةِ «فَعُولُ . وَقَمَالُ» نَحْوُ «ضَرُوبُ . وَضَرَّابٌ»
وَكَذَلِكَ «مِفْعَالٌ» إِذَا كَانَ عَادَةً نَحْوُ «مِعْطَارٌ» وَ«امْرَأَةٌ مِذْكَارٌ»

إذا كانت تَلدُّ الذُّكُورَ وكذلك «مِينَاثُ» في الاناث .

باب الأبنية الدالّة في الاغلب الأكثر على معان

وقد تختلف

يقولون: ما كان على (فَعْلَان) دلّ على الحركة والاضطراب نحو «النَّزْوَانُ .
والغَلْبَانُ» . و(فَعْلَان) يجيء في صفات تقع من جُوعٍ وَعَطَشٍ نحو «عَطْشَانُ .
وَعَرْتَانُ» أو ما يصاد ذلك نحو «رِيَانُ . وسَكَرَانُ» .

و(فَعِلَ) يكون في الِوَجَعِ نحو «وَجَعٌ . وَحَبَطٌ» أو ما أشبهه
من «فَزَعٍ» . ويجيء من هذا (فَعِيلٌ) نحو «سَقِيمٌ» . ويكون من الباب
«بَطِرٌ . وَفَرِحٌ» وهذا على مُضَادَّةٍ وَجَعٍ وَسَقَمٍ .

قالوا : والصفات بالالوان تأتي على (أفعل) نحو «أحمر . وأسود» .
والافعال منها على «فَعْلٌ» مثل «صَهْبٌ» . وعلى «فَعِلٌ» نحو
«صَدِيٌّ» . وعلى «أفعالٌ» مثل «أحمرًا» . وكذلك العيوب والادواء
تكون على «أفعل» نحو «أزرق . وأغور» . وأفعالها على «فَعِلٌ» نحو
«عَوِرٌ . وشَتِرٌ» . ويكون الادواء على (فُعَالٌ) نحو «الْقَلَابُ . والخُمَارُ» .
والاصوات أكثرها على هذا نحو «الدُّعَاءُ . والصُّرَاخُ» . وللاصوات باب
آخر على (فَعِيلٌ) نحو «الهَدِيرُ . والضَّجِيجُ» . و(فُعَالَةٌ) يأتي أكثره
على ما يفضل عن الشيء ويسقط منه نحو «النَّجَاةُ» . و(فِعَالَةٌ) في
الصناعات كالتيجارة والنجارة . ويكون (الفِعَالُ) في الاشياء كالعيوب: كالنفار
والشماس . وفي السمات : نحو العلاط والخبط ، وفي بلوغ الاشياء نهايتها :
نحو الصبرام والجزاز . وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فَعِيلٌ) نحو

شريف وخفيف ، وعلى أضدادها : نحو وَضِيع وكبير وصغير . هذا هو
الاجلب وقد يختلف في اليسير .

باب الفرق بين ضدّين بحرف أو حركة

الفرق بين ضدّين بحرف — قولهم « يُنوي » من الداء و « يدأوي »
من الدواء . و « يخفر » إذا أجار و « يخفر » إذا نقض : من خفر وأخفر ،
وهو كثير .

وما كان فرقه بحركة — فقولهم « لعنه » إذا أكره اللعن و « لعنة »
إذا كان يلعن و « هزأة » وهزأة و « سخرة » وسخرة .

باب التوهم والايهام

ومن سنن العرب التوهم والايهام ، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم
يجعل ذلك كالحق . منه قولهم « وقفت بالربع أسأله » وهو أكل عقلاً من
أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تجع لما رأى السكن
رجلوا وتوهم أنه يسأل الربع أين اتوا . وذلك كثير في أشعارهم ، قال :

وقفتُ على رَبعٍ لَمِيَّةٍ نَاقِي

فمازاتُ بكي عنده وأخاطبه

وأسألُ حتى كادَ مما أبُّهُ (١)

تكلمني أحجاره وملاعبه

وتوهم وأوهم أن تمّ كلاماً ومكلمياً . وبين ذلك (ليدئ) بقوله :

(١) ويروي « أبُّه » بضم الاول وكسر الثاني من باب الافعال . وهو أفصح — الاصل

فوقفتُ أسألها وكيف سؤالنا
صماً خوالداً ما يبين كلامها

ومن الباب قوله :

لا يُفزعُ الأرنبَ أهوالها

إنما أراد : ليس بها أرنب يُفزع . وكذلك :

على لا حِبَّ لا يَهْتدى لِمَناره

إنما أراد : لا منار به . وأظهر ذلك قول (الجعدي) :

سبقتُ صياحَ فرارٍ يجها وصوتَ نواقيسٍ لم تُضربِ
وقال (أبو ذؤيب) :

مُتَمَلِّقٌ أنساؤها عن قانيء كالقرطِ صاوٍ غبره لا يُرضعُ
أوهمَ أنَّ تمَّ غبراً ، وإنما أراد : لا غبر به فيرضع .

باب البسط في الاسماء

العرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفهما ، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه ، وذلك قول القائل :

وليلةٌ خامدةٌ خمودا طخياءُ تُعشي الجذبي والفرقودا

فزاد في « الفرقد » الواو وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم « فعملوا »

ولذلك ضم الفاء . وقال في الزيادة في الفعل :

لو أن عمراً هم أن يرقودا

أقول إذ خرت على الكلكال ومنه :

أراد « الكلكل » وفي بعض الشعر « فانظور^(١) » أراد « فانظر » .

(١) راجع صفحة ٢١ من (الصاحبي) .

وهذا قريبٌ من الذي ذكرناه في الخزم والزيادة التي لامعنى لها .

باب القبض

ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للبسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف كقول القائل :

غَزَيْتِي الْوِشَاحَيْنِ ، صَمَوْتُ الْغُلْخَلِ

أراد الغلخال . وكذلك قول الآخر « وَسُرْحٌ حَرْجُجٌ » أراد « حَرْجُوجًا » وهي الضامر . ويقولون « دَرَسَ الْمُنَا » يريدون « المنازل » و :

كَأَنَّمَا تَذْكِي سَنَا بَكْهَ الْحَبَا

أراد نار الجباحب . وقال (أبو النجم) : « أَمْسِكْ فُلَانٌ عَنِ فُلٍ » (١)

أراد عن فلان . و :

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَنُونِ بِخَالٍ

أي : بخالد . ويقولون :

أَسْعَدَ بِنِ مَالٍ أَلَمْ تَعْجَبُوا ؟

وإنما أراد مالكا . وقال آخر :

وَكَلَدَتْ فِزَارَةٌ تَشْقَى بِنَا فَاوَلَى فِزَارَةٌ أَوْلَى فِزَارَا

وقال (أوس) وهو الذي يسميه النحويون « الترخيم » :

تَنَكَّرْتُ مِنَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ لَعْمِي

أراد : لعميس . وهذا كثير في أشعارهم ، وما أحسب في كتاب الله

جل ثناؤه منه ، إلا أنه رُوي عن بعض القرآءة أنه قرأ « وَنَادَوْا يَا مَالٍ »

(١) « فُلَانٌ » منادى والمجمل من رجز له وتماه : في لغة أمسك فلان عن فل

أراد « يا مالك » والله أعلم بصحة ذلك . وربما وقع الخذف في الأول نحو قوله :

بسم الذي في كل سورة سمة

أراد « اسمه » و « لاه ابن عمك » أراد : لله ابن عمك .

باب المحاذاة

معنى المحاذاة - أن يجعل كلامٌ بمحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين فيقولون « الغدايا والعشايا » فقالوا « الغدايا » لانضمامها إلى « العشايا » . ومثله قولهم « أعوذ بك من السامة واللامّة » فالسامة من قولك « سمّت » إذا خصمت و « اللامّة » أصلها « ألمت » لكن لما قرنت بالسامة جعلت في وزنها . وذكّر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف ، كتبوا « والليل إذا سجي » بالياء وهو من ذوات الواو لما قرن بغيره مما يكتب بالياء . قال : ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه « ولو شاء الله لسلطهم عليكم » فاللام التي في « لسلطهم » جواب « لو » ثم قال « فلقاتلوكم » فهذه حوزيت بتلك اللام ، وإلا فالعنى : لسلطهم عليكم فقاتلوكم . ومثله « لاعتدّ به عذاباً شديداً أو لأذبحنه - فهما لا ما قسم ثم قال - أولياً تبني » فليس ذا موضع قدم لأنه عذر للهدد فلم يكن يقسم على الهدد أن يأتي بعذر ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه ، فكذا باب المحاذاة . قال : ومن الباب « وزنته فآزرن . وكتته فآكتال » أي استوفاه كثيراً ووزناً . ومنه قوله جل ثناؤه « فما لكم عليهن من عدة امتدّونها » تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء .

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه ، نحو « إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم » أي يجازيهم جزاء الاستهزاء . و « مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ » و « يَسْتَحِرُّونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ » و « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » و « جزاء سَيِّئِهِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهُ » . ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

أَلَا لَا يَجْهَانُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

باب الاضمار

من سنن العرب الاضمار . ويكون على ثلاثة أضرب : إضمارُ الأسماء ، وإضمارُ الأفعال ، وإضمارُ الحروف . فمن إضمار الأسماء قولهم « أَلَا يَسْلَمِي » يريدون « أَلَا يَاهُنْدَه اسلمي » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ » بمعنى : أَلَا يَاهُوْلَاءِ اسجدوا . فلما لم يذكر « هُوْلَاءِ » بل أضمرهم اتصلت « يَا » بقوله « اسجدوا » فصار كأنه فعل مستقبل . ومثله قول (ذي الرمة) :

أَلَا يَسْلَمِي يَادَارَمِي عَلَى الْبَيْلِي وَلَا زَالٌ مِنْهَا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ
وَأَخْبَرَنِي عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَرَّحٍ عَنْ سَلَمَةَ عَنْ (الفراء) سَمِعَ
بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ « أَلَا يَرَحْمَنَا » يَعْنِي : أَلَا يَارَبَّنَا أَرْحَمْنَا . وَيَقُولُونَ :

يَاهْلُ أَتَاهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ

و : يَقُولُونَ لِي يَخْلَفُ وَلَسْتُ بِخَالِفٍ

بمعنى : ياهذا احلف .

وَيُضْمَرُونَ مِنَ الْأَسْمَاءِ « مَنْ » يَقُولُونَ « مَا فِي حَيْثُ إِلهِ إِبِلُ » أَي :
مَنْ لَهُ إِبِلٌ . و « كَذَّبْتُمْ بَنِي شَابٍ قَرْنَاها » أَي : مَنْ شَابٌ . وَفِي

كتاب الله جل ثناؤه « وما منّا إلا له مقام » أي : من له . ويضمرون
« هذا » كقول (حميد) :

أنت الهلالي الذي كان مرّةً سمعنا به والأرحبيّ المملّف
أي : وهذا الأرحبيّ ، يعني بغيره .

باب اضمار الحروف

ويضمرون الحروف فيقول قائلهم (١) :

ألا أي هذا الزّاجري أشهد الوغى

بمعنى أن أشهد . ويقولون « والله لكان كذا » بمعنى لقد . ويقول (النابغة) :

لكلفتني ذنب امرئ

وفي كتاب الله جل ثناؤه « الم . غلبت الروم » قالوا : معناها لقد غلبت .
إلا أنه لما أضمر « قد » أضمر اللام . وفي كتاب الله جل ثناؤه « سنعيدها »
سيرتها الأولى « فقالوا : إلى سيرتها . و « اختار موسى قومه » أي من
قومه . ويقولون « اشتقتك » أي إليك . و « هل يسمعونكم » بمعنى
لكم . و « أوجأؤكم حصرت » أي قد حصرت . ويقول قائلهم « حلفتُ
بالله لناموا » أي لقد . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فإن أُحصرتُم فما استيسر
من الهدى » أي فعليكم . وقيل في قوله جل ثناؤه « وترغبون أن
تتكوهن » معناها عن . وقوم يقولون : في أن تنكوهن . وفي كتاب
الله جل ثناؤه « ومن آياته يُريكم البرق » أي أن يريكم . وكقوله جل ثناؤه
« ومن آياته أن خلق » .

(١) هو (طرفة بن العبد) من مملقته . راجع صفحة ١٠٤ من (الصاحبي) .

باب اضمار الافعال

من ذلك « قيل . ويقال » . قال الله جل ثناؤه « فأما الذين أسودت
وجوههم أكفرتم » معناه : فيقال لهم ، لان « أما » لا بد لها في الخبر من
فاء ، فلما أضمر القول أضمر الفاء . ومثله :

فلا تدفوني إن دفني محرمٌ عليكم ولكن خامري أم عامر
أي أتركوني للتي يقال لها « خامري » . ومنه « ثم يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً
ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ » أي : يعمركم لتبلغوا أشدكم . ومن باب الاضمار
« أُنْعَلِيَا وَتَقَرِّي » أي : أترى ثعباناً . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وتتلقاهم
اللائكة هذا يومكم » أي يقولون . و« أَسْرَ رَجُلٌ أُسَيْراً لَيْلاً فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى
أَسْوَدَ فَقَالَ : أَعْبَدًا سَأَرَ اللَّيْلَةَ » كأنه قال : أداني أسرت عبداً . ومن
الاضمار « قل لمن مافي السماوات والارض ، قل لله » فهذا مضمراً كأنه لما
سألهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له : قل لله . ومن الاضمار « فقلنا اضربوه
بعضها ، كذلك - معناه : فضربوه فحياً ، كذلك - يُنْجِي اللهُ الْمَوْتَى » .
ومثله في كتاب الله كثير .

باب من الاضمار الآخر

العرب تضمّر الفعل فيشتبه المعنى حتى يُعْتَبَرُ فَيُوقَفُ عَلَى الْمُرَادِ . وذلك
كقول (الخنساء) :

يَا صَخْرُ وَرَأَدُ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ
أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

ظاهر هذا أن معناه : ما على من وردّه عار ، وأيس في ورد الماء عار
فيُجِجُ بِهِ . ولكن معناه : ما في ترك وردّه مخافة عار . وإنما عنت أنه ورد

ماءً مخوفاً يتحاماه الناس فيُنذِرُ بعضهم بعضاً ، تقول : فهو يرد هذا الماء
لجرأته . ومثله قول (النايعة) :

فإني لا ألامُ على دخول ولكن ماوراءك يا عَصَامُ
يقول : لا ألام على ترك الدخول ، لأن الثُّعْمَانَ قد كان نذر دمه متى
راه ، فخاطب بهذا الكلام حاجبه . وقال (الأعشى) :

أأزمت من آل ليلي ابتكاراً وشطت على ذي هوى أن تزارا؟
ظاهرُ هذا : أأزمت أن تبتكر منهم . وإنا المعنى : أأزمت من
أجل آل ليلي وشوقك إليهم أن تبتكر من أهلك ؛ لأنه عزم الرحلة إليها
لأعنها ، ألا تراه يقول :

وبانت بها غربات النوى وبُدلتُ شوقاً بها وادِّكارا
وفي كتاب الله جل ثناؤه « ألا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يجاهدوا » التأويل : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يقعدوا عن الجهاد .

باب التعويض

من سنن العرب التعويض - وهو إقامة الكامة مقام الكلمة . فيقيمون
الفعل الماضي مقام الراهن ، كقوله جل ثناؤه « قل سننظر أصدقتم أم
كنت من الكاذبين » المعنى : أم أنت من الكاذبين . ومنه « وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها » بمعنى : أنت عليها .

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الأمر ، كقوله جل ثناؤه « فسبحان
الله حين تُسبون وحين تُسبحون » والسبحة : الصلاة . يقولون « سبِّحْ

سُبْحَةَ الضحى . فتأويل الآية : سَبَّحُوا لِلَّهِ جَل ثناؤه ، فصار في معنى الأمر والاعراء ، كقوله جل ثناؤه « فَضْرَبِ الرَّقَابِ »
ومن ذلك إقامة الفاعل مقام المصدر ، يقولون « قُمْ قائماً » قال :
قُمْ قائماً ، قُمْ قائماً ، لَقَيْتَ عَبْدًا نَائِمًا
وعُشْرَاءَ رَائِمًا وَأُمَّةً مُرَاعِمًا

وفي كتاب الله جل ثناؤه « ليس لوقتتها كاذبة » أي تكذيب .
ومن ذلك إقامة المفعول مقام المصدر ، كقوله جل ثناؤه « بَأْيِكُمْ
الْمُفْتُونَ » أي الفتنة . تقول العرب « ماله معقول » وحلف مخلوفه بالله .
وجهد مجهوده . ويقولون « ماله معقول ولا مجلود » يريدون العقْلَ
والجلد . قال (الشماخ) :

من اللواتي إذا لانت عريكتهما
يبقى لها بدرها آل ومجلود
ويقول الآخر :

إن أخا المجلود من صبرا

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الفعل ، يقولون « لقيت زيدا وقيانه
كذا » أي يقول كذا . قال (كعب) :

بسمي الوشاة حواليتها وقيهم
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

تأويله : يقولون ، ولذلك نصب

ومن ذلك وضعهم « فِعِيلاً » في موضع « مُفْعَلٍ » نحو « أَمْرٌ حَكِيمٌ »
بمعنى مُحْكَمٍ . ووضعهم « فِعِيلاً » في موضع « مُفْعَلٍ » نحو « غَذَابٌ أَلِيمٌ »
بمعنى مَوْءَلَمٌ وتقول :

أمن ربحانة (١) الداعي السميع

بمعنى : مسمع .

ومن ذلك وضعهم : « مفعولاً » بمعنى « فاعل » كقوله جل ثناؤه
« حجابا مستورا » أي ساتراً ، وقيل : مستوراً عن العيون كأنه أخذته
لا يحس بها أحد .

ومن ذلك إقامة الفعل مقام الحال كقوله جل ثناؤه « يا أيها النبي
لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ؛ » أي مبتغياً . وقال :
الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه
أراد : لامعاً .

باب من النظم الذي جاء في القرآن

من نظوم كتاب الله جل ثناؤه (الاقته اص) - وهو أن يكون كلام في سورة
مقتصاً من كلام في سورة أخرى أوفي السورة معها . كقوله جل ثناؤه « وآتيناه
أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين » والآخرة دار ثواب لا عمل ، وهو
مقتص عن قوله « ومن يأتيه موءنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات
العلى » . ومنه قوله جل ثناؤه « ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين »
ماخوذ من قوله جل ثناؤه « فأولئك في العذاب محضرون » وقوله « ثم
لنحضرنهم حول جهنم » . فأما قوله جل ثناؤه « ويوم يقوم الأشهاد »
فيقال : إنها مقتصة من أربع آيات لأن « الأشهاد » أربعة : الملائكة في
قوله جل ثناؤه « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » والانباء صلوات

(١) ربحانة : اسم امرأة - الأصل .

الله عليهم « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » وأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله جل ثناؤه « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » والأعضاء لقوله جل ثناؤه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ». ومن الاختصاص قوله جل ثناؤه « إني أخاف عليكم يوم التناد » قرأت مخففة ومشددة: فن شدّد فهو « نداء » إذا نذر ، وهو مقتص من قوله « يوم يفر المرء من أخيه » الى آخر القصة ، ومن خفف فهو تتفاعل من النداء مقتص من قوله جل ثناؤه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف » وما أشبه هذامن الآي التي فيها ذكر النداء .

باب الأمر المحتاج الى بيان وبيانه متصل به

قال الله جل ثناؤه « ويسألونك عن الأنفال — فبيان هذا السؤال متصل به وهو قوله جل ثناؤه — قل الأنفال لله والرسول » ومثله « يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات » و « يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربي » ومنه « أم يقولون شاعر تتر بصر به ريب المنون ، قل تر بصوا » فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذي تمامه متصل به .

باب ما يكون بيانه مضمراً فيه

وذلك مثل قوله جل ثناؤه « حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها » فهذا محتاج إلى بيان لأن « حتى إذا » لا بد لها من تمام فالبيان هاهنا مضمّر ، قالوا: تاويله : حتى إذا جاؤها جلاؤها وفتحت أبوابها . ومثله « ولو أن قرآنا سیرت

به الجبالُ» فتمامه مضمراً كأنه قال جل ثناؤه : لكان هذا القرآن . وهذا هو الذي يسمى في سنن العرب « باب الكف » وقد ذكر .

باب ما يكون بياناً منفصلاً منه

ويجيء في السورة معها أو في غيرها

قال الله جل ثناؤه « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » قال أهل العلم : بيانُ هذا العهد قوله جل ثناؤه « لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي » الآية ، فهذا عهده جل ثناؤه ، وعهدهم تمام الآية في قوله جل ثناؤه « لا كفرن عنكم سيئاتكم » فاذا وفوا بالعهد الأول أعطوا ما وعدوه . وقال جل ثناؤه « ويقول الذين كفروا ألسنت مرسلات ؟ » فالرد على هذا قوله جل ثناؤه « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين » وهذا هو الذي يسميه أهل القرآن جواباً . ومن الباب قوله جل ثناؤه في الاخبار عنهم « ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » ف قيل لهم « ولورحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ لاجوا في طفياهم » . ومن الباب قوله جل ثناؤه « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فرد عليهم حين قيل « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة » . ومن الباب قوله « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن » ومنه قوله « الرحمن علم القرآن » . ومنه قوله « قالوا قد سمعنا لونساء لقلنا مثل هذا » ف قيل لهم « لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » . ومنه « وانطلق الملائمهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم » ف قيل لهم في الجواب « فان يصبروا فالنار مثوى لهم » . ومنه « أم يقولون

نحن جميعٌ مُتصِرٌ « فقل لهم » ما لكم لا تناصرون . ومنه قوله جل
 ثناؤه في قصة من قال « لو أطاعونا ما قتلوا » فردَّ عليهم بقوله « لو كنتم
 في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلُ الى مَضاجعهم » . ومن الباب
 قوله جل ثناؤه « أم يقولون تموَّله » فردَّ عليهم « ولو تقول علينا بعض
 الأقاويل لاخذنا منه باليمين » . ومنه قوله جل ثناؤه حكاية عنهم « ما لهذا
 الرسول يا كلَّ الطعام ويمشي في الأسواق » قيل لهم « وما أرسلنا قبلك
 من المرسلين إلا أنهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق » . ومنه قوله
 جل ثناؤه « وقال الذين كفروا لولا نزلَ عليه القرآن جملةً واحدة » فقل
 في سورة أخرى « وقرآناً فرقناه » . ومنه « ولقد أرسلنا الى ثمودَ أخاهم
 صالحاً أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون » ففسير هذا الاختصام
 ما قيل في سورة أخرى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
 استضعفوا لئن آمن منهم : أنهم لعلون أن صالحاً مرسل من ربه » الى آخر
 القصة . وقال في قصة قوم « لهم البشرى في الحياة الدنيا » فالبشرى قوله
 جل ثناؤه في موضع آخر « تنزلُ عليهم الملائكةُ ألا تخافوا ولا تحزنوا
 وأبشروا بالجنة » . ومنه حكاية عن فرعون أنه قال « وما أهديكم إلا سبيل
 الرشاد » فردَّ الله عليه في قوله جل ثناؤه « وما أمرُ فرعون برشيد » . ومن
 الباب قوله جل ثناؤه « يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له » وذكرُ هذا
 الحلف في قوله جل ثناؤه « والله ربنا ما كنا مشركين » . ومنه قوله جل
 وعز في قصة نوح عليه السلام « أني مغلوبٌ فانتصر » فقل في موضع آخر
 « ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا » . ومنه قوله جل ثناؤه « وقالوا
 قلوبنا غافٌ » أي أوعيةٌ للعلم فقل لهم « وما أوليتهم من العلم إلا قليلاً » .

وهذا في القرآن كثير أفردناه كتاباً وهو الذي يسمى (الجوابات).

باب آخر من نظوم القرآن

وذلك أن تجيء الكلمة إلى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متصلة بها: قال الله جل ثناؤه «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً. وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» فقوله «وكذلك يفعلون» من قول الله جل اسمه لا قول المرأة. ومنه «الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَارَ أَوْدَتَهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّ لِمَنِ الصَّادِقِينَ» انتهى قول المرأة ثم قال يوسف - ذلك ليعلم الملاك أني لم أخنه بالغيب». ومنه «يَا وَيْلَانَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا. وَتَمَّ الْكَلَامُ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ - هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ» ومنه قوله جل ثناؤه «إِنَّ الَّذِينَ اتَّمَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» فهذه صفة الاتقياء المؤمنين ثم قال - وإخوانهم يمدُّونهم في الغي» فهذا رجوع على كفار مكة أن كفار مكة يمدُّهم إخوانهم من الشياطين في الغي.

باب إضافة الشيء إلى من ليس له

لكن أضيف إليه لا اتصاله به

وذلك قوله «سَرَجُ الْفَرَسِ» و«ثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ» و«غَنَمُ الرَّاعِي»

قال الشاعر:

فَرَوَّحِينَ يَحْدُوهُنَّ قَصْرًا

كَمَا يَحْدُو قَلَائِصَ الْأَجِيرِ

باب آخر من الاضافة

ومن ذلك اضافة الشيء الى نفسه والى نعته .

فلاضافة الاولى قول (النذر) :

سَقِيَّةٌ بَيْنَ اَنْهَارٍ وَذُورٍ وَزَرْعٍ نَابِتٍ وَكُرُومٍ جَفْنٍ
وَالجَفْنُ هُوَ الكَرْمُ .

فأما اضافته الى نعته فقولهم « بارحة الاولى . ويوم الخميس . ويوم الجمعة » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « ولدار الآخرة » و « حق اليقين » .

باب جمع شيئين في الابتداء بهما

وجمع خبريهما ، ثم يُردُّ الى كل مبتدئ به خبره

من ذلك قول القائل « اني واياك على عدل أو على جور » فجمع

شيئين في الابتداء وجمع الخبرين ، ومراده : اني على عدل واياك على جور .

وهذا في كلامهم وأشعارهم كثير . قال (امرؤ القيس) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا

لَدَى وَكَرَّهَا العُنَابُ وَالحَشْفُ البَالِي

أراد : كأن قلوب الطير رطبا ويابسا الحشف . ومن هذا في

القرآن « وانا واياكم لعلي هدى أو في ضلال ميين » معناه : وانا على

هدى واياكم في ضلال . ومنه قوله جل ثناؤه « قل أرأيتم ان كان من

عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن

واستكبرتم » اذ ارد كل شيء الى ما يصلح أن يتصل به كان التأويل : قل

أرأيتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن

وكفرتم به واستكبرتم . ومثله « وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » قالوا : لِمَ لَمْ يَصَاحْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ كَانِ التَّأْوِيلُ : وَزَلْزَلُوا حَتَّى قَالَ الْمُؤْمِنُونَ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ فَقَالَ الرَّسُولُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ رُدَّ كُلُّ كَلَامٍ إِلَى مَنْ صَاحَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ . وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُ (ذِي الرُّمَّةِ) :

مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبُ
وَفَرَاءِ غَرْفِيَةِ أَثَأَى خَوَارِزْهَا مُشْشَلُ ضَيْعَتِهِ بَيْنَهَا الْكُتُبُ

فَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ وَفَرَاءِ غَرْفِيَةِ أَثَأَى خَرَارِزْهَا سَرَبُ مُشْشَلُ ضَيْعَتِهِ بَيْنَهَا الْكُتُبُ . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلْ ثَأْوَهُ « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » الْمَعْنَى : جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَمِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ . قَالَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ (أَمْرِي الْقَمِيسِ) :

فَلَا وَأَيْكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَتَى أِفْرُ
تَمِيمُ بْنُ مَرْثُ وَأَشْيَاعُهَا وَكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعًا صَبْرُ
مَعْنَاهُ : لَا يَدْعِي الْقَوْمُ تَمِيمًا وَأَشْيَاعُهَا أَتَى أِفْرُ وَكِنْدَةُ حَوْلِي .

باب التقديم والتأخير

من سنن العزب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيرُه وهو في المعنى مُقَدَّم . كقول (ذي الرُّمَّة) :

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ

أراد : ما بالك عينك ينسكب منها الماء . وقد جاء مثل ذلك في القرآن قال الله جل ثناؤه « ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » تأويله والله أعلم : ولو ترى إذ فرعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت . لأن لفوت يكون بعد الاخذ . ومن ذلك قوله جل ثناؤه « هل أتاك حديثُ الغاشية - يعني القيامة - وجوه يومئذ خاشعة » وذلك يوم القيامة ثم قال « عاملة ناصبة » والنصبُ والعملُ يكونان في الدنيا ، فكأنه إذاً على التقديم والتأخير معناه : وجودُ عاملة ناصبة في الدنيا ، يومئذ - أي يوم القيامة - خاشعة . والدليل على هذا قوله جل اسمه « وجوه يومئذ ناعمة » . ومنه قوله جل ثناؤه « فلا تُعْجِبُكَ أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » المعنى : لا تُعْجِبُكَ أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا . وكذلك قوله جل ثناؤه « فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون » معناه : فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . ومن ذلك قوله جل ثناؤه « إن الذين كفروا يُنادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون » تأويله : لمقت الله إياكم في الدنيا حين دُعيتم إلى الإيمان فكفرتُم ، وموته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم إذا دعيتم إلى الحساب وعند ندمكم على ما كان منكم . ومنه قوله جل ثناؤه « ولولا كلمة

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى « فَأَجَلٌ مُعْطُوفٌ عَلَى كَلِمَةٍ ،
التأويل : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمًّى - أراد الاجل المضروب
لهم وهي الساعة - لكان العذاب لازماً لهم .

باب الاعتراض

وهن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتامه كلام ، ولا يكون هذا
المعترض إلا مُبِيداً . ومثال ذلك أن يقول القائل « اعمل - والله ناصري -
ما شئت » إنما أراد : اعمل ما شئت . واعتراض بين الكلامين ما اعتراض .
قال (الشماخ) :

لولا ابنُ عفانَ والسُلطانَ مرْتَقِبُ أوردتُ فجأً من الأعباءِ (١) جأهُودي
قوله « والسُلطانَ مرْتَقِبُ » معترض بين قوله « لولا ابنُ عفانَ »
وقوله « أوردتُ » . ومن ذلك في كتاب الله جل ثناؤه « واتلُ عليهم نبأ
نُوحٍ إذ قالَ لقومه يا قوم إن كانَ كُبرُ عليكم مَقَامِي وتذَكيري بآياتِ الله
- فلي الله توكلتُ - فأجمعوا أمرَكم » إنما أراد : إن كانَ كُبرُ عليكم مَقَامِي
وتذكري بآياتِ الله فأجمعوا أمرَكم . واعتراض بينهما ما قوله : فعلى الله
توكلت . ومثله قول (الأعمش) :

فإن يُنْسِرَ عِنْدِي الهمُّ والشيبُ والعشا
فقد بنى مني والسلام تنلقُ
بأشجع أخذ على الدهر حكمه
فمن أي ما تجني الحوادث أفرقُ

(١) اسم موضع - الاصل

أراد: بن مني بأشجع . والسلام تملقُ اعتراض . ومثل هذا في كتاب
الله جل ثناؤه وأشعار العرب كثير ، وإنما نذكر من الباب رسماً .

باب الإيماء

العرب تُشيرُ إلى المعنى إشارةً وتوميءُ إيماءً دون التصريح ، فيقول القائل
« لو أن لي من يَبَلِّ مشورتِي لأثمرتُ » وإنما بحثُ السامعِ على قبولِ
المشورة . وهو في أشعارهم كثير قال الشاعر :

إذا غرَّدَ المُكَّاءُ في غيرِ روضةٍ

فويلٌ لأهلِ الشَّاءِ والحمراتِ

أوماً إلى الجذب ، وذلك أن المُكَّاءَ يأنفُ الرياضَ ، فإذا أجذبت
الأرضُ سقط في غيرِ روضة . ومنه قول (الأفره)

إنَّ بني أودِهِمُ ماهمُ للحربِ أولِ الجذبِ عامِ الشُّموسِ

أوماً بقوله « الشموس » إلى الجذب وقلة المطر والغيم ، أي إن كل أيامهم
شموس بلا غيم . ويقولون « هو طويلُ نجادِ السيفِ » إنما يريدون طول
الرجل . و « غرُّ الرِّداءِ » يومؤن إلى الجود . و « فدَّالُه ثوبِي » و « هو
واسع جيبِ الكُمَّ » إيماءٌ إلى البذل . و « طربُ العنانِ » يومؤن إلى
الخفة والرِّشاقة . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وقل ربِّ أعوذُ بك
من هَمَزاتِ الشياطينِ وأعوذُ بك ربِّ أنْ يُخَضِّرُونِ » هذا إيماءٌ إلى
« أن يُصَيِّبُونِي بسؤٍ » وذلك أن العرب تقول « اللَّبنُ محضورٌ » أي :
تُصَيِّبه الآفات .

باب اضافة الفعل الى من وقع به ذلك الفعل

ومن سنن العرب اضافة الفعل إلى من يقع به ذلك الفعل . يقولون « ضربتُ زيداً وأعطيتهُ بعدَ - ضَرَبَ به - كذا » فينسب الضربَ إلى زيد وهو واقع به . قال الله جل ثناؤه « ألم . غلبت الرومُ - فالغلبةُ واقعة بهم من غيرهم ثم قال - وهم من بعد غلبهم سيغلبون » فأضاف الغلبَ إليهم ، وإنما كان كذا لأن الغلبَ وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم . ومثله « وآتى المالَ على حبه » . و « يُطعمون الطعامَ على حبه » فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال ، وهو في الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال . ومثله « ولِمَن خاف مقامَ رَبِّه » و « ذلك لمن خاف مقامي » أي مقامه بين يدي . ومثله قول (طارقة) :

وَبَرَكَ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي

فأضاف المخافة إلى نفسه وإنما المخافة للبرك .

باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم

في الاخبار عنه

من سنن العرب أن تُجرى الموات وما لا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم ، فيقولون في جمع أرض « أرضون » وفي جمع كرة « كرون » وفي جمع إبرة « إرون » وفي جمع ظبة السيف « ظبرون » وينشدون :

يَرَى الرَّأُونَ بِالشَّمَرَاتِ مِنْهَا كِنَارِ أَبِي حُبَابٍ وَالظُّيُنَا
ويقولون « لقيتُ منه الأفورين » و « أصابني منه الأمرون »
و « مضتُ له سنون » ويتمدون هذا إلى أكثر منه فيقول (الجعدي) :

تَمَزَّزْتُهَا ، الدِّيكُ يُدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ ذَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
 وقال الله جل ذكره « في فَلَكَ يَسْبَحُونَ » و « لقد علمت ما هؤلاء ينطِقون »
 و « إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »
 و « يا أيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ » و « لو كان هؤلاء آلِهَةً ما وَرَدُّوها »
 ويقولون في جمع بُرَّة « بُرِين » . وأكثر من قول (النابغة) قول القائل (١) :
 إِذْ أَشْرَفَ الدِّيكُ يُدْعُو بِعَظْمِ أَسْرَتِهِ إِلَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَاذِلُ
 وَجَعَلَ لَهُ أَسْرَةً وَسَمَّاهُمْ قَوْمًا .

باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء

وهم يريدونه كله

من سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله ،
 فيقولون « قعد على صدر راحلته ، وعضي » . ويقول قائلهم :
 الوادِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَعْلِهِمْ
 وذكر بعض أهل اللغة في هذا الباب قول (أبيد) :
 أَوْ يَرْتَبِطُ بِعَظْمِ النُّفُوسِ جَمَامُهَا

وإنه أراد كلاً وذكروا في هذا الباب قوله جل ثناؤه « قل للمؤمنين
 يغضوا من أبصارهم » وقال آخرون « من » هذه للتبعيض لأنهم أمروا
 بالغض عما يحرم النظر إليه . ومن الباب « يَحْدِرُكَ اللهُ نَفْسَهُ » أي إِيَّاهُ .
 ومنه « تعلم ما في نفسي » ومنه قوله :

يَوْمًا بِأَجْوَدِ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سُوءَ أَلْهَا

(١) هو (عبد بن الطيب التيمي) . - الشنيطي

ومنه « ويبتقى وجه ربك » و « تواضعت سور المدينة » . و :

رأت مرّ السنين أخذن مني

و : طول الليالي أسرعت في تقضي

و : صرف المنايا بالرجال تقاب

وقال (الجعدي) :

جزعت وقد نالتك حذر ماحنا بقوهاء يثني ذكرها في المحافل

باب الاثنتين يعبر عنهما بهما مرة وبأحد هما مرة

قال (أبو زكرياء الفراء) : العرب تقول « رأته بعيني . وبعيني » و

« الدار في يدي . وفي يدي » . وكل اثنتين لا يكاد أحدهما يفرد فهو على

هذا المثال . مثل « اليدين . والرّجلين » قال (الفرزدق) :

فلو بخلت يداي بها وضنت لكان عليّ للقدر الخيار

فقال « ضنت » بعد قوله « يداي » . وقال :

وكانّ بالعينين حبّ قرنفل أو سنبلأ كحلت به فأهدت

وقال :

إذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى بصحراء فليجّ ظلتنا تكفان

باب الحمل

هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه . يقولون « ثلاثة

أنفس » والنفس مؤنثة لأنهم حملوه على الانسان . ويقولون « ثلاث

شخص » لأنهم يحملون ذلك على أنهم نساء . و :

ان كلاباً هذه عشر أبطن

يذهبون الى القبائل . وفي كتاب الله جل ثناؤه « السماء منسطرٌ » حمل على السقف . وهذا يتسع جداً . وقد ذكر في هذا الباب ما تقدم ذكره من قوله جل ثناؤه « مستهزؤون ، الله يستهزي بهم » وهذا في باب المحاذاة أحسن . ومن الحمل قوله « أنارسول رب العالمين » قال (أبو عبيدة) أراد الرسالة . ومن الباب قوله جل وعز « سعيرا - والسعير منذ كثرتم قال - اذارأتهم » فحمله على النار وقوله جل ثناؤه « فأحيننا به بلدة ميماً » حمله على المسكان . ولهذا نظائر كثيرة .

باب من ألفاظ الجمع والواحد والاثنتين

من الجمع الذي لا واحد له من لفظه « العالم . والأنام . والرهط . والنفر . والمعشر . والجند . والجيش . والناس . والغنم . والنعم . والابل . » وربما كان للواحد لفظ ولا يجيء الجمع بذلك اللفظ نحو قولنا « امرؤ . وامرآن . وقوم » و « امرأة . وامرأتان . ونسوة » ومن الاثنتين اللذين لا واحد لهما لفظاً قولهم « كلا . وكأنا . واثنان . والمذران . وعقله بثنائين . وجاء يضرب أصدرية . وأزدريه ودوابه » من التداول و « لييك . وسعديك . وحنانيك » وقد قيل : ان واحد حنانيك « حنان » وينشد :

فقلت : حنان ما أتى بك هاهنا أذونسب أم أنت بالحي عارف

باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء

يقولون للرجل يس جهل « يا عاقل ! » ويقول شاعرهم :
فقلت لسيدينا : يا حلي أم إنك لم تأس أسوار فيقا

ومن الباب « أتاني فقرَّبته جَنَاءً وأُعْطِيَتْهُ حَرْمَانًا » ومنه قوله :
ولم يكونوا كأقوامٍ علمتهم . يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا
يعني : السَّيَاط . ويقول (الفرزدق) :

قَرَيْنَا مُمُ الْمَأْتُورَةَ الْبَيْضَ

وقال (عمرو) :

قَرَيْنَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قَرَا كَمْ قَبِيلَ الصَّبْحِ مَرْدَاةً طَحُونَا
ومن الباب حكاية عنهم « أَنْكَ لَا أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ » .

باب الكف

ومن سنن العرب الكف . وهو أن يكفَّ عن ذِكْرِ الْخَبَرِ اِكْتِفَاءً
بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ . كقول القائل :

وَجَدْتُكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولَهُ سِوَاكَ . وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْكَ مَدْفَعًا
المعنى : لو أَنَا رَسُولُ سِوَاكَ لَدَفَعْنَا . وقال آخر :

إِذَا قُلْتُ سِيرِي نَحْوَ لَيْلِي لَعَلَّهَا . جَرَى دُونَ لَيْلِي مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ
وَتَرَكَ خَبَرَ « لَعَلَّهَا » . وقال :

فَمَنْ لَهُ فِي الطَّعْنِ وَالضَّرَابِ يَلْمَعُ فِي كِنْفِي كَانَتْ شَهَابِ
أَي : مَنْ لَهُ فِي سَيْفٍ . ومنه قوله جَلَّ وَعَزَّ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ « أَفَلَا
تَبْصُرُونَ أَمْ » أراد : أَمْ تَبْصُرُونَ . ومما يقرب من هذا الباب قوله (١) :

تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مَتَبَتَّلٍ
أراد : سُرُوحَ مَنَارَةٍ .

(١) هو (امرؤ القيس) في مملته .

باب الإعارة

العرب تُعير الشيء ما ليس له . فيقولون « مرّ بين سمع الأرض
وبصرها » ويقول قائلهم :

كذلك فعله والناسُ طرّاً بكفّ الدهر تقتلهم ضروباً
فجعل للدهر كفاً . ويقولون :

ثارتُ (المسمعين) وقلت بواً بقتل أخي فزارة والخيار
قال (الأصمعي) : لم يكن واحد منهما مسمياً وإنما كانا (عامراً)
و(عبد الملك) ابني (مالك بن مسمع) فأعارهما اسم جدّهما . ومثله
(الشعثمان) لم يكن اسم أحدهما شعثماً وإنما أعير اسم أبيهما (شعثم) .
ومثله (المهالبة) و(الأشعرون) .

باب أفعل في الأوصاف لا يراد به التفضيل

يقولون « جرى له طائر أشام » ويقول شاعرهم (١) :

هي الهمّ لو أن النوى أصعبت بها ولكن كراً في ركوبة أعسر (٢)
وقال (الفرزدق) :

ان الذي سمك السماء بني انا عزاً دعائمه أعز وأطول
وقال (أبو ذؤيب) :

مالي أحنّ إذا جمالك قرّبت وأصدّ عنك وأنت مني أقرب
وقال :

(١) هو (بشر بن أبي خازم) - الاصل

(٢) هذا مثل للعرب تصرفه في كل أمر شديد و(ركوبة) ثنية - الاصل

بُيِّنَتْهُ مِنْ آلِ النَّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنُّ لِأَدْنَى لَأَوْصَالِ لَغَائِبِ
وَيَقُولُونَ: إِنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» .

يَابِ نَفِي الشَّيْءِ جَمَلَةٌ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ كِمَالِ صِفَتِهِ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي صِفَةِ أَهْلِ النَّارِ «لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى» فَنفى عنه
الموتَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُوتٍ مُرِيحٍ وَنفى عنه الحَيَاةَ لِأَنَّهُا لَيْسَتْ بِحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ وَلَا
نَافِعَةٍ . وَهَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، قَالَ (أَبُو النَّجْمِ) :

يَلْقَيْنَ بِالْخَبَارِ وَالْأَجَارِعِ كُلَّ جَهِيضٍ لَيْنِ الْأَكْرَاعِ
لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَلَا بِضَائِعِ

لَأَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

بَلَاءٌ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

وَقَالَ :

وَقَدْ أَجُوبُ الْبَلَدِ الْبَرَاخَا الْمَرْمِيسَ الْقَفْرَةَ الصَّخْصَاخَا
بِالْقَوْمِ لَامْرُؤَى وَلَا صَحَاخَا

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ،
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ» وَمِنْهُ «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ - فَأَثَبْتَ لَهُمْ قَالٍ - وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»
لَمَّا كَانَ عُلَمَاءٌ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ كَانُوا كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَمِنْ الْبَابِ قَوْلُ (مَسْكِينٍ) :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي السُّتْرَ
وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِالْسَمْعِ مِنْ وَقْرٍ (١)

جعل نفسه أعمى أصمّ لعمّا لم ينظر ولم يسمع . وقال آخر :
 وكلامٌ بسِيٍّ قد وُقِرَتْ أذني عنه وما بي من صمّ
 وقريب من هذا الباب قوله جل وعز « وَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
 بِسُكَارَى » أي ما هم بسُكَارَى مشروب ولكن سُكَارَى فزَع وَوَلَهُ . ومن
 الباب قوله جل ثناؤه « لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَبِرُونَ » وهم قد
 نطقوا بقولهم « يَا لَيْتَنَا تُرِدُّ » لكنهم نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا .

باب الشش ط

الشرط على ضربين : شرطٌ واجبٌ إعماله كقول القائل « إن خرج
 زيدٌ خرجتُ » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فَإِنْ طِبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ
 نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا » .

والشرط الآخر مذكور إلا أنه غير معزوم عليه ولا محتوم ، مثل قوله
 « فلا جناحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدودَ الله » فقوله « إن
 ظنّا » شرط لا إطلاق المراجعة . فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن
 يتراجعا إلا بعد الظن أن يقيما حدود الله . فالشرط هاهنا كالمجاز غير
 المعزوم . ومثله قوله جل ثناؤه « فذكركم إن نفعت الذكركم » لأن الأمر
 بالتذكير واقع في كل وقت . والتذكير واجب نفع أو لم ينفع ، فقد يكون
 بعض الشروط مجازاً .

باب الكناية

الكناية لها بابان : أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه
 تحسيناً للفظ أو إكراماً للبذكور ، وذلك كقوله جل ثناؤه « وقالوا لجلودهم :

لم شهدتم علينا؟» قالوا: إن الجلود في هذا الموضوع كناية عن آراب
الإنسان. وكذلك قوله جل ثناؤه «ولكن لا تواعدوهن سرّاً» إنه
النكاح. وكذلك «أوجاء أحدٌ منكم من الغائط» والغائط: مطمئن من
الأرض. كل هذا تحسين اللفظ والله جل ثناؤه كريم يكتفي بكفالة في قصة
عيسى وأمه عليهما السلام «ما المسيح بن مريم الأرسول قد خلت من
قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يا كلان الطعام» كناية عن عمه الأبد
لا كل الطعام منه.

والكناية التي للتبجيل قولهم «أوفلان» صيانة لاسمه عن الابتدال.
والكنى مما كان للعرب خصوصاً. ثم تشبه غيرهم بهم في ذلك.

باب الثاني من الكناية

الاسم يكون ظاهراً مثل «زيد. وعزرو». ويكون مكنياً وبعض
النحويين يسميه مضمراً، وذلك مثل «هو. وهي. وهما. وهن». .
وزعم بعض أهل العربية أن أول أحوال الاسم الكناية، ثم يكون
ظاهراً. قال: وذلك أن أول حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول
«أنا. وأنت» وهذان لظاهرهما. وسائر الأسماء تظهر مرة ويكنى
عنها مرة.

والكناية متصلة ومنفصلة ومستجنة. فالمتصلة التاء في «حملت. وقت». .
والمنفصلة قولنا «إياه أردت». والمستجنة قولنا «قام زيد» فإذا كنينا
عنه قلنا «قام» فتستتر الاسم في الفعل. وربما كني عن الشيء لم يجر له ذكر، في مثل قوله جل ثناؤه «إوفك

عنه « أي يؤفك عن الدين أو عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . قال أهل العلم : وإنما جاز هذا لأنه قد جرى الذّكر في القرآن . قال (حاتم) : أمأوي ما يعني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر فكنى عن النفس فقال « حشرجت » ويقولون :

إذا اغبرّ أفتق وهبت شمالاً

أضمر الريح ولم يجر لها ذكر .

ويكنى عن الشئيين والثلاثة بكناية الواحد ، فيقولون « هو أثنان الناس وأخْبِئْهُ » وهذا لا يكون إلا فيما يقال هو أفعل ، قال الشاعر :

شَرُّ يَوْمِهَا وَأَشْقَاهُ لَهَا رَكِبَتْ عَزْمٌ بِجَمَلٍ جَمَلًا

ولم يقل « أشقاهما » .

وتكون الكناية متصلةً باسم وهي لغيره ، كقوله جل ثناؤه « ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طين - فهذا آدم عليه السلام ثم قال - جعلناه نُطْفَةَ » فهذا لولاه لأن آدم لم يُخلق من نُطْفَةٍ . ومن هذا الباب قوله جل ثناؤه « لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ » قيل : إنها نزلت في (ابن حذافة) حين قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : من أبي ؟ فقال : حذافة . وكان يسبُّ به فسأه ذلك ، فنزلت « لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ » . وقيل : نزلت في الحج حين قال القائل : أفي كلِّ عام مرة ؟ ثم قال « وإن تَسْأَلُوا عَنْهَا » يريد إن تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ أُخْرَ مِنْ أَمْرٍ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ بِكُمْ إِلَى عِلْمِهَا حَاجَةٌ تَبَدِّلُكُمْ ثُمَّ قَالَ « قَدْ سَأَلُوهَا » فهذه الهاء من غير الكناياتين لأن معناها : قد طلبها ، والسؤال هاهنا طلب ، وذلك كقوم عيسى عليه السلام حين سأله المائدة ، وكقوم موسى عليه

السلام حين قالوا «أرنا الله جبرة» فالسؤال هاهنا طلب والكناية مبتدأة.
 وربما كُني عن الجماعة كناية الواحد كقوله جل ثناؤه «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟»
 أراد والله أعلم: بهذا الذي تقدم ذكره.

باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ (الفاعل)
 والمعنى واحد

تقول العرب «هو مُدَجِّجٌ . ومدَجَّجٌ» و«عبدٌ مكاتبٌ . ومكاتبٌ»
 و«شأؤٌ مُعَرَّبٌ . ومُعَرَّبٌ» و«سجنٌ مُخَيِّسٌ . ومُخَيِّسٌ» و«مكانٌ
 عامرٌ . ومعمورٌ» و«منزلٌ آهلٌ . ومأهولٌ» و«نفسٌ المرأةٌ . ونفستٌ»
 و«لا يَنْبِي لَكَ . ولا يُبْنِي لَكَ» و«عُنيتُ بهُ . وعَيْتُ» . قال:
 عان بأخراها طويلُ الشُّنلِ
 و«رُهِّمَتِ الدَّابَّةُ . ورَهِّصَتْ» و«سُعِدُوا . وسَعِدُوا» و«زَهِيَ
 علينا . وزَهَى»

باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة

وقد مضى في الاسماء مثله

العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة ، فيقولون «حلا الشيء» فإذا
 انتهى قالوا «احلوا لي» . ويقولون «أقلوا لي على فراشه» وينشدون:
 واقلوا لئن فوق المضاجع
 وقرأ (ابن عباس) «ألا انهم تننوني صدورهم» على هذا الذي قلناه
 من المبالغة .

باب الخصائص

للرب كلام بالفاظ تختص به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها ، يكون في الخير والشرِّ والحسن وغيره وفي الليل والنهار وغير ذلك . من ذلك قولهم « مَكَانَكَ » قال أهلُ العلم : هي كلمةٌ وُضِعَتْ على الوعيد ، قال الله جل ثناؤه « مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرٌّ كَأَوْكُمْ » كأنه قيل لهم : انتظروا مكانكم حتى يُفْضَلَ بينكم . ومن ذلك قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي السَّكْذِبِ كَمَا يَتَابِعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ » قال (أبو عبيد) : هو التهافت ، ولم نسمعه إلا في الشر . ومن ذلك « أُولَى لَهُ » وقد فسرناه . ومن ذلك « ظَلَّ فُلَانٌ يَفْعَلُ كَذَا » إذا فعله نهراً . و « بات يفعل كذا » إذا فعله ليلاً . ومن ذلك ما أخبرني به (أبو الحسن علي بن ابراهيم) قال سمعت (أبا العباس المبرِّد) يقول : « التَّأْوِيبُ » سيرُ النهار لاتعريج فيه و « الأيساد » سيرُ الليل لاتعريس فيه . ومن الباب « جُمَلُوا أَحَادِيثُ » أي : مُثِّلَ بهم ، ولا يقال في الخير . ومنه « لَاعِدْوَانِ الأَعْلَى الظَّالِمِينَ » .

ومن الخصائص في الأفعال قولهم « ظننتني . وحسبتني . وخطتني » لا يقال الا فيما فيه أدنى شك ، ولا يقال « ضَرَبْتَنِي » .

ولا يكون « التَّأْيِينُ » الامدحَ الرجل ميتاً . ويقال « غَضِبْتُ بِهِ » إذا كان ميتاً . و « المَسَاعَاةُ » الزَّوْنُ بِالْأَمَاءِ خَاصَةً . و « الرَّاكَبُ » رَاكِبُ البعير خاصة . و « أَلْحَ الْجَمَلُ » و « حَخَلَاتُ النَّاقَةِ » و « حَرَّانَ الْفَرَسِ » و « نَفَسَتِ النَّعْمُ » ليلاً و « هَمَّتْ » نهراً . قال (الخليل) : « اليَعْمَلَةُ »

من الابل اسم اشتق من «العَمَل» ولا يقال إلا نلانات . قال : «والنعت»
وصف الشيء بما فيه من حسن إلا أن يتكلف متكلف فيقول « هذا نعتٌ
سوءٌ » فأما العرب العاربة فإنها تقول « للشيء نعت » يريدون به التهمة .
قال (أبو حاتم) : « ليلة ذات أزيز » أي : قر شديد . ولا يقال يوم ذوا أزيز .
قال (ابن دُرَيْد) : « أشَّ القومُ . وتأشَّشُوا » إذا قام بعضهم إلى بعض
للشر لا للخير . ومن ذلك « جززتُ الشاةَ » و « حَلَقْتُ العنزَ » لا يكون
الحلق في الضأن ولا الجز في المعزى . و « خفصتِ الجاريةُ » ولا يقال في
الغلام . و « حقبَ البعيرُ » إذا لم يستقم بوله لقصد ، ولا يحقب إلا الجمل .
قال (أبو زيد) : « أبلمتِ البكرةُ » إذا ورم حياؤها لا يكون إلا للبكرة .
و « عدتِ الابل في الحمض » لا تعدن الا فيه . ويقال « غطَّ البعيرُ » هدرَ
ولا يقال في الناقة . ويقال « ما أطيب قداوة هذا الطعام » أي : ريحة ولا
يقال ذلك إلا في الطيبخ والشواء . و « لقعَه ببعرة » ولا يقال بغيرها .
و « فعلتُ ذلك قبل غير وما جرى » لا يُسكَّم به الا في الواجب ، لا يقال :
سأفعله قبل غير وما جرى . ومن الباب ما لا يقال الا في النفي كقولهم « ما بها
أرم » أي ما بها أحد . وهذا كثير فيه أبواب قد صنفها العلماء .

باب نظم للمعرب لا يقولوا غيرهم

يقولون « عاد فلانُ شيخاً » وهو لم يكن شيخاً قط . و « عاد الماءُ
أجناً » وهو لم يكن أجناً فيعود . ويقول (الهذلي) :
قد عاد رهباً رذياً طائشاً القدم

قال :

قطعتُ الدهرَ في الشهواتِ حتى أعادتني عبيفاً عبدَ عبدٍ

ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه « يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »
 وهم لم يكونوا في نور قط . ومثله « يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ » وهو لم يكن في
 ذلك قط . وقال الله جل ثناؤه « حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » فقال « عاد »
 ولم يكن عُرْجُونًا قَبْلُ .

باب اخراجهم الشيء المحمود بلفظ يريهم غير ذلك
 يقولون « فلان كريم غير أنه شريف » و« كريم غير أن له حساباً »
 وهو شيء تنفرد فيه العرب . قال (١) :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
 وقال (٢) :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقياً
 وهو كثير .

باب الافراط

العرب تقرط في صفة الشيء مجاوزةً للاقترار على الكلام كقوله:
 بِحَيْلٍ (٣) تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ ترى الأكم فيه سجداً للجوافر
 ويقولون :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة وخشعت الجبال (٤)

و : بكى حارث الجولان من هلك ربه (٥)

و :

(١) هو (الناطقة الديباني) - الأصل (٢) هو (الناطقة الجمدي) - الأصل
 (٣) وفي رواية « بجيش » - الشنيطي (٤) الرواية « والجبال المشم » - الشنيطي
 (٥) « حارث » اسم جبل . و « الجولان » موضع - الأصل

لو اذكَ تَلْفِي حَنْظَلًا فَوْقَ يَيْضِنَا تَحْدَرَجَ
ويقولون :

ضَرَبْتُهُ فِي الْمَتَقَى ضَرْبَةً فزال عن مَنَكِبِهِ الْكَاهِلُ
فَصَارَ مَا يَدُهُمَا رَهْوَةً يمشي بها الرَّامِحُ وَالنَّابِلُ

باب نفي ضمنه اثبات

تقول العرب « ليس بخلو ولا حامض » يريدون انه جمع من ذاوذا .
وفي كتاب الله جل ثناؤه « لاشرقية ولا غربية » قال (أبو عبيدة) :
لاشرقية لأضحى للشرق ولا غربية لانضحى للشرق لكنها شرقية غربية
يصيبها ذاوذا : الشرق والغرب .

باب الاشتراك

معنى الاشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر ، كقوله
جل ثناؤه « فاقذفيه في اليم ، فليلقه اليم بالساحل » فقوله « فليلقه » مشترك
بين الخبر وبين الأمر ، كأنه قال : فاقذفيه في اليم يلقه اليم . ومحتمل أن
يكون اليم أمر باللقاء . ومنه قولهم . « رأيت » فهو مرّة للاستفتاء والسؤال
كقولك « رأيت أن صلى الامام قاعداً كيف يُصلي من خلفه ؟ » . ويكون
مرّة للتنبيه ولا يقتضي مفعولاً ، قال الله جل ثناؤه « رأيت إن كذب
وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » . ومن الباب قوله « ذرني ومن خلقت
وحيدا » فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جل ثناؤه لأنه انفرد بخلقه ،
ومحتمل أن يكون : خلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولده .

باب يسميها بعض المحلثين : الاستطراد

وذلك أن يشبه شيء بشيء ثم يمر المتكلم في وصف المشبه، كقول الشاعر حين شبه ناقته فقال :

كَأَنِّي وَرَحَلِي إِذْ رُعْتُهَا عَلَى جَمَزَى جَازِيٍّ بِالرِّمَالِ

فشبه ناقته بثور ومضى في وصف الثور ، ثم نقل الشبه الى الحمار فقال :

أَوْ أَصْحَمٍ حَامٍ جَرَامِيْرَهُ حَزَائِيَّةٍ حَبْدَى بِالذِّحَالِ

ومر في صفه العير الى آخر كلمته . وقد قيل : في كتاب الله جل ثناؤه

من هذا النظم قوله « إن الذين كفروا بالذِّكر لما جاءهم » ولم يجر للذِّكر خبر ، ثم قال « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجواب « ان الذين كفروا » قوله جل ثناؤه « أولئك يُنادون من مكان بعيد » .

باب الاتباع

للعرب الاتباع — وهو أن تتبَع الكلمة الكلمة على وزنها أوروِيها اشباعاً وتأكيذاً . ورُوي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال : هو شيء تُتدُّ به كلامنا وذلك قولهم « ساغِبُ لاغِب » و « هو خَبُّ ضَب » و « خَرَابُ يَبَاب » . وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب .

باب الاوصاف التي لم يسمع لها بافعال

والأفعال التي لم يُوصَف بها .

قال (الخليل) : « ظيُّ عَنَابَنُ » أي نشيط ، قال : ولم نسمع للعنبان

فعلاً ، قال « يَشْدُ شَدَّ العَنَبَانِ البارح » قال : و « الخَضْبَةُ » صوت يخرج من قُنْب الدَّابَّة ولا فعل لها . ويقولون في التحقير « هو دُونٌ » ولا فعل له . قال (أبو زيد) : يقال للجبان « إنه لَمَفْوُذٌ » ولا فعل له . قال : و « الخَبْطَةُ » مثل الرَّقْض من اللبن والماء ولا فعل لها . وقال : « أجمَدتُ الأبلَ إِجماداً » إذا أنت أشبعتها ولا فعل لها في هذا . و « المَزِيَّةُ » الفضل ولا فعل لها . قال (أبو زيد) : يقال « ماساءهُ وناهُهُ » تأكيدٌ للأول ولم يعرفوا من « ناههُ » فعلاً ، لا يقولون « ينوهُهُ » كما يقال « يسوهُهُ » .
ومن الأفعال التي لم يُوصَف بها قولنا « ذرأ اللهُ الخلقَ » قال اللهُ عز وجل « يَذرُؤُكم فيه » ولم يُسمع في صفاته جل ثناؤه « الذاريء » .

باب النحت

العرب تنحَّتْ من كلمتين كلمةً واحدةً ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك « رجل عبشمي » منسوب إلى اسمين ، وأنشد (الخليل) :
أقول لها ودمع العين جارِ المَ تخزُ نك حيلةُ النادي
من قوله « حيَّ علي » . وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد « ضَبَطْرٌ » من « ضَبِطَ » و « ضَبَّرَ » . وفي قولهم « صَهَّصِقَ » إله من « صَهَّلَ » و « صَلَّقَ » وفي « الصلِّدَم » إنه من « الصلَّدَ » و « الصلِّدَم » . وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب (مقاييس اللغة) .

باب الإشباع والتأكيدي

تقول العرب « عَشْرَةٌ وَعَشْرَةٌ فتلک عشرون » وذلك زيادة في التأكيدي

ومنه قوله جل ثناؤه « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون أحدهما واجباً إما ثلاثة وأما سبعة فأكد وأزيل التوهم بأن جمع بينهما . ومن الباب قوله جل ثناؤه « ولا طائر يطير بجناحيه » إنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تسمى الاسراع طيراً ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « كلما سمع هيمة طار إليها أخرى » . وكذلك قوله « يقولون بألسنتهم » فذكر الألسنة لأن الناس يقولون « قال في نفسه كذا » قال الله جل ثناؤه « ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول » فأعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس .

باب الفصل بين الفعل والنعمة

النعمة يؤخذ عن الفعل نحو « قام فهو قائم » وهذا الذي يسميه بعض النحويين (الدائم) وبعض يسميه (اسم الفاعل) . وتكون له رتبة زائدة على الفاعل . قال الله جل ثناؤه « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ولم يقل : لا تغل يدك ، وذلك أن النعت ألزم ، ألا ترى أنا نقول « وعصى آدم ربه فغوى » ولا نقول : آدم عاص غاو ، لأن النعوت لازمة وآدم وان كان عصى في شيء فإنه لم يكن شأنه العصيان فيسمى به ، فقوله جل ثناؤه « لا تجعل يدك مغلولة » أي لا تكونن عادتك المنع فتكون يدك مغلولة . ومنه قوله جل ثناؤه « وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » ولم يقل هجرُوا لأن شأن القوم كان هجران القرآن وشأن القرآن عندهم أن يهجرأبدأً فلذلك قال والله أعلم « اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وهذا قياس الباب كله .

باب الشعر

الشعر - كلام موزون مقفى دال على معنى . ويكون أكثر من بيت .
 وإنما قلنا هذا لأن جازاً اتعاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر
 عن غير قصد ، فقد قيل : إن بعض الناس كتب في عنوان كتاب « للأمر
 (المسيب بن زهير) - من عتال بن شبة بن عقيل » فاستوى هذا في
 الوزن الذي يسمى « الخفيف » . ولعل الكاتب لم يقصد به شعراً .

وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جل ثناؤه كرهنا
 ذكرها ، وقد نزه الله جل ثناؤه كتابه عن شبه الشعر كما نزه نبيه صلى
 الله تعالى عليه وآله وسلم عن قوله . فإن قال قائل : فما الحكمة في تنزيه الله
 جل ثناؤه عن الشعر ؟ قيل له : أول ما في ذلك حكم الله جل ثناؤه بأن
 « الشعراء يتبعهم الغاؤون ، وأنهم في كل واديهيمون ، وأنهم يقولون ما لا
 يفعلون » ثم قال « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ورسول الله صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم وان كان أفضل المؤمنين إيماناً وأكثر الصالحين عملاً للصالحات
 فلم يكن ينبغي له الشعر بحال ، لأن للشعر شرائط لا يسمى الانسان بغيرها
 شاعراً ، وذلك أن انساناً لو عمل كلاماً مستقيماً موزوناً يتحرى فيه الصدق
 من غير أن يفرض أو يتعدى أو يمين أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بته لما
 سماه الناس شاعراً ولو كان ما يقوله محسولاً ساقطاً . وقد قال بعض العقلاء
 وسئل عن الشعر فقال « ان هزل أضحك ، وإن جد كذب » فالشاعر
 بين كذب وإضحاك ، فاذا كان كذا فقد نزه الله جل ثناؤه نبيه صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء .

وبعد فأننا لانكاد نرى شاعراً الامادِ حاضراً أو هاجياً ذا قذع، وهذه
أوصاف لاتصلح لنبى . فان قال : فقد يكون من الشعر الحكيم كما قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ان من البيان لسحراً ، وان من
الشعر لحكمة » أو قال « حكماً » - قيل له : انما نزه الله جل ثناؤه نبيه
عن قيل الشعر لما ذكرناه ، فأما الحكمة فقد آتاه الله جل ثناؤه من ذلك
القسم الأجزل والنصيب الأوفى الأزكى : قال الله جل ثناؤه في صفة نبيه
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ويزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »
وقال « واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » فآيات الله
القرآن ، والحكمة سنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ومعنى آخر في
تنزيه الله جل ثناؤه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل الشعر أن أهل
العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع . الا
أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف
المسموعة . فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ، والإيقاع ضرب
من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . وقد
قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ما أنا من ددٍ ولا ددٍ مني » .
والشعر ديوان العرب ، وبه حفظت الأنساب ، وعرفت المآثر ،
ومنه تعلمت اللغة . وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل
ثناؤه وغريب حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحديث
صحابته والتابعين .

وقد يكون شاعر أشعر ، وشعر أحلى وأظرف . فأما أن يتفاوت
الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا . ويكلى ينجح وإلى كل

يُحْتاج . فأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشهوات ، كلُّ مستحسنٍ شيئاً .
والشعراء أمراء الكلام ، يقصرون الممدود ، ولا يمدُّون المقصور ،
ويقدمون ويؤخرون ، ويؤمنون ويشيرون ، ويختلسون ويبيرون وليستعبرون .
فأما لحنٌ في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك .
ولا معنى لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما
لا يجوز . ولا معنى لقول من قال :

ألم يأتيكَ وألأ بناء تنبي
وهذا وإن صحَّ وما أشبهه من قوله :

لما جفا أخوانه مصعباً

وقوله : ففا عند مما تعرفان رُبوع

فكأنه غلط وخطأ . وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقون الخطأ
والغلط ، فما صحَّ من شعرهم فقبول ، وما أبتة العربية وأصولها فتردود .
بلى للشاعر إذا لم يطرده له الذي يُريده في وزن شعره أن يأتي بما يقوم
مقامه بسطاً واخضراراً وابتداءً بعد أن لا يكون فيما يأتيه مخطئاً أو لاحقاً ،
فله أن يقول :

كالنحل في ماء رُضابِ العذبِ

وهو يُريد العسل ، وله أن يقول :

مثل الفئيق هَنَاتُهُ بعصيم

و «العصيم» أثر الهناء . وإنما أراد هَنَاتُهُ بهناء . وله أن يبسط فيقول
كما قال (الأعشى) :

ان تر كُبوأ فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشيرة نزل

معناه : ان تركبوا ركبتنا وان تنزلوا نزلنا ، لكن لم يستقم له الا
بالبسط وكذلك قوله :

وان تسكني نجداً فيا حبذا نجدُ

أراد : ان تسكني نجداً سكناه ، فبسط لما أراد إقامة الشعر ، أنشد فيها
أبي (فارس بن زكرياء) قال أنشدني (أبو عبد الله محمد بن سعدان النحوي
الهمداني) قال أنشدني (أبو نصر) صاحب الأصمعي :

قَضَيْتِ الْغَوَانِي ، غَيْرَ أَنَّ مَوَدَّةً لِدَلْفَاءِ مَا قَضَيْتِ آخِرَهَا بَعْدُ

فِيَارْبُوعَةَ الرَّبْعَيْنِ حَيْثُ رُبُوعَةٌ عَلَى النَّأْيِ مِنِّي ، وَاسْتَهْلَبْتُ بِكَ الرَّعْدُ

فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدَعُهُ وَمَنْ بِهِ وَان تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبِذَا نَجْدُ (١)

وما سوى هذا مما ذكرت الرثوة أن الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه
في (كتاب خضارة) وهو (كتاب نعت الشعر) .

وهذا (تمام الكتاب الصاحبي) أمم الله على (الصاحب) الجليل النعم ،
وأسبغ له المواهب ، وسنى له المزيد من فضله ، إنه ولي ذلك والقادر
عليه . وصلى الله تعالى على نبيه محمد وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* *

وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .
كذا بأصله المقروء على المؤلف وعليه خطه .

(١) الأبيات من نظم (شعر بن عمرو) وأولها :

بجيت النقي الدارات والجرع لمن دمتان ليس لي بها عهد

فهرس

الصَّحْبِيُّ

في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

صفحة

مقدمة النشر:

- ٣ حاجة الأمة العربية الى إحياء لغتها وآدابها
- ٣ الأصل الذي طبع (الصاحبي) عنه .
- ٤ ما كتبه المؤلف على النسخة التي في القسطنطينية
- ٤ ما كتبه المرحوم الشقيطي على نسخته المنقول عنها
- ترجمة ابن فارس:
- أ نسبه ومولده . البلد الذي قريء فيه (الصاحبي) عليه السلام
- ب أساتذته وتنقله في طلب العلم
- ج علمه وتلاميذه
- د أمياله
- ه رسالته الى (ابن سعيد الكاتب) في المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمؤلفين
- ي مصنفاته
- يب شعره
- به قصيدته في معاني (العين)

صفحة

يز ابن فارس وابن بابك

ك وفاته

الصاحبي:

- ٢ تقديم الكتاب الى خزانة (الصاحب بن عباد) وتسميته باسمه
- ٢ أصل علم العرب وفرعه والفرق بينهما
- ٥ باب القول على لغة العرب: أتوقيف أم اصطلاح؟
- ٥ أقوال العلماء في ذلك. انتصار ابن فارس لقول (ابن عباس)
- ٦ اللغات لا تبجيء جملة واحدة وفي زمان واحد
- ٧ باب القول على الخط العربي، وأول من كتب به
- ٧ الروايات في ذلك. مذهب ابن فارس فيه
- ٨ هل كانت العرب العاربة تعرف أسماء الحروف، ومصطلحات العربية، وعروض الشعر؟
- ٩ مثال لكيفية كتابة المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه
- ١٠ علم العربية وعلم العروض قبل (أبي الأسود) و (الخليل بن أحمد)
- ١١ املاء المصاحف وآبائه في غيرها
- ١٢ باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها
- ١٢ معنى «البيان» وفضل العربية بسمتها فيه
- ١٣ إعجاز القرآن واستحالة ترجمته بايجازه وإعجازه
- ١٤ بلاغة العرب
- ١٥ بعض خصائص العربية مثل: القلب. عدم الجمع بين الساكنين.

- ١٥ اختلاس الحركات . الادغام . الحذف . اضمار الأفعال . كثرة المترادفات بكثرة أوصاف مدلولاتها .
- ١٦ بعض جوامع الكلام من أقوال العرب وآيات القرآن
- ١٨ باب القول على لغة العرب ، وهل يجوز أن يُحاطَ بها ؟
- ١٨ ورع (الخليل بن أحمد) والرد على من نسب إليه أنه أحاط بلغة العرب
- ١٩ باب القول في اختلاف لغات العرب : اختلافهم في الحركات . في الحركة والسكون . في إبدال الحروف . في الهمز والتلحين . في التقديم والتأخير . في الحذف والاثبات . في الحرف الصحيح والحرف المعتل .
- ٢٠ اختلافهم في الامالة والتفخيم . في الحرف الساكن يستقبله مثله . في التذكير والتأنيث . في الادغام . في الاعراب .
- ٢١ الاختلاف في صورة الجمع . في التحقيق والاختلاس . في الوقف على هاء التأنيث . في الزيادة
- ٢٢ اختلاف التضاد : قول حمير للقائم « ثب » أي « اقم »
- ٢٣ باب القول في أفصح العرب . فصاحة قريش ومكانتها من العرب
- ٢٤ باب اللغات المذمومة : عننة تميم . كشكشة أسد . كسكسة ربيعة . الحروف التي لا تكلم العرب بها الا ضرورة
- ٢٥ قاف بني تميم . ياء النسب التي تجعل جيماً . الكاف التي تحوّل شيناً .
- ٢٦ ولد اسماعيل وولد قحطان : ليس اختلاف اللغات قادحاً في الانساب . الخزم .
- ٢٨ باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن
- وأنه ليس في كتاب الله شيء بغير لغة العرب

- ٢٨ القبائل التي نزل القرآن بلغاتها
- ٢٩ توفيق (أبي عبيد) بين القائلين بأن القرآن كله عربي والقائلين بأن فيه كلاماً أعجمياً. رأي ابن فارس في أصحاب المقالات المتخالفة
- ٣٠ لوجه لقول من يُجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية
- ٣٠ باب القول في مأخذ اللغة
- ٣١ باب القول في الاحتجاج باللغة العربية
- ٣١ مخاطبة العلماء للعامة باللهجة العامية لا يعيهم، والدفاع عن (مالك بن أنس) في ذلك. وجوب وقوف العلماء على علم العربية
- ٣٣ باب القول على لغة العرب: هل لها قياس، وهل يُشتق بعض الكلام من بعض؟
- ٣٤ باب القول على أن لغة العرب لم تنته أبداً بكتابتها، وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله.
- ٣٥ الزجر والدعاء الذي لا يفهم موضوعه
- ٣٦ المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال
- ٣٨ باب انتهاء الخلاف في اللغات. مافيه لغتان. وثلاث. وأربع. وخمس. وست. أبواب الكلام الأربعة: المجموع عليه. مافيه فصيح وأفصح. مافيه لغات متساوية. مافيه لغة واحدة تغير فيها الموائدون
- ٤٠ باب مراتب الكلام في وضوحه وأشكاله. مصادر الأشكال
- ٤٢ باب ذكر ما اختصت به العرب: إعراب الكلمات.

- ٤٣ الشعر العربي . أنساب العرب . نزاهتهم عن مخالطة ذوات المحارم
- ٤٤ باب الأسباب الاسلامية . آداب العرب قبل الاسلام وبعده
- ٤٥ الاصطلاحات الدينية في الاسلام
- ٤٨ باب القول في حقيقة الكلام . حد الكلام وأنواعه
- ٤٩ باب أقسام الكلام . تعريف الاسم (هذا هو ما يقال)
- ٥٢ باب الفعل
- ٥٣ باب الحرف
- ٥٤ باب أجناس الأسماء : الفارق . المفارق . المشتق . المضاف . المقتضى
- ٥٥ تقسيم آخر للأسماء
- ٥٦ باب النعت
- ٥٧ باب القول على الاسم من أي شيء أخذ؟
- ٥٨ باب آخر في الأسماء : الأسماء التي حدثت في صدر الاسلام ، والتي كانت فزالت
- ٦١ باب ماجرى مجرى الأسماء وإنما هي ألقاب
- ٦٢ سبب تسمية العرب أولادها بكبب وقررد وتمر وأسد
- ٦٣ باب الاسماء التي تسمى بها الاشخاص على المجاورة والسبب
- ٦٤ باب القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها
- ٦٥ باب الأسماء كيف تقع على المسميات : تسمية شيتين مختلفين باسمين مختلفين . تسمية أشياء كثيرة باسم واحد . تسمية شيء واحد بأسماء كثيرة . المترادفات تختلف باختلاف أوصافها

- ٦٩ باب الاسمين المصطلحين
- ٧٠ باب زيادات الأسماء
- ٧١ باب الحروف وأصلها . من خصائص العرب انفرادها بالهمزة في عرض الكلام . الحاء والطاء والضاد مقصورة على العرب . باب دخول (الف التعريف ولامه) في الاسماء
- ٧٢ باب الالف المبتدء بها
- ٧٣ باب وجوه دخول (الألف) في الافعال
- ٧٥ باب (الباء)
- ٧٩ باب (التاء)
- ٨٠ الثاء . الجيم . الحاء والخاء . الدال . الراء
- ٨١ الزاي . السين . الشين . العين . باب (الفاء) .
- ٨٢ القاف . باب (الكاف)
- ٨٣ باب (اللام)
- ٨٧ باب زيادة (الميم)
- ٨٨ النون
- ٨٩ الهاء . باب (الواو)
- ٩٢ باب (الياء)
- ٩٣ باب القول على الحروف المفردة الدالة على المعنى . الأفعال التي يكون الأمر فيها بحرف واحد . الحروف التي في فواتح السور ومذاهب العلماء فيها
- ٩٦ مذهب ابن فارس في ذلك

- ٩٧ باب الكلام على حروف المعنى . ما أوله (أنف) : باب (أم)
- ٩٩ باب (أو)
- ١٠١ باب (إي) و (أي) . باب : إن . وأن . وإن . وأن
- ١٠٤ باب (إلى)
- ١٠٥ باب (إلا) . باب (إنما)
- ١٠٦ باب (إلا) . اصل الاستثناء
- ١٠٧ استثناء القليل من الكثير وعكسه . معاني (إلا)
- ١٠٩ باب من (الاستثناء) آخر . قول (مالك) في « الجائحة » والاتصار له
- ١١٠ باب (إياً) . باب (إذا)
- ١١١ باب (إذ)
- ١١٣ باب (إذا) . باب (أي) . باب (أنى)
- ١١٤ باب (أين) و (أينما) . باب (أيا) وأصلها . باب (الآن)
- ١١٥ أصل (الآن) . بناؤها
- ١١٦ باب « إمألا » وتركيبها . باب « أمأ » و « إمأ » . ما أوله « بآء » : « بلى » وأصلها
- ١١٧ « بلى » . « بآء » « بيد » . « بينا » و « بينما » واشتقاقهما . « بد »
- ١١٩ ما أوله « تاء » : « تعال » واشتقاقها . ما أوله « تاء » : « تمم »
- ١٢٠ « تمم » . ما أوله « جيم » : « جبر »
- ١٢١ « لاجرّم » وتركيبها
- ١٢٢ ما أوله « حاء » : « حتى »

- ١٢٣ « حاشا » واشتقاقها . ما أوله « خاء » : « خلا » و « ما خلا » وأصلهما
 ما أوله « راء » : « رُبَّ »
 ١٢٤ « رُوَيْد » وأصلها . « فو » و « ذات »
 ١٢٥ « سوف » . « سوى »
 ١٢٦ « سِيَّما » وأصلها . « شَتَّان » وأصلها . « عن »
 ١٢٧ « على » . « عَوْض » . « عسى »
 ١٢٨ « غير » . « في »
 ١٢٩ « قد » . « كم » وأصلها
 ١٣٠ « كيف »
 ١٣١ « كاد » . « كان »
 ١٣٢ « كَائِن » . « كَأَنَّ » وأصلها
 ١٣٣ « كَلَّ » وأصلها
 ١٣٤ « لَوْ » و « لولا »
 ١٣٥ « لَمْ » و « ولا »
 ١٣٦ « لَنْ » وأصلها . « لا »
 ١٣٧ دخول « لا » توكيداً
 ١٣٨ زيادة « لا »
 ١٣٩ « لَات » وأصلها
 ١٤٠ « لَدُن » . « لَدَى » . « لَيْسَ »
 ١٤١ « لعلَّ » . « لَكِنَّ »

- ١٤٢ «مُدُّ» و «مُنْدُ». «ما»
- ١٤٣ «مِن»
- ١٤٤ «مَنْ»
- ١٤٥ «مَه» و «مَهْمَا». «متى»
- ١٤٦ «نَعَمْ» و «نَعِمَّ». «هَلَمْ». «هَاتِ». «وَيَكُنَّ»
- ١٤٧ أصل «وَيَكُنَّ»
- ١٤٨ «أَوْلَى». قول في اشتقاقها. «يا»
- ١٥٠ باب معاني السكلام وأقسامه: باب الخبر. المعاني التي يحتملها لفظ الخبر
- ١٥١ باب الاستخبار: الفرق بين الاستخبار والاستفهام
- ١٥٢ المعاني التي يحتملها لفظ الاستخبار
- ١٥٤ حذف ألف الاستفهام. باب الأمر
- ١٥٥ المعاني التي يحتملها لفظ الأمر
- ١٥٧ حال الأمر في وجوبه وعدم وجوبه
- ١٥٧ النهي. الدعاء والطلب. العرض والتخصيص والفرق بينهما.
- ١٥٨ محبيء «لولا» لمعنى التخصيص. التمني. التعجب.
- ١٥٩ باب الخطاب يأتي بلفظ المذكر، أو لجماعة الذكور. معنى كلمة «القوم»
- ١٦٠ أقل العدد الجمع. تفسير «ابن عباس» لفظ «الاخوة» بأكثر من اثنين
- ١٦١ باب الخطاب الذي يقع به الافهام من القائل، والفهم من السامع.
- مزية الاعراب في اللغة العربية. تفريق العرب بين المعاني بالحركات.
- ١٦٢ مزية التصريف في اللغة العربية. معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

- ١٦٣ « المعنى » واشتقاقه . « التفسير » واشتقاقه .
- ١٦٤ « التأويل » واشتقاقه . باب الخطاب المطلق والمقيد . الاطلاق .
- ١٦٥ التقييد
- ١٦٦ باب الشيء يكون ذاوصفين فيعلق بحُكْمٍ من الأحكام على أحدوصفيه .
مذهب العرب ومذهب الفقهاء في ذلك . رد مذهب « أبي عبيد »
- ١٦٧ باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز . معنى « الحقيقة » واشتقاقها .
- ١٦٨ معنى « المجاز » واشتقاقه والأمثلة عليه .
- ١٦٩ سنة العرب في مخالفة ظاهر اللفظ معناه . رد قول « ابن قتيبة » .
- ١٧٠ اطلاقات « ابن قتيبة » المنكرة .
- ١٧١ باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق . اختلاف اللفظ والمعنى . اتفاق اللفظ واختلاف المعنى . اتفاق اللفظ وتضاد المعنى . تقارب اللفظين والمعنيين
- ١٧٢ اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين . تقارب اللفظين واختلاف المعنيين .
- باب القلب . القلب في الحكمة . القلب في القصة
- ١٧٣ باب الابدال في الحروف . باب الاستعارة
- ١٧٥ باب الحذف والاختصار . باب الزيادة
- ١٧٦ زيادة الأسماء . زيادة الأفعال . زيادة حروف المعاني .
- ١٧٧ باب التكرار . تكرير الكلمة والجملة . تكرير الأبناء والقصص في القرآن .
- ١٧٨ باب العموم والخصوص . العام الخاص . الكلامان المتصلان يكون أحدهما عاماً والآخر خاصاً . العام الذي يراد به الخاص
- ١٧٩ الخاص الذي يراد به العام . باب اضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة .

- ١٨٠ باب الواحد يراد به الجمع . باب الجمع يراد به واحد واثنان .
- ١٨١ باب آخر . وصف الجميع بصفة الواحد . وصف الواحد بصفة الجميع
- ١٨٢ الجمع الذي يراد به الاثنان . باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع . باب ذكر جماعة وجماعة أو جماعة وواحد والاخبار عنهما بلفظ الاثنان . باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع له وغيره .
- ١٨٣ تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب . تحويله من الغائب الى الشاهد
- ١٨٤ مخاطبة المخاطب ثم يجعل غيره . أو يخبر عن شيء ثم يجعل الخبر المتصل به لغيره
- ١٨٥ باب الشئيين ينسب الفعل اليهما وهو لأحدهما . باب نسبة الفعل الى أحد اثنين وهو لهما
- ١٨٦ باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنان . باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل ولفظ المستقبل وهو ماض
- ١٨٧ باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل
- ١٨٨ باب آخر في وصف الشيء بما يقع فيه أو هو منه
- ١٨٩ باب معاني أبنية الأفعال : فَعَلْتُ . أَفْعَلُ . فاعَلَ . تَفَاعَلَ . تَفَعَّلَ .
- ١٩٠ استَفَعَلَ . افْتَعَلَ . انْفَعَلَ . باب الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد . باب البناء الدال على الكثرة
- ٩١ باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف
- ١٩٢ باب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة . باب التوهم والايهام
- ١٩٣ باب البسط في الأسماء
- ١٩٤ باب القبض

- ١٩٥ باب المحاذاة والجزاء على الفعل بمثل لفظه
- ١٩٦ باب الاضمار : أقسام الاضمار . إضمار الأسماء
- ١٩٧ باب إضمار الحروف
- ١٩٨ باب إضمار الأفعال . باب من الاضمار آخر
- ١٩٩ باب التعويض : إقامة الفعل الماضي مقام الراهن . والمصدر مقام الأمر
- ٢٠٠ إقامة الفاعل مقام المصدر . والمفعول مقام المصدر . والمصدر مقام الفعل .
ووضعهم «فعيلاً» في موضع «مفعلاً» و «مفعلاً»
- ٢٠١ وضعهم «مفعولاً» بمعنى «فاعل» . والفعل مقام الحال . باب من
النظم الذي جاء في القرآن : الاقتصاص .
- ٢٠٢ الأمر المحتاج الى بيان وبيانه متصل به . ما يكون بيانه مضمراً فيه
- ٢٠٣ باب ما يكون بيانه منفصلاً منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها
- ٢٠٥ باب آخر من نظوم القرآن : مجيء الكلمة الى جنب الكلمة كأنها معها
وهي ليست كذلك . باب اضافة الشيء الى من ليس له لاتصاله به
- ٢٠٦ باب إضافة الشيء الى نفسه والى نعته . باب جمع شيئين الابتداء
بهما وجمع خبريهما ، ثم يرد الى كل مبتدئ به خبره .
- ٢٠٨ باب التقديم والتأخير
- ٢٠٩ باب الاعتراض
- ٢١٠ باب الإيماء
- ٢١١ اضافة الفعل الى من وقع به . ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم في الاخبار عنه
- ٢١٢ باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله

- ٢١٣ باب الاثني يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة . باب الحمل
- ٢١٤ ألفاظ الجمع والواحد والاثني . ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والمهزاء
- ٢١٥ باب الكفّ
- ٢١٦ باب الاعارة . باب « أفعل » في الأوصاف لا يراد به التفضيل
- ٢١٧ باب نفي انشيء جملة من أجل عدمه كمال صفته .
- ٢١٨ باب الشرط وأقسامه . باب الكناية وأقسامها
- ٢١٩ باب الثاني من الكناية « الضمائر »
- ٢٢١ باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل والمعنى واحد
- باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة وقد مضى في الأسماء مثله
- ٢٢٢ باب الخصائص
- ٢٢٣ باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم
- ٢٢٤ باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك . باب الافراط
- ٢٢٥ باب نفي ضمنه إثبات . باب الاشتراك .
- ٢٢٦ باب يسميه بعض المحمدين « الاستطراد » . باب الاتباع . باب الأوصاف التي لم يُسمع لها بأفعال والأفعال التي لم يوصف بها
- ٢٢٧ باب النحت . باب الاشباع والتأكيد
- ٢٢٨ باب الفصل بين الفعل والنعت
- ٢٢٩ باب الشعر: حد الشعر . تنزيه الله سبحانه كتابه عن شبه الشعر ونبيه عن قوله
- ٢٣٠ حكمة الشعراء والحكمة النبوية . مزاي الشعر ومحاسنه . مراتب الشعر .
- ٢٣١ ما يجوز للشاعر وما لا يجوز .
- ٢٣٢ تمام الكتاب الصاحبي



﴿ تَبْيِيهِ ﴾

وقع في أثناء الطبع بعض غاطات مطبعية لم ينتبه النظر اليها أثناء التصحيح ، فأحببنا أن نأتي هنا على تصحيحها رجاء أن يعود القاري فيصحيحها ، كيلا تكون نسخة (الصاحبي) بعد الطبع دونها قبله ، وهذا ما كنا نؤمله عند الشروع في طبعه . والى القاري تصحيح تلك الكلمات :

- (صفحة ب : سطر ١) الخصيب . (ب : ٢٣) فلقيت .
(ج : ١٥) الدولة . (هـ : ١٢) الانكار . (ز : ١٢) وقيت .
(يب : ٩) فؤاده (ك : ١٥) وبعلائي . (٤ : هامش)
لانك . (٥ : ٨) خُصِّف . (٤ : ١٤) انشائي . (٩ : ١٦)
الايماء اللطيف والاشارة . (٥ : ١٨) ادعى . (٣ : ٢١)
الاعراب . (٣ : ٢٥) كَمَل . (٦ : ٢٧) فان . (١٤ : ٤٦)
الصيام أصله . (٣ : ٧٤) قَشَعْتَهُ . أترقت . (٩ : ٧٤) يقع .
(٣ : ٨٠) بني السَعَلَات . (٥ : ٩٩) عمرو . (١٠٤ : هامش)
ألايها اللاحي (١٠٧ : ٢٠) ولا كثيره . (١٢١ : ٦) فناديت .
(١٣٩ : هامش) تنقاد . (١٤٠ : هامش) رَيْشَتْ . (٨ : ١٤٢)
الابل . (٥ : ١٧٤) السَّاقُ . (١٧ : ١٧٨) العام . الخاص .